

892.78

T-1364A

سَعِيدُ تَقِيّ الدِّينِ

لؤي الحمادي

مؤلف

وتخبأ العدد ١٩٣٧

SPC

PJ

7864

A45

H3

1948

RBK

حَفَنَةُ رِيح

مَهْزَلَةٌ فِي فَصْلِ وَاحِدٍ

مَوْجِبَةٌ نَارٍ

مَجْمُوعَةٌ قَصَصٌ

مَرَايَلَات



دار العلم للتراث

حقوق الطبع والتمثيل والاذاعة محفوظة

كانون الثاني ١٩٤٨

بيروت

- ٤ -



الاهداء

الى التي نادت بي ، يوم كنت كسيحاً : « هيا انض فاستبق
الناس فانت في ميدان الحياة مجلّ . »

الى التي آمنت بي يوم هزى الناس واوشكت ان اسخر
بنفسي .

الى التي جعلت جهنم حياتي جنة .

الى التي محت عن وجهي مبسم الضعة ، وابدلت به منطح
التفوق .

الى التي طوت كفي المتوهلتين ، فجعلت منها قبضتين فولاذيتين
احصرع بها الجبابرة .

الى التي ملأت قلبي حباً وأملًا واغاريده .

الى رفيقة اسفاري ، بين القصر والكوخ ، والكوخ والقصر .

الى زوجتي

بياتريس تقي الدين

اهدي هذا الكتاب - مجاناً - يضعك ملكة

هذا اول كتاب يصدر عن مطبعة تدار محركتها
على القوة الذرية ، التي اكتشف سرّها
عقبري الاجيال ، مواطننا النابغة :

وديع البقاعي

المعروف في عالم الكيمياء بالاستاذ ميمك
مرسّر دورك ، والذي تلقىه المجلات
العلمية بـ « فلة الدهر » .

طُبع هذا الكتاب على نفقة امير المحسنين ، وسيد
المهاجرين ، الذي رفع اسمنا عالياً وراء البحار ، صاحب
معادن النحاس في « بوليفيا » ومعامل النسيج في
« سان باولو - البرازيل » ، والمسامم الاكبر
في خطوط سكك الحديد « المكسيك
- روزاريو » :

العلامة الفيبكونت غندور باشا الزيات

رسالة

تفضل عليك البحث والاستقراء وبإدشاه المؤرخين، سمو البرنس
حمد باشا السبّعلي، فأرسل للمؤلف كتاباً هذا بعضه :

« أخي الشيخ سعيد بك آل تقي الدين

... كذلك لم أدر حين دفعتُ بك عن شريط القطار المداهم
انني انقذ للبشرية عبقرياً يتحف الادب الخالد بمثل « حفنة ربح »...
فيا للنبوغ الموهوب يفتون بكياسة الصناعة التمثيلية ، ويا للرائعة
لم يجُذ بمثلها الاولون ولا المعاصرون، من زمن « فاجعة الاغريق »
الى يومنا هذا في صخب « برودواي » ولغبه ... وبقيني ان صلابه
الخلق فيك لن تلين فتستمر في الالباء بان تبيع ادبك - على وفرة
ما عرضه عليك - الى معمل السخافة والتبذل الذي يستوزنه
« هليوود » .

سلمت يا مولير لبنان ، وشكسبير العرب . .

(١) اشارة الى فاجعة كادت تنزل بالمؤلف اذ ماشى سمو البرنس في
شيكاغو ، فكاد ان يدهمه قطار مسرع لو لم يقذف بالمؤلف عن طريق القطار
سمو البرنس السبلي .

لمحة تاريخية

يقول المتهجمون الذين يريدون التنقّص من الادب العربي القديم ان العرب لم يعرفوا الدراما .

ونحن لسنا نحاول في هذه الكلمة المقتضبة التبسيط في تكذيب هذا المفترى ، غير اننا نريد ان نثبت ان الدراما ذات الفصل الواحد ، هي من مخترعات العرب الاقدمين ، وكانوا يطلقون عليها اسم « مثال » للمغزى الذي يجب ان تؤديه . جاء في « الحواشة السخفولية »^١ :

« كان للبساطرة ، وهم فخذ من قبيلة ثعلمة ، عادة كمالا اكتمل القمر ان يمثلوا رواية في فصل واحد ، فينتحون هضبة يجعلونها مسرحاً ويجلبونها عن القوم^٢ بستر يعلق جانبا على رأسي بعيرين واقفين ، بينها عشر فسخات واربعة اشبار . فاذا احتشد القوم صاح الحقريف^٣ وأناخ الجملين ، فبط الستار وابندأ التمثيل . فاذا انتهت الرواية ضرب الحقريف البعيرين بعصا فنهضا فحجب الستار المسرح عن القوم وانتهت الرواية . »

(١) صفحة ٢١ الجزء الرابع (هي المخطوطة البيتية التي يملكها الاستاذ اسعاف الشاشي)

(٢) ما نسميه اليوم : نظارة

(٣) مدير المسرح

وقد اشار الى هذه العادة أبو العيث الشوفاني في موشحته
الاندلسية الشهيرة التي مطلعها :
يا شوق قلبي لـ « مثال » يا ليلةُ البدر فيها قد استدار
والجمع حشد كـ الرمال يا صرخةً تعلو اذا هبط الستار
ويدي على كتف الحبيب تلاعبه

طعبروس



نهض عريف الآلهة عن كرسية الحريري وتمطى تعباً فرحاً ،
 ثم انتزع من جيبه الهائل محرمة الحريرية الخضراء ، وراح ينظف
 صولجانه الذهبي متكلاً فيما هو ينظف « ياله من يوم غني
 الحوادث ! » فاجابه صدى من متملقي البلاط « ياله من نهار غني
 الحوادث ! » وتابع العريف كلامه « لقد انزلت عن عاتقي معظم
 عناء شؤون حكم الكرة الأرضية . ان الحكم المباشر كان خطأ .
 لقد ابهظ كتفي . واني وجدت الانسان مثلاً هو في قرارة نفسه
 يهوى تعدد الزوجات ، كذلك هو في صميم مشاعره يؤثر تعدد
 الآلهة . لقد ارسلت لبني البشر سرباً من آلهة - واحداً للمواسم ،
 وآخر للحب ، وغيره للصواعق - لكل شعور ، وغريزة ،
 وحادثة الهأ ، ولم يبق لي الا ان اقرأ التقارير واصدر الاوامر .
 وامسك مدير البروتوكول السترة ، فأنشبت عريف الآلهة في
 كميه ذراعيه ، وفيما هو ينهياً للانصراف ، سمع نائمة من زاوية
 الديوان تقول :

— لماذا أهملتني يا سيدي ؟

فقطلع عريف الآلهة فرأى جسداً هائل البطن ، وعينين مائعتين بالشر ، وبدأ مرتفعة علتهها أقذار كأنها برص ، وكاد عريف الآلهة ان يبتسم ويمشي اذ استأنف الصوت نأماته :

— انا رجلك يا سيدي . انا طعبروس ، أنسيتني ؟ ألا تذكر الانتخاب الماضي منذ مليون سنة ، كيف كانت « ابولو » وه « ادونيس » يتخطيانك بالاصوات ، وكاد « ابولو » يفوز ، لو لم ازور لك اصوات الكوكب حيث كنت رئيس الاقتراع ؟ انظر الى يدي وقد دنست باثم التزوير ! لقد غمستها بالبحر الف سنة وغسلتها بجمم البراكين مئة عام ، ودفنتها في البحيرة الملتهبة عشرين جيلاً ، وتمت لها تعويذة ديوان المتنبي ، وروايات شكسبير ، والباذة هوميروس ، وعلقت في زندي حرزاً ملأته بدساتير دول الارض ، وتصريحات يالطا ، ونقاط ويلسون الاربع عشرة ، وقوانين جمعية الامم ومنظمة الدول ، فما محوت من اقدارها ذرة ، وها انت قد نثرت الوظائف على سواي ، واهملتني انا الذي وبي في الجهاد من اجل انتخابك .

وليس آلم على الكبير من معروف سابق يذكره به صغير ..
فعبس عريف الآلهة واجاب طعبروس :

— ألم اهبك برميل نفض بعد الانتخاب ؟ ولئن كنت ناقماً علي فلم لا تلتحق بصفوف المعارضة ؟
قال طعبروس :

— اني معجب بك يا مولاي ، واني اوثر جهنم الحاكمين التي

اعرفها على جنة المعارضة التي لا اعرفها . ثم انت المعارضة لا تملك شيئاً تهبه ، اما مولاي ...
قال عريف الآلهة :

— اني آسف لما انت فيه ، ولقد فرقّت الوظائف وانتهى الامر ...

واجاب طمبرس :

— أيعجز مولاي عن خلق وظيفة لأحد محاسبيه وهو الذي ملأ الدنيا وظائف ؟ وظّفني في السلك الخارجي ... أسمع انت دولاً كثيرة نشأت في الكرة الارضية حديثاً فهل اعتمدتني لايٍّ منها ؟

فهزّ العريف رأسه وقال :

— كيف ارضى ان يمثلني شخص موبوء ؟ !

فاجاب طمبرس :

— أنسيت ياسيدي اني أملك برميل نפט ، وان هذا السائل من الذهب الاسود مرهم يلوّن الامور والاجساد بالوان زاهية تستجيبها الناس ؟ ثم ان الطبيب اعطاني وصفة ، هي ان آخذ براءة تعينني في الوظيفة فأحرقها ثم اسحق رمادها ، فأذره في العيون فلا ترى بي غير الجميل ! اني مؤكد لمولاي ان مرهم النفط ورماد البراءة 'يحجّـل'لاني حتى ليخلط البشر بيني وبين ادونيس !

وكان عريف الآلهة من تلك الشخصيات السياسية التي بلغت القمة بعد الف معركة في الوادي وعلى السفح ، ولقد صار من القوة بحيث امسى في وسعه ان يقتنسى الانتصار ورفاق الجهاد ،



ولكنه نظر الى طمبروس ثانية وذكر حادثة الكو، كب حيث
ترأس طمبروس الاقتراع ، وكيف جاءه بصندوق الاقتراع وفيه
١٥٣ مليون صوت للعريف ، و٣٥ صوتاً لأبولو ، و٤٨ لأدونيس .
فابتسم وسرت به رعشة السطوة في القوي اذ يمنح او يمنع ، فصاح
برئيس المواصلات ان يسّّل لطمبروس سيارة او « جيب » للكرة
الارضية ، فطمبروس ذاهب الى هناك بصفة غير رسمية ، عله يحتال
بذكاؤه على ان يخلق طائفة تؤمن به فيكفي بذلك العريف مؤونة
تعيين إله جديد . وكان وزير المواصلات مكبّاً على دفتر يقلبّه
وقد تجمّر رجه ، فاقرب من عريف الالهة وهمس باذنه :

— لتتكلم بصوت خافت مخافة ان تسمعنا الصحافة ، ان في
دفترتي قيداً بـ ٨٤ سيارة و١٢٥ « جيب ! » . وتذكرون ان
سلفي باع اكثرها ولما نزل نطالبه بشمها ، ثم ان بعضها مخرب ،
وما بقي فقد ارسلته لاستقبال ابن عمي ، وهو راجع من زحل
مصطحباً هدية ثمينة لمولاي .

فسأل العريف :

— اليس عندنا من مخلّقات الجيش ما نقدر ان نستعمله ؟
فتناول الوزير دفتر « المستحيلات » وقلب صفحاته واجاب :
— بلى ياسيدي . عندنا مظلة هوائية يستعملها القافز من
الطيارة . انما انما

وصار الوزير يتلثم ، فحقق العريف وصرخ :

— انما ... ماذا ؟ .

اجاب الوزير :



2000



1000



- لقد اقتطعنا من ثَمَلُونِهَا سرّوَالاً أهديناه الى رئيس بلدية
« الثريّا » . انت تذكره يا مولاي : رجل مخلص . كذلك انتزعنا
الكثير من حبالها لنشر غسيل الوزراء يا مولاي ، اذ ان الصحافة
ترش عليهم الوحول ، فاثوابهم ابداءً قدرة يلزمها التنظيف . واني
اخاف ، ان نحن اعطينا المظلة لطعبروس ، ان لا تنفتح حين يقفز
فيهلك ، وان انفتحت - ذلك الخرق ... سرّوَال رئيس البلدية
يا مولانا ...

وسرعان ما دار عريف الآلهة وخاطب طعبروس :

- معاذاً ان ينسى عريف الآلهة رجاله المخلصين . اني لا اريدك
ان تذهب الى الكورة الارضية كرجل عادي في سيطرة أو
« جيب » . انزل اليهم كبطل . لقد جهزت لك مظلة هوائية
جديدة من مخلفات الجيش ومن صنع الاميركان وانت تعرف انهم
لا يصنعون الاّ الأجل والافخم والأمتن .

فشكر طعبروس للعريف حنانه وشدّ المظلة الى كتفيه
وففز . وراح العريف يتطلّع من كوة السماء مقبهاً فرحاً ؛ انه
تخلّص من شخص يذكره بمعاركه الماضية ، واستفاقت « ساديتة »
فحدّق بالارض يريد ان يرى طعبروس يلتطم بالارض فيتمزق .
غير ان طعبروس حيناً وقع ، لم يصطدم الاّ بكومة
رمال ، فسرعان ما انتصب واقفاً على قدميه سالماً ، فاحرق مظلته
وتأبّط برميله ومشى صاخباً يحدث نفسه بالفتك والاخذ بالثأر ،
ويحلف بان يثير على العريف سكّان البسيطة . وما طال سيره
حتى لمح بدويّاً شرّس الوجه ، يرعى جمالاً ويحمل بارودة ، فلع



طعبروس وصاح :

— انا بوجهك يا بدويّ .

اجاب البدوي :

— كنت على همّة ان ارديك برصاصة . ولكنك سبقتني الى

الاستجارة ، فما انا بقاتلك . ولكن قل لي من انت وما تريد ؟

وهات اعطني نهلة من هذا البرميل الذي تحمله فاني عطش .

ومد البدوي يده وقلب البرميل الى شفتيه ، وسرعات ما

بصق ما دخل فيه ، وشتم طعبروس الشرير الذي يحمل ماء لا يُشرب .

قال طعبروس :

— رويدك يا بدويّ . انا جئت هذا المكان لاسعافك .

ما صنعتك ؟

اجاب البدوي :

— انا راعي جمال .

— ومن هو شيخ القبيلة ؟

— درداح الغمدوش .

— ولماذا هو شيخ القبيلة وانت راعي جمالها ؟

— هذه ارادة الله . واحد يرأس القبيلة ، وآخر يرعى جمالها .

قال طعبروس :

— ما انا بمن يخالفون مشيئة الله . صدقت ؛ انه تعالى قسم المهن

والارزاق ، وجعل للقبيلة شيخاً يدير امورها ، وراعياً يتعهد جمالها .

ولكنك يا بدويّ اشجع من درداح الغمدوش ، فلماذا لا تحاول ان

تكون شيخ القبيلة وتترك هذه الابل لدرداح ؟

فلمعت عينا البدويّ وعض على شفتيه ، وشع وجهه بحلم
جميل - الحيمة الكبرى هو يملكها ، و وتطلع بطعبروس من
جديد وأجهم وجهه وقال :

- اسمع يا مخلوق ، ان كلامك معقول . غير اننا هنا في
البادية نصغي الى من يقول لا الى ما يقال . نحن هنا لا نخاف
الاعصار ، والجوع ، والعطش ، والامراض ، ورصاص
العدو . ولكننا نخشى اللسان الذرب ... إخال كلامك شبيهاً ببرميلك .
تنظر اليه فتحسب فيه ماء يروي ، فما ان تنهل منه حتى تعرف
طعمه الكريه . وكلامك تسمعه ، فاذا هو مقنع ، وفي يقيني ان
من اراد السير على ما انت به تبشّر ، سيعثر . لقد امنتك على
روحك ، ولكنني اخشى ثورة غضبي فاكفر بتقاليد قومي . هيّا
انصرف عني . رح الى هناك ، الى بلاد الحضر الملاعين ، في القرى
والمدن حيث الرجال ذوو أيدي ناعمة ووجوه حليلة معطرة . هناك
يجبون اللسان الذرب ، واحسب ان ستكون بينهم ذا شأن .

وكان طعبروس من اولئك القلائل الذين يفهمون الحكمة من
أيّ سمعوها ، ويعرفون ان يلتقطوها حيث كانت ، لذلك أعجب
يقول البدوي ، فودّعه وراح يقطع البادية ميمماً قري الحضر
ومدنها ، فادّى به التسيار قبيل الغروب الى ضاحية قرية ، فرافق
بعض فلاحيها ، وكانوا منصرفين من حرّاة اراضيهم وعائدين الى
قربتهم . وسمع الفلاحين يتحدّثون فرحين ، وادّى بهم الحديث
الى الدعابة ، والدعابة الى قول « القرّادي » فزجّ طعبروس
نفسه بينهم وسألهم :



— ما هذا الذي تنشدون ؟

اجابوا بشيء من الحجل :

— نحن اناس اميون ننظم القرّادي في بعض الاحيات
للمباشطة وللغناء في الافراح والمآتم .

اجاب طعبروس :

— انكم لا تعرفون اي شيء قيم تملكون . ما هذا «قرّادي» .
هذا شعر . انتم شعراء . انتم الشعراء .

فراحت قلوب اولئك الفلاحين تدق جذلة كأنها اجراس
الكاتدرائية في يوم العيد، ونفخوا صدورهم ورموا بمعاولهم وآلات
الحراثة وطفقوا يصيحون في القرية :

— نحن شعراء . نحن الشعراء .

وسرت الصيحة في القرى المجاورة ومدن البلاد ، وصار كل من
نظم في حياته ، او همّ بنظم « قرّادي » او ايّ كلام عاميّ
مقفّى ، يقف على سطح بيته او شرفة منزله ويصرخ « انا شاعر »
واجتمع الشعراء فانخبوا لهم اميراً وشيخاً ، وفرّقوا الالقب
والاوسمة فرحين .

اما طعبروس فقد هزه فوزه السريع ، فلم يمت تلك الليلة ، شأن كل
من ينعم ببيكر انتصاراته . وفي فجر اليوم الثاني طفق يطوف في
طول البلاد وعرضها ، ولقي من الصحافيين اعواناً له ، فاذا لاعبت
فرقة من بيروت بالفوتبول فرقة من حلب سموها « مباراة دولية »
واذا فاز تلميذ بدروسه سموه « النابغة العبقري » . واسأر على
الناس ، فامسوا الجمعيات والمنظمات ، التي هي في حقيقة مرامها



ابواق طعبروس . وتحالف مع رأسمالي ، فبنى مصنعاً للمرايا
 المقعّرة متى تطلّع فيها الرائي وجد نفسه عظيماً ، فراجت تلك
 المرايا ، واغنت صانعها . ومن ارباح ذلك المصنع بنى الرأسمالي
 مصانع للابواق والطبول ، واخذ طعبروس يدور على البيوت فيبيعها
 بدون ربح ، حتى اصبح كل من السكان يحمل مرآة مقعّرة في جيبه ،
 وبوقاً في يساره ، ويعلّق طبلًا في رقبتة ، تضرب لحناً واحداً :
 « ما اعظمي ! » وكان طعبروس شديد المراقبة ، فلمح في تطوافه
 ان الاسلحة كثيرة في البيوت ، فخشى على نفسه ان يرثى الشعب
 جيشاً ، والجندي ، جنرالاً كان ام نقرأ ، هو مثال الطاعة ، والنظام ،
 والدعة ، والتواضع ، وهذه صفات ان قُست قتل نفوذ طعبروس ،
 فحمل تلك الاسلحة اصحابها وصاح بهم : « هيا اطلقوها في الجوا ! »
 ففعلوا وطربوا لدويها . إذ ذاك قام طعبروس فيهم خطيباً وقال :
 — انتم الابطال الصناديد . من غيركم يقوى ان يطلق الاسلحة
 في الهواء ؟

فصاروا يطلقون الرصاص لآية مناسبة ، فيصم آذانهم عن ضحك
 شرذمة من الشذاذ جاءتهم غازية واغتصبت بعض دورهم ، ووقفت
 متسلحة بقظة توسع نخوم مفتصباتها شيئاً فشيئاً ، وقد وجدت تلك
 الشرذمة في « طعبروس » اعظم حليف ، إذ شغل القوم عن الدفاع
 عن دورهم بالاعجاب بنفوسهم ، ونفخ ذاتيتهم المتضخمة .

واصبح طعبروس كلما كثرت انتصاراته اشتد دأبه ، فبنى
 حول تلك البلاد سوراً عالياً وأقنع الناس ان ليس وراء السور من
 بلدان . بل هو شيد حول كل قرية وشارع وضاحية سوراً ، وقال



للسكان « هذه هي الدنيا ، فضيَّق الآفاق على الناس ، وقصر
طموحهم . ولم يعف عن معبد أو مدرسة ، فزين للتلاميذة ترك
دروسهم والمشغبة في الاسواق املاً بالتزعم ، وصرف من كان شأنه
تعهد المعبد ، عن الاغاني الروحية ، الى الصخب السياسي رجاء
التسود .

وذات يوم طاف طعبروس بملكته - وقد استحسن انه امسى
فيها ملكاً مطلقاً ، فوجد فيها شخصاً واحداً قانعاً يُعنى بتربية
النحل ، ولا يأبه لشيء غيرها . وعبثاً حاول طعبروس ان يُقنع مربى
النحل انه شاعر . أو انه خليق بان يرشح نفسه للنيابة . واخيراً
جاءه طعبروس وهمس باذنه :

- اني اريد ان اسرّ اليك اكتشافاً... فقد قرأت في « الحواشة
السّخفولية » ان نابليون هو جدك الاعلى ، وان الملكة اليبابات هي
ابنة خالتك لجدّ جدك . فما بالك تربي النحل وانت يليق بك ان
تتربع دست الوزارة ؟

فباع المسكين منحلته ، وراح يشاغب على الوزراء رجاء ان
يُستبدل بواحد منهم .

وأصدر طعبروس طبعة جديدة - ملايين النسخ - من « الحواشة
السّخفولية » وفيها توارىخ عائلات البشر ، واشادة بذكر جدد
الناس اجمعين . فمن عدم شيئاً يتبيح به في نفسه ، وجد في تاريخ
اجداده موضوعاً للتباهي بصرفه عن الجهود المفيدة .

هكذا نعم طعبروس في ملكه فكثرت الالقاب ، والاوسمة ،
والخفلات ، والمآدب ، ونفخت الابواق ، وقرعت الطبول ، وكان

من الطبيعي ، متى ازدحم الافدام وضخمت الذاتيات ، ان ينشأ
العداء . وكان الحصاص على اشده في « شارع النيابة » حيث تقاطر
الناس باجمعهم يريدون ان يجتازوه طريقاً الى « القبة » حيث علق
اكبر بوق واضخم طبل ، في قاعة حيطانها مرايا مقعرة .

واخفى الحب ، وضائق الاخلاق ، وانجى التسامح والحلم ،
وتكالب الناس على الظهور بمظاهر التفوق ، ولم تعد الاسلحة
تطلق في الهواء فحسب ، بل صارت تطلق في الصدور احياناً .
ونقم الناس على الناس ، وكفروا بما كانوا يؤمنون . اذ انهم قبل
طعبروس كانوا يؤمنون بامور منها سخيصة أو ساذجة ، ومنها
كرامة شريفة ، ولكنهم لما كانت في مجموعها ايماناً يملأ النفس ثقة
واقداً ، ويفسحها من ادراكها ، « وثقة ولز » عناصرها . اما حينما
ضخمت ذاتيتهم فقد فرّ الايمان من صدورهم فماعت شخصياتهم .

الاويل "لقوم نفوسهم كهوف خالية هجرها الايمان ."

اما الآلهة فقد ساء لهم اعراض الناس عنهم ، فما يرتاد
مفوضياتهم وسفاراتهم الزائرون ، وضعف شأنهم فما يسمعون
حلا ولا ضراعة . فعادوا الى العريف يشكون امر طعبروس ،
ويخبرونه ان البشر انصرفوا اليه يعبدونه ، في حين انه ليست له
حقة رسمية . وان الامر اذا استمر هكذا ، فقد يضطر العريف
الى سحب ممثليه من الكرة الارضية وشطبها من خارطة
مستعمراته .

والحق انواع اشده تلك اللحم التي تقذفها النفس اذ تغضب
على نفس كانت لها مروؤسة . لذلك نادى عريف الآلهة على مدير

البوليس ، وامره ان يرمي كل كتب القانون في النار ، وان يختار
من رجاله اشدهم بأساً واوسعهم حيلة ، وان يهبط الى الكرة
الارضية فيرجع منها بطعبروس او بجثة طعبروس .

وانتصب مدير البوليس بعد لحظة امام العريف فسأله هذا :
— ما بالك لم تذهب بعد ؟

— سيدي .. اني رجعت ولم اجد من آثار طعبروس الا
برميله الفارغ ! اما هو فقد عشب في رؤوس الناس ، لذلك ، لم اوفق
بالعودة به حياً ، اذ انه مخنف ، واني خشيت ان انا قتلته ان
اقضي على الناس اجمعين فهو في كل رأس ، وطى كل قلب ، وعلى
كل لسان .

وتطى الاله « فرنسوا » وهو الآله العملاق الذي قتله الاله
« جرمانوس » بضربة من قبضته ، واعادته الى الحياة الآلهة التي
تكاثرت على « جرمانوس » فدحرته . ولكن « فرنسوا » وقد
قتل عملاقاً بعث قزماً بدون ذراعين . قال « فرنسوا » لعريف
الآلهة :

— سيدي ! أعدني الى البشر حاكماً عليهم ، واني أعدك بان
امزق اعلامهم ، واذلل نفوسهم ، واطرد طعبروسهم ، واقتل
السنتهم ، فلا يتكلمون الا اللغة التي تريد . واني فوق ذلك منتزع
من كوارثهم ما فيها من مؤونة ينعم بها مولاي العريف واصفياؤه
من الحاشية .

غير ان عريف الآلهة اعتاد ان لا يصغي إلى « فرنسوا »
ولكن اذنه اشرأبت اذ سمع كبير الحكماء يقول :

— مولاي ... متى دخل الله قلب المرء ورأسه ، وسرى على لسانه ، فمن العبث محاولة طرده برجال البوليس . اني على ثقة انه لن يطرد هذا المارق طعبروس الا فتانونا . اني اشير على سيدي ان ينادي على النحاتين يبنون التماثيل لطعبروس تنصب في ساحات الكرة الارضية ، ثم فليرسمه نبغاء مصورينا ولتعلق صورته في كل بيت . كذلك ليصفه كتبتنا وشعراؤنا .

فقلب عريف الآلهة شفتيه ساخراً غاضباً وقال :

— ما كنت أحلم ان اعيش الى يوم اسمع فيه الحق من فم كبير الحكماء . ها انا اريد الفئك ماله شرير يعبدونه ، وانت تقترح التمثال والصورة والقصة والقصيدة لتفخيمه ؟

اجاب كبير الحكماء :

— اني ابغي من ذلك اظهاره للناس ليروه . ان الناس لا يعبدون ما يرون ... انهم يعبدون ما لا يرون !

وغطس عريف الآلهة في بحيرة التفكير ، وراح يسمح حيناً ثم خرج منها مبتهجاً واعلن ان رئيس الحكماء على صواب ، فمضى رأى الناس طعبروس طردوه لاسيما وقد فرغ برميله من النفط ، فلن تخفى اقذار يده ، وخلت يده من براءة توظيف يذرت رمادها في العيون . ونادى على الفنانين ففرق عليهم جبال المرمر ، واوتار قلوب البلابل ، وحفنة من قوس القزح ، ونفخة من ريش الحساسين ، وعبأ جراباتهم باغاريد اطفال الملائكة ، وصاح :

— : عليكم بطعبروس . هذا عتاد الحرب والنصر بين اناملككم .



حَفْزُ رِيح

مَهْرًا فِي فَصْلِ وَاحِدٍ

حقبة - ع

مرحلة

عبد نقي الدين

بيروت سنة ١٩٥٠

[غرفة اثائها غوغاء . في منتصف المسرح - الى الامام - صحارة قائمة على جانبها الضيق وفوقها قطعة خشب ضخمة تستعمل في المطابخ ، اذ يقطع عليها اللحم ، والخضار . على قطعة الخشب سكين مطبخ ، واشياش عارية . وخلف تلك الطاولة (الصحارة) فوتويل مثلث المقاعد ، ممزق ، خاس الكثير من معارك الحياة . على يمين المسرح طاولة (صحارة) ثانية عليها آلة تلفون . على يسار المسرح فتى موسيقي يدوزن عوده . بضعة كراسي مبعثرة هنا وهناك بعضها مقنوب . في منتصف الحائط الذي يواجه النظارة باب صغير عليه ستارة ممزقة . الى يمين النظارة ، يلاصق الحائط الخلفي سرير هو ثلاث الواح خشبية ممتدة على ثلاثة صحاحير . ناموسية السرير مرفوعة . على جوانب السرير وعلى الناموسية كلسات ، وربطة رقبة ، وطربوش ، وبنطلون وكلسون . الى اليسار ، فيما يلاصق الحائط ، حذاء الباب الخلفي ، مغسلة مهشمة عليها مرآة مكرسكوية وعلى المغسلة فرشاة اسنان ، وفرشاة ثياب ، وبعض ادوات الزينة . في منتصف المسرح ، طاولة صغيرة عليها مزهرية بدون زهور . على الارض بقايا سكاير وقشر ليمون وزجاجات فارغة .

على السرير ، يتقلب وجيه في ييجامته .
على المقعد المثلث يجلس فتى انيق الثياب قصير نحيل ، يلبس طربوشاً خمرياً يكاد يغطيه حتى أخمص قدميه . بين يديه عصا مذهبة المقبض ، تعلم من كثرة تقليبه اياها ، انه اشتراها منذ ساعتين فقط . اسمه الشيخ نسيب وهاب . يسمع دق على الباب الایسر ويدخل نهاده العسكري . شاب في الثلاثين ، خفيف الخطى ، زواغ النظر ، لطيف]

نهاده - صباح الخير يا اخوان .



العواد } الشيخ نسيب
صباح الخير .

نهاد - أين وجهه ؟

الشيخ نسيب - صار لي نصف ساعة انتظره وهو (يشير الى السرير)
نائم .

العواد - صار لي (متطلعاً الى ساعة اليد التي يلبسها) ساعة وربع .
من ينتظر وجهه ان يفيق من نومه كمن ينتظر عنقود
عنب يصير زيبياً .

نهاد - مسكين ... وجهه تعبان . ليلة البارحة القى خطاباً
هز البلد . جئت اطلب نسخة منه . عدم المؤاخذة
(يقترب من العواد مضافاً) داعيك اسمه نهاد العسكري .

العواد - (معجباً) صاحب جريدة « نهضة الفجر » ؟ ! حصل
لنا الشرف . داعيك « شوقي الحياك » صاحب
اوركسترا « جوقة لبنان » .

نهاد - حصل لنا الشرف . سمعت جوقةك عدة مرات
على الراديو .

الشيخ نسيب [يقترب منها بحياء من يركبه ميسم الضعة (١)] يد بده
نهاد [- انا نسيب وهاب .

نهاد - (هازماً يده) وهاب ... وهاب ... حضرتك
« الشيخ » نسيب وهاب .

(الشيخ نسيب يضحك منفرزاً)

(١) تعريب « Inferiority Complex »

نهاد - الشيخ فرج الله مدير الجمرک هو صديقي - هل هو قريبك ؟

الشيخ نسيب - عمي أخو ابي .
نهاد - والشيخ عبدالله مدير جمرک الناقورہ ؟

الشيخ نسيب - ابن خال عمي .
نهاد - والشيخ شفيق ... مفتش المعارف ؟

الشيخ نسيب - ابن خال عمي .
نهاد - والشيخ عادل مهندس بلدية صيدا ؟

الشيخ نسيب - ابن عمّة خالي .
نهاد - وحضرتك ؟

الشيخ نسيب - البارحة صدر امر بتعييني مفتشاً في جمرک بيروت
نهاد - (يأخذ ورقة من جيبه وقلماً) هذا خبر هام (يكتب) :

« يسرّنا ان نرف الى القراء الكرام بشرى تعيين
صديقنا الاوفى الاستاذ الشيخ نسيب وهّاب مفتشاً في
جمرک بيروت . والشيخ نسيب هو العبقرى المتخرج
من ... » (الى الشيخ نسيب) من اي كلية تخرّجت
حضرتك ؟

الشيخ نسيب - انا لم اتخرج . اولاد صفى تخرجوا .
نهاد - « والشيخ نسيب من خيرة شبابنا المثقف ،

وعبقرى (للشيخ نسيب) لم تتخرج ؟

الشيخ نسيب - لا .
نهاد - « من خيرة شبابنا المثقف ونابعة وفتاد .

الذكاء . » (الى الشيخ نسيب) لا تؤاخذني انت قلت
 « نابغة » فقط لاني لا احب المبالغة ! (يعيد الورقة والقلم
 الى جبيه ويمشي الى السرير مخاطباً النائم) وجبيه ...
 وجبيه ... قم . ثلاثه ارباع البلد في انتظارك .
 (مخاطباً العواد والشيخ نسيب) هل ام ظريف هنا ؟
 (يتقدم من الباب الخلفي ويصيح) يا ام ظريف ! يا ام
 ظريف ! اهلاً وسهلاً بعروستي ام ظريف (تظهر ام
 ظريف كهلة في حوالى الخمسين ، صلبة العضلات ، ضخمة ، بارزة
 العينين على رأسها عصابة . وفي وجهها نظرة حنان تنكرت
 قسوة ، تستشف من خلال خشونتها نعومة الانوثة . يضع نهاد
 ذراعه على كتفي ام ظريف ويمشيهما الى مقدم المسرح)

نهاد - هل قرأت ما كتبته عنك في عدد امس ؟
 (يريها الجورنال)

ام ظريف - (بخيلاء) الحمد لله اني اجهل القراءة والكتابة .

نهاد - هل ترك لي وجيه ورقة معك ؟ او وصية ؟

ام ظريف - ترك لك وصية . قال يجب ان ترجع قبل ان تبدأ
 بطبع الجريدة لأن عنده عجائب غرائب من الاخبار .

نهاد - طيب ، قولي له اني راجع في اقل من ساعة . ألم يترك
 نسخة خطابه عندك ؟

ام ظريف - (تمشي الى المزهية وتنزع منها اولاً كلمات ثم اوراقاً)
 ترك هذا .

نهاد - هذا هو ؟ سلام الله يديك يا ام ظريف . هذا

خطاب وجهيه .

ام ظريف - اوصاني وجهيه ان اسألك ان كنت تحب ان تدفع ثمن الخطاب .

نهاد - وجهيه يعرف اني لا ادفع ثمن خطابات . اما اذا كان عنده اخبار فهذه ادفع ثمنها . بخاطرك يا ام ظريف . بخاطر كم .

نهاد - (للشيخ نسيب) نسيت ان اسألك عن معاش الوظيفة .

الشيخ نسيب - انا لا يهمني المعاش . حالتنا المالية حسنة بحمد الله .
نهاد - خطر على بالي امر . احب ان انشر صورتك .
تفضل معي . عندنا مصوّر في الادارة .

الشيخ نسيب - (يقترب من المراكاة فيصلح من شأنه ويلوح بالعصا مزدهياً)
ولكنني اريد مقابلة وجهيه .

نهاد - تقدر ان ترجع بعد ربع ساعة .

نهاد - }
الشيخ نسيب - بخاطرك يا استاذ .

العواد - بخاطر كم يا اخوان .

نهاد - (على الباب) يا ام ظريف ، قولي لوجهيه ان تلك العجائب - الاخبار التي وعد بها - يجب ان تكون حوادث حقيقية ، لا حوادث رآها في المنام .

الشيخ نسيب - اخبرني الاستاذ وجهيه اني راجع (نهاد والشيخ نسيب)
يتصرفان - يرجع العواد يدوزن عوده ويتغنى بـ « يا ليل » مرة



بعد مرة - ام ظريف تخرج من الباب الخلفي وترجع بمكنسة
ومجرد فطوف في الغرفة مقومة كرسياً هنا ومتاعاً هناك .
تلتقط اكواب السكاير خفية وتخبئها في تنورتها . تظهر اشمتازها
من العواد ، اذ هي تسد اذنيها مرة ، وهم بان تنزل على رأسه
بالمجرد والمكنسة الخ... يرن التلفون فتضع ام ظريف الساعة
على اذنها .)

ام ظريف - ... تضرب بعينك (ترجع الساعة)

العواد - ماذا جرى ؟

ام ظريف - هَلُو ... هَلُو . من قال له اني احكي فرنساري

(تقترب من سرير وجيه وتهزه حانقة)

ام ظريف - انهض . تم .

(ينهض وجيه ثم يعود الى السرير مثائباً . فتي دون الثلاثين ،

قصير ، شاحب ، طويل الانف بارز العينين . نحيل ، عصي

المزاج ، كلامه نبر ، ولهجة حديثه ثورة واحتجاج وسخرية)

العواد - بقي لي في انتظارك اكثر من ساعة يا استاذ وجيه .

وجيه - كم الساعة الآن ؟

ام ظريف - الساعة العاشرة والنصف من صباح ٣١ ك ٢ . هذا

٣١ الشهر . اتدري ماذا يجري في آخر الشهر ؟

وجيه - آه من آخر الشهر . آخر الشهر يقبض الموظف

معاشه . ولكن اين انا من الوظيفة ؟

ام ظريف - (متوعة) آخر الشهر يدفع المستأجر الاجار .

أفهمت ؟ خمسة عشر شهراً وانت ماكن هذه الغرفة ،

اين الاجار ؟

- وجهه - يا ام ظريف
- ام ظريف - (مقاطعة) آخر الشهر تقول لي «ادفع في اول الشهر . اول الشهر تقول ادفع في آخر الشهر .
- وجهه - يا ام ظريف... هذا زمن لا يعرف اوله من آخره .
- ام ظريف - كيف تريد ان اعيش في هذه الدنيا ؟ لا ابن ولا ابنة ولا زوج ولا قريب . انا وحيدة .
- وجهه - الله معك يا ام ظريف .
- ام ظريف - هذه غرفة سكن جعلتها مطبخاً (ترفع اشباح اللحم وتضربها على الحشبة) لحم مشوي الصبح . لحم مشوي المساء . لحم مشوي نصف الليل . لحم . لحم ...
- وجهه - الاسود لا تأكل ملفوفاً ، والتمور لا تمضغ البطاطا .
- ام ظريف - ضيوف وضيوف . جماهير تدخل وجماهير تخرج . انظر الى الارض واقذارها . انظر الى قشر الليمون . اهذه غرفة سكن ام ياخور (اصطبل) .
- وجهه - ياخور (اصطبل) ... يسكنه جواد كريم !
- ام ظريف - خطب واشعار . وهيصة وصياح ، والآن (تقترب الى خلف العواد صارخة) «يا ليل» (يخجل العواد) .
- وجهه - فنجان قهوة يا ام ظريف «موتور» دماغى لا يشتغل بدون قهوة .
- ام ظريف - قهوه ؟!! خمسة عشر شهراً بدون ان تدفع اجار الغرفة ، والآن تطلب قهوة ؟! والقهوة سعرها بالجو .
- وجهه - ما هذا بعذر . القهوة سعرها بالجو . الطحين سعره

بالجو . الثياب سمرها بالجو . الشعب طائر في الجو .
الوزارة والحكومة بالجو . كلنا بالجو .

ام ظريف - وفنجان القهوة بالجو .

وجيه - (مؤبناً عاتباً) هذا جزاء المعروف ! كم مرّة نشرت

الجرائد صورتك ؟ ! كم مرّة كتبوا عن ام ظريف

وغرفة ام ظريف ؟ عرفتك الى الوزراء ، والنواب ،

والصحافيين ، غرفة ام ظريف في بيروت اشهر من

قلعة بعلبك في بعلبك . انت اشهر رجل في بيروت .

ام ظريف - (على الباب) انا اشهر رجل في بيروت لاني الرجل

الوحيد الذي يؤجر غرفة ولا يقبض اجارها (تصرف)

العواد - من فضلك يا استاذ. صار لي اكثر من ساعة انتظر .

وجيه - (بعد ان يفتش جميع انحاء الغرفة وجيوبه) معك سيكارة ؟

العواد - (يعطيه سيكارة) تفضل .

وجيه - (بعد ان يفتش) معك كبريته ؟

(العواد يولع له السيكارة)

وجيه - تشكرات . هل اعددت اللحن ؟ هل اقتضيتـه ؟

العواد - نعم . فعلت ما تريد . سيعجبك اللحن .

وجيه - وستعجبك الاغنية .

العواد - ان شاء الله .

وجيه - وستشترها مني .

العواد - ان شاء الله . انما من فضلك عجل . صار لي ساعة

انتظر .



وجيهه - (يطوف الغرفة مفقشاً عن شيء لا يجده) اسمح لي ان
أغسل وجهي اولاً . على فوقه ، معك صابونة ؟
العواد - صابونة ؟ !!

وجيهه - طبعاً ما معك صابونة . سؤال سخيف . (منادياً)
يا ام ظريف اين الصابونة ؟

ام ظريف - (من الداخل) أي صابونة ؟
وجيهه - اي صابونة كانت . حمراء او بيضاء . طويلة او

قصيرة ... سمينة او نحيلة . فقية او عجوز . شيوعية
او ديمقراطية . سلافية او انكلوسكسونية . بشرط
ان تكون صابونة .

ام ظريف - آخر صابونة اشتريتها ذابت في ايام الصيف .
وجيهه - (يقترب من المغسلة ويتكلم اذ هو يغسل وجهه) هل

لاحظت ان اكثر الصابون مغشوش في هذه الايام ؟
يعني انه يوسخ اكثر مما هو ينظف ؟

العواد - (متبرماً) نعم لاحظت . من فضلك صاري ساعة
انتظر .

وجيهه - (وقد فرغ من غسيل وجهه وبل شعره) معك منشفة ؟
طبعاً ما معك منشفة . (ينشف الستارة التي تزين الباب الخلفي)
معك مشط ؟

العواد - (يأخذ المشط من جيبه ويعطيه لوجيهه) تفضل !
وجيهه - (ممسحاً شعره . هنا يستحيل وجيهه من فتى ماجن الى فان يقظ)
اسمعني النغم . اريده خفيفاً كله حياة . نعم ناعم ولكنه

ليس بنائم X

— الاغنية يا استاذ . صار لي ساعة انتظر .

العواد

— (يفتش بين الامتعة فلا يجد الاغنية) لعلها هنا

وجيه

(تحت الفراش) لا . هذه رواية تمثيلية . (يأخذ الخذاء

وينزع منه ورقة) لا هذه مقالة للمقتطف . ها . ها .

(يأخذ الطربوش وينزع من تحت الاطار الجلدي الداخلي ورقة

يعطيها للعواد) هذه هي . (فيما يلعب العواد هذه القطعة

ويغنيها ، وجيه يلقي كلماتها شطراً شطراً بحيث يفهمها الجمهور)

عاش تعساً من شكاً آلامه

وتناسى امد العيش القصير

صهر اللذة من اوجاعه

كل من يضحك منها ويسير

اللازمة

ماذا لو غاب القمر

ماذا لو صد الحبيب

ماذا لو طال السهر

ماذا ان تسمي غريب

هذه الدنيا سراب بطلها مثل الصحيح

هي حلم شارد بين مهد وضريح

اسرقت في الصمت عن امرارها ما ان تبيح

كل ما نجنيه من اعصارها خفنة ريح

هي نار العيش من يعبدها احرقته وهجها ما ان ينير
من جفا الاحلام لم يجمع بها وازدرى الاموال لا يمسى فقير
اللازمة

لا تباع مثلاً علياً فلا تطالب في الناس نبلاً ووفاً
ذاك نهر العيش لن تشربه نهلةً ترويك منه وكفى

(خلال الغناء تظهر ام ظريف في الباب الخلفي ، فاذا انقطع
الغناء تجلس في البكاء ، فتمسح عينيها بمريلها وتنفض انفا به
وتنهزم الى الداخل)

وجه - اعجبك الابيات ؟

العواد - ابيات بديدة . شعر رفيع .

وجه - اعتقد انك مستعجل . الافضل ان لا تضع وقتك .

مئة ليرا (تظهر ام ظريف)

العواد - (يعيد القصيدة لوجه ويتبهاً للانصراف) آسف ان لا

اقدر ان اشتريها .

وجه - هاه ؟ لم تعجبك ؟

العواد - قلت لك انها بديدة .

(ام ظريف من خلف العواد ترسم باصابعها علامة الخمين)

وجه - اذا كانت المئة ليرا مبلغاً كبيراً فيكفي خمسون .

العواد - لا . آسف ان لا اقدر ان اشتريها .

(ام ظريف ترسم باصابعها علامة العشرين)

وجه - يا سيدي نحن ابناؤ الفن اخوان . عشرون ليرا

تكفي .

العواد - لا تؤاخذني ...

(ام ظريف ترسم علامة الحمة) .

- وجيه
العواد - خمس ليرات كافية .
الحق يا استاذ اني لا اقدر ان اغني هذه الابيات في حفلة .
وجيه - لماذا ؟
العواد - اولاً ما فيها « يا ليل » .
وجيه - زد عليها الف « يا ليل » ، بدون ان ارفع عليك السعر .
العواد - ثم ... ثم ... ينقصها كثير من الشعر . العيون .
النهود . اللعاب . الحُرد . الشعر . الجبين . الشفاه .
وجيه - (متكهلاً) العيون . النهود . اللعاب . الحُرد .
الشعر . الجبين . الشفاه . حضرتك تطلب اغنية شعرية ام محاضرة فسيولوجية ؟
العواد - اريد شيئاً من القلب .
وجيه - هل تحفظ السر ؟
العواد - بالطبع .
وجيه - (هامساً بعد ان يتطلع حواله كأنه يتأكد ان ليس من يسمعه)
لا تخبر احداً . انما انا لا اقدر ان انظم شيئاً من القلب .
العواد - صحيح ؟ لماذا ؟
وجيه - لانه ليس لي قلب ! [حانقاً] اللعاب ... النهود .
صدقت اني ابيعك هذه الابيات بخمس ليرات ؟! هاه
عندي مشترٍ بخمسين ... !

- العواد - ان شاء الله !
 وجيه - ومشتري غيره بمجساية .
 العواد - ان شاء الله !
 وجيه - وغيره . وغ... يره بالف ليرا .
 العواد - إن شاء الله . إن شاء الله . بخاطرك . (يختفي في الباب الأيسر) .
 وجيه - (صارخا خلفه) إن شاء الله تقع على الدرج وتكسر عودك ورقبتك . (الى ام ظريف) اسمعت القصيدة ؟
 ام ظريف - قصيدة عظيمة . عظيمة . ما فهمت منها ولا كلمة .
 وجيه - هذه القصيدة سينقشونها على صخرة الجلاء ، ويحفرونها على جبين « السفينكس » ، ويطبعونها على مياه الفرات والاردن . ولكن لا يشترونها بخمس ليرات (يرمي السيكرة فتلحقها ام ظريف وتبدأ في تدخينها . وجيه يرتقي على المقعد الثالث فتقترب منه ام ظريف موأسية تلاعب شعره)
 ام ظريف - آه يا بني . آه يا وجيه . لماذا انت هكذا ؟ ما انت اقرع ولا عور ولا اعرج ولا غبي ولا امي . الناس يحبونك .
 وجيه - الناس يحبون الفاشلين ، وضعف الحائنين يُظهر ما في الناس من قوة .
 ام ظريف - (مكلمة دون ان تفهم ما نطق به وجيه) لماذا غيرك يتنعم باللاتوموبيلات ...
 وجيه - وانا عائش على اللحم المشوي ؟ اسمعي يا ام ظريف !

أرأيت هذا العوداد يدوزن عوده؟ بعض الناس يدوزن
عوده بلحظة . بعضهم بسنة ، والبعض بولد وعوده
مدوزن . اما انا فكلما حاوات دوزنة عودي وجدته
مقطع الاوتار .

ام ظريف - هذا غضب الله عليك ، لانك كفرت به وقسوت على
احدى مخلوقاته .

وجيه - هل 'جنت'؟ عن تكلمين؟

ام ظريف - انكلم عنك ، وعن خطيبتك عابدة . سيبض
شعرك قبل ان تتزوج .

وجيه - هذا اوفق من ان يبيض شعري بعد ان اتزوج !

ام ظريف - مسكينة عابدة . هي ملاك . لم اسمع بابنة بقيت
مخطوبة سبع سنوات الا عابدة . عجّل وتزوج . كم
عمرك الآن؟

وجيه - تسعة وعشرون تشريفاً أولاً ، لولا الغرام ، لولا
عابدة لكانت تسعة وعشرين ثانياً .

ام ظريف - عابده ! يا لها من فتاة جميلة ، مهذبة عاقلة (تبكي)
كل رفيقاتها اصبحن زوجات وامهات ، وهي في
انتظارك . لماذا لا تتزوجها؟ ما عيبها؟

وجيه - فيها عيب كبير .

ام ظريف - (تتعده) عابدة ملاك . كذب كل من نقل عنها
خبراً . عيبها كبير؟! ما هو؟!

وجيه - عيبها ان لها امماً . اخترعوا طيارة بدون جناح ،

وقلم جبر يكتب بدون جبر - لماذا لا يخترعون زوجاً
بدون حماة ؟

ام ظريف - ام عايده ، مدام زعرور ، سيدة فاضلة . ما

اعتراضك عليها ، ألعها تعارض في الزواج ؟!

وجيه - يا ليتها تعارض . كان الامر هيناً . لكننا تريد

شيئاً مستحيلاً . تريد مصاعاً . اسمعي ماذا تريد ان

اشتري . (يعني الى عين النظارة ويقرأ من الحائط هناك)

١ - خاتم خطبة ، ثم خاتم زواج .

٢ - زوج حلق كوكتيل .

من يفهم علاقة الحلق بالكوكتيل ؟ لا ام ظريف

تفهمه ، ولا انا افهمه ، ولا ابو حنا تولستوي يفهمه !..

٣ - دبوس بلاتين .

٤ - اسوار الماس .

٥ - (متعجلاً) بـ . زـ . دـ . طـ . . . بـندنطيف .

ها لطيف ! وانا من انواع الجواهر ، لا اقدر ان اقدم

الا لحم مشوي . (يرن التلفون)

- (على التلفون) هلو ... هلو ... نهاد . آسف ان

كنت نائماً . عندي اخبار تهز البلد . لا اريد ان

اقولها على التلفون . الاخبار لها ثمن يا استاذ . اي

ساعه تبدأ بطبع الجريدة ؟ مرّ عليّ بعد نصف

ساعة . لا تنس ان تجلب معك عملة . انا احب

الاستغفال بالتقدي . بخاطرك (يقفل التلفون - الى ام ظريف)

وجيه

هذا نهاد العسكري صاحب « نهضة الفجر » .

ام ظريف - ما هي الاخبار التي تهز البلد ؟ اخبرني . انا لا اخبر أحداً .

وجيه - انا ما عندي اخبار . وانت هل عندك اخبار ؟

ام ظريف - ولماذا كذبت عليه ؟

وجيه - ولماذا يكذب غيري على غيره ؟ للضرورة .

للحاجة . وبعض الاحيان بحكم العادة . على كل حال ، مدام زعرور ستشرفنا بعد قليل ، وهي دائماً حمالة اخبار (يأخذ المكواة من الصحارة فيحملها يساره ، ويضع بنظرونه على كتفه) لا تخافي على الاجار . سأصير غنياً . سأبني بناية كبيرة اسكن في غرفة منها وانت تتولين قبض الاجارات . (في الباب الخلفي ورافعاً المكواة) سأبني الف بناية . وساحتج على قانون الاجار . نحن نغامر برأسمالنا ونبذل مئات الالوف ونبني فوق رؤوس الناس سقفاً يقيهم المطر ، والشمس ، والبرد والصواعق ، والرعود ، ثم في آخر الامر نمسي عرضة لاستبداد هؤلاء . . . هؤلاء ال . . . مستأجرين (ينصرف)

ام ظريف - (تلتقط القصيدة وتحاول قراءتها وغناءها) . . . ا . . . ش

تيساً من جفا . . . لا . . . مه . . . أمه . . . عاش تيساً

من جفا أمه (فيما هي تعيد الاغنية يدخل صانع اللحام من

الباب الايسر ويقترب ويتحنج فتجفل ام ظريف وتصرخ خائفة
(غصبي)

ام ظريف - من انت وما تريد ؟

صانع اللحام - انا مسعود صانع اللحام . معلمي توفيق ارسلني لكي
احصل من وجيه افندي .

ام ظريف - تحصل ماذا ؟

مسعود - احصل فافوس . عملة . ثمن اللحم . منذ ثلاثة أشهر
ووجيه افندي ما دفع .

ام ظريف - وجيه ليس هنا .

مسعود - (يدير عينيه في الغرفة غير مصدق ثم يعطيها ورقة) على
كل حال ساميه - هذه قائمة الحساب وهذا مكتوب
لوجيه افندي .

ام ظريف - كم هو الحساب ؟

مسعود - ١٢٥ ليرا و ١٤ قرشاً .

ام ظريف - والمكتوب ماذا يقول ؟

مسعود - اقرأه .

ام ظريف - (بفخر) انا لا اعرف القراءة والحمد لله . اقرأه انت

مسعود - (يقرأ) - حضرة الاجل الابجد سري المهم

وجيه افندي المحترم : بعد تقديم واجب الاحترام

لشخصكم الكريم ، يلين دين الساعة بعث لحم بالدين ،

ويلين دين ...

ام ظريف - (مقاطعة) رح الله بلعنك ويلين معامك (تطرده وتدفنه)

اطلع .. اخرج ... تخيّب ..

— (على الباب) الله يلعنني اذا جلبت لكم لحماً . مسعود
ام ظريف — الله يلعنك ان جلبت لحماً ، والله يلعنك ان
لم تجلب لحماً .

(ترجع ام ظريف الى المقعد تتم لنفسها وتضرب كفّاً على كفه
حزينة قلقة) من يوم مات زوجي تزوجني ، الشيطان —
شيطان الفقر . ما آلم انيابك اذ تعض ، واسمها اذ
تلسع . مرض لا يقتل ولا يشفى . تحس انت في
عروقك الف ثعبان وعلى لسانك افة فلفل ؛ وعلى
عينيك نظارات تريك الدنيا جهنماً والناس ابالسة .
(تخاطب شيطان الفقر كأنه جالس الى جانبها) ابتعد عني .
من جاء بك الى هذه الدار يا عين ؟ ابتعد قلت لك
اخرج ! (تركض الى حذاء الباب الخلفي وتأخذ الكنيسة
والحجود واذا ترجع ترى ان الشيطان قبالتها) انت دائماً
لاحق بي . ما ألأم هذه الابتسامة على وجهك !
سنطردك من هذه الدار — انا ووجهي . فهمت ؟ الله
يلعنك ! (تنزل بالحجود والكنيسة ضرباً على الشيطان الذي تتوهم
انه قبالتها صاحبة شائعة . تدخل مدام زعرور)
[بعد هذا المشهد وفي الاوقات المناسبة ام ظريف تخاطب الشيطان
وتضربه متممة كلاماً غير مفهوم]

مدام زعرور — ام ظريف !

ام ظريف — مدام زعرور !

مدام زعرور - ماذا جرى ؟ من تقاتلين ؟

ام ظريف - اقاتل الله . . برغش .

مدام زعرور - كيف حالك ؟

ام ظريف - كيف حالك ؟

(تعيدان هذا السؤال بضع مرات)

مدام زعرور - حالي في الويل ، يا ذلتي على عابدة .

ام ظريف - سلامتها . ماذا جرى ؟

مدام زعرور - جرى كل شيء . يا ذلي ! (تتحبب . ام ظريف .

تهدي . روعها بـ « طولي بالك . لخير ان شاء الله . . » ثم كأنها

فطشت لأمر فتصرخ « جرى كل شيء ؟ ! » وتروح تتحبب .

وتلبث الاثنتان في لغب من دموع ونشيق وشهيق وعصافين .)

ام ظريف - هل عابدة بخير .

مدام زعرور - بخير والحمد لله . تركتها عند الحياطة . وستكون .

هنا بعد قليل . انما يا ام ظريف خربنا . صرنا اضحوكة .

الناس . سبع سنوات خطبة !!! اين وجهه ؟

ام ظريف - وجهه في المطبخ (مشيرة الى الداخل) يكوي .

بنطلونه . كنا نتحدث في موضوع الزواج هذا .

الصباح . وجهه مستعد للزواج .

مدام زعرور - مستعد للزواج ؟ بدون صيغة ؟ الموت اهون . .

لا خاتم (ترجع للتحبب) ولا اسوار !

ام ظريف - (متحبة) ولا حلق !

مدام زعرور - ولا كستاك ذهب !

ام ظريف - ولا ساعة !

مدام زعرور - ولا دبوس !

ام ظريف - ولا عقد !

مدام زعرور - زواج ابنتي مستحيل !

ام ظريف - وعدم زواج ابنتك مستحيل !

مدام زعرور - ما العمل يا ام ظريف ؟

ام ظريف - لماذا لا نجرب الغيرة ؟

مدام زعرور - ماذا تعنين ؟

ام ظريف - اسمعي . الرجال خلقهم الله غيورين . قولي لوجيه

ان عابدة ستتزوج رجلاً - اي رجل - ترينه يسحب

الحواتم من بزر البطيخ والحلق من قشر الباذنجان .

(متذكرة) المرحوم زوجي رفض ان يدفع لأبي ليوتين

انكليزيتين مهري - حين علم ان لي طالباً ، دفع ليوتين

انكليزيتين وريال مجيدي .

مدام زعرور - (سكرى بالاعجاب) الله ما اوfer عقلك ! لو ان

دماغك ترابة افرنجية «شمنتو» لكان رأسك اكبر من

معامل «شكا» . صحيح - الرجال غيورون . رحيم

الله زوجي : ما فاتح ابي وامي بالزواج حتى ابتداء ابن

عمه يسهر عندنا . انما اي رجل نقول لوجيه انه

سيتزوج عابدة ؟

ام ظريف - اي رجل كان . (فرع على الباب الايسر) تفضل !

(يدخل الشيخ نسيب)

ام ظريف } (بعد ان تتبادلا النظرات ذات المعنى) اهلاً وسهلاً! اهلاً
مدام زعرور

وسهلاً! تفضل . اجلس هنا ، على هذا المقعد .

الشيخ نسيب - (مستغرباً هذا التأهيل غير المنتظر) نهاركم سعيد .
الاستاذ وجيه ينتظري ؟

مدام زعرور } نحن ننتظرك .
ام ظريف

الشيخ نسيب - خير ان شاء الله!

مدام زعرور - هيأتك ابن عائلة ، ابن اوادم . انت شاب ، شريف ،
مهدب ...

ام ظريف - ... انت اعزب ، اليس كذلك ؟

الشيخ نسيب - بلى انا اعزب .

مدام زعرور - اسمع يا ابني ، انا ارملة

ام ظريف - وانا ارملة

الشيخ نسيب - (مرتعباً) انالست طالب زواج ... في الوقت الحاضر

مدام زعرور - لم تفهم قصدنا . ابنتي . ابنتي ...

الشيخ نسيب - الله يرسل لها عريس . انا لا اطلب الزواج .

مدام زعرور - اسمح لي ان اشرح لك ... ✕

الشيخ نسيب - اشرحي ما تريدن - بدون زواج .

ام ظريف - اصبري حتى افقل الابواب . [تقفل الباب الخلفي

والباب الايسر]

مدام زعرور - يا ابني . عندي ابنة اسمها عايده . ابنة وحيدة ،

مهذبة ، جميلة ، عصرية ، تطبخ ، ترفض ، تغني ،

تلعب بيانو ...

الشيخ نسيب - الله يخليها ويرسل لها عريس - غيري .
مدام زعرور - صار لها مخطوبة لوجيه سبع سنوات .
الشيخ نسيب - (كن رمى عن كفه حلا) ، الحمد لله ! مخطوبة . شي جميل !
مدام زعرور - انما كلام الناس غير جميل . صرنا اضحوكة وموضع
الجزء والسخرية . نريد ان نعيّل الزواج . وجيه دائماً
يوّجل يوم العرس . نرجوك ان تتظاهر انك خطبت
عايدة . هكذا وجيه تلذعه الغيرة فنعيّل بالزواج .
ارجوك بل اتوصل اليك . هكذا تكون عملت معي
معروفاً ، انا الارملة الشقية ، ومع صديقك وجيه .
احسبها دور تمثيل . احسبها مزحة ...

الشيخ نسيب - بعض مرات عاقبة المزاح وخيمة ...
ام ظريف - شاب مثلك وفي عمرك تخاف العواقب ؟
مدام زعرور - ارجوك ، اتوصل اليك (تنتحب)
الشيخ نسيب - طيّب . سأنتظر . انما اذكري ان المسألة هي
تمثيل فقط .

(صوت قرع من الباب الخلفي ووجيه يصيح : « افتحي يا ام
ظريف ، لماذا اقفلت الباب ؟ » ام ظريف تفتح الباب)
وجيه - (لابساً البنطلون مكواً كياً مضحكا . يخرج وهو يصلح من
ساقى البنطلون) لا يفهم هندسة هذين الخطّين الا
البروفسور آنشتاين . (ينفض ببصره فيرى مدام زعرور

والشيخ نسيب) أهلاً بخالتي هدى! (يقبل يديها . هذه
تقف وقفة مقاتل) كيف حالك؟ اين عابدة؟ كيف
حال عابدة؟

مدام زعرور - (كلامها مشدد ذو معنى) عابدة والحمد لله بالف واربعماية
وستين خير . ستكون هنا بعد قليل ، تركتها عند
الحجّاطة .

وجيه - (متابعاً) وانت يا الشيخ نسيب؟ اهلاً وسهلاً
بك . اشكرك لمحيثك . تفضلوا! (الشيخ نسيب يقتعد
كرسي العواد ، ومدام زعرور الكنباية ، ويجلس وجيه على
حافة الكنباية . ام ظريف كلها عيون ، وآذان ، تجلس قرب
آلة التلفون) .

وجيه - (للشيخ نسيب) - بالطبع ، لا بأس بفنجان قهوة؟
الشيخ نسيب - اشكرك . انا بمنوع عن القهوة .

ام ظريف - ووجيه بمنوع عن القهوة!
الشيخ نسيب - ارسلت في طلبي - خير ان شاء الله!

وجيه - يا شيخ نسيب؛ فهمت من مصدر حكومي عال
انك تعينت في الجمر .

الشيخ نسيب - (مدغداً جيه) نعم صدر الامر!
وجيه - لذلك سألتك ان تأتي الى هنا . اولاً لاهنئك
بالوظيفة ...

الشيخ نسيب - اشكرك .
وجيه - ... وثانياً لاسألك ان تستعفي من الوظيفة .

الشيخ نسيب (مبهوتا) -- هاه ؟!
وجيهه - اريد ان اخبرك اني انا كنت موعوداً بهذه
الوظيفة . وان المرجع الحكومي العالي قال لي انك
اذا استعفيت انت ، يعطوني الوظيفة لي . انت فتى
تحب عائلتك ؟!

الشيخ نسيب - بالطبع احبّ عائلتي .
وجيهه - اذاً فاعلم انّ عائلتك في خطر . ان الناس بدأوا
يشمئزون من احتكاركم وظائف الحكومة . حذار !
حذار من الرأي العام ! من خلع القياصرة عن عرش
موسكو ؟ الرأي العام . من طرد سلاطين بني عثمان ؟
الرأي العام . من اعدم لويس السادس عشر ؟ الرأي
العام . فياشيخ نسيب اريد ان اصارحك ان الرأي
العام بدأ يثور على عائلتكم !
الشيخ نسيب - بلادنا ليس فيها رأي عام . اين هو ؟ انا لا اراه .
وجيهه - خطر الرأي العام في انه لا يُرى ، شبه الرصاصة لا
تراها حتى ولو خرقت رأسك . افكر ، تمعن في
الامر . المسألة مسألة موت وحياة .

الشيخ نسيب - سأسأل خالي . اذا اراد ان استعفي ، استعفي
وجيهه - ثم انا استغرب ان فتى نجيباً مثلك يدفن نفسه في
الجرمك . بالطبع انت اديب ؟

الشيخ نسيب - آ...
وجيهه - يعني انك تنظم الشعر وتعيد النثر ، وعندك

طموح ان تصبح اديباً كبيراً .

الشيخ نسيب - ... بالطبع !...

وجهه - هل سمعت باديب توظف في جمرک ؟ امرؤ القيس

هل كان موظفاً في جمرک ؟ ابو العتاعية ، حافظ

ابرهيم ، خليل مطران ، الفرزدق ، جرجي زيدان ،

هل توظفوا في الجمارک ؟ هل تريد ان تدفن عبقریتک

ونبوغک بين بالات الحام والعنبر کيس ؟

الشيخ نسيب - اسمح لي بسؤال . لماذا حضرتک راغب في هذه

الوظيفة ؟

وجهه - لأنّ الله خلّقني غيوراً على المصلحة العامة .

الشيخ نسيب - وانا ...

وجهه - انت ! في عمرک ! في نبوغک ! غامر ! هاجر ! من

أسس الهلال ، والمقتطف والاهرام والمقطّم ؟ فتیان

مثلك هاجروا . من جمع الثروات الكبرى في مشارق

الارض ومغاربها - فتیان في عمرک هاجروا . لم لا

تهاجر ؟ .

الشيخ نسيب - و حضرتک لم لا تهاجر ؟

وجهه - ان سافرنا کلّنا - من يبقى هنا لاستلام حوالات

المهاجرين ؟ آء ، يا الشيخ نسيب ، ان الغمار ، والهوى ،

تملاً الدنيا حيث ادرت عينیک - لو فتحت عينیک

(بأخذ جريدة عن الطاولة) خذ مثلاً هاتين الفتاتين

الاميرکيتين - هذه اللابسة قميص السباحة . شيء

جميل آه ؟ (يقرأ) : الآنسة نانسي كلارك كس ابنة
صاحب اكثر فبركة مسامير في اوهايو ، الولايات
المتحدة . وهذه اللابسة البنطلون (يقرأ) : الآنسة
اليزابت و'و' كر ابنة صاحب فبركة ملاعق في
« شيكاغو » . هما هنا في بيروت في لوكسند « زهرة
بيروت » . هل تعرف الانكليزية ؟

الشيخ نسيب - اتكلم الانكليزية .
وجهه - ماذا تنتظر ؟ اذهب الى اللوكسند . اقرع الباب
هكذا (مثلا) « نهارك سعيد يانانسي . أنا احبك » .
Good Morning Nancy - I love you .

الشيخ نسيب - (كمن يتمرن على تمثيل دور)
Good Morning Nancy - I love you .

وبعدها ماذا يصير ؟

وجهه - بعد ذلك تصير صاحب فبركة مسامير !
الشيخ نسيب - يا استاذ وجهه - بخصوص الاستعفاء ، ساستشير
خالي واخبرك . (مدام زعرور وام ظريف تومثان اليه ان
يخبر وجهه بالخطبة) . على ذكر فبركة المسامير احب ان
ان اخبرك انني خطبت .

وجهه - خطبت ! ؟ برافو ، ما اسم الخطيبة حتى ننشر الخبر
في الجرائد ؟

الشيخ نسيب - اسمها ... (ام ظريف و مدام زعرور تهجان الاسم صامتين)
اسمها عابدة .

وجيه - غريبة هذه الصدفة ! اسم خطيبتى عايده ايضاً . امر
غريب !

الشيخ نسيب - الامر اغرب من هذا بكثير !

وجيه - !?!!

الشيخ نسيب - خطيبتك عايده ، هي خطيبتى عايده .

وجيه (فوار الفرح) - ما اجمل هذه الصدفة ! خالتي هدى ؟

(يقبل يدها ثانية) اهنتك . شباب ، وغنى ، ووظيفة ،

ومشيخة .

الشيخ نسيب - لا تصدق . هذا تمثيل ! هذه لعبة . مزاح . بخاطرك .

سامستشير خالي وارداً عليك الخبر بشأن الاستعفاء .

(على الباب لمدام زعرور) قلت لك ان عاقبة المزاح

وخيمة (مدام زعرور ترتقي بين ذراعي ام ظريف وتحبش

الاثنتان بالبكاء)

وجيه - بعرضكم ! عندي دواء لكل داء ، الالبكاء النساء .

مدام زعرور - خربت بيتنا يا ووجيه . صيرتنا اضحوكة بيروت .

ابنتي فتاة جميلة .

وجيه - اجمل من حواله دولارات على National City Bank

مدام زعرور - ابنتي طلابها كثار .

وجيه - اكثر من طلاب الوظائف !

مدام زعرور - ابنتي فتاة مهيبة شريفة عفيفة نادرة !

وجيه - اندر بمن جمع قرش الفقير وسلمه للفقير .

مدام زعرور - يا لك من مجرم قاس . ان ابنتي هي روحي

واملي وحياتي ، انا ارملة ، وهي يتيمة . ولقد عضنا
الفقر وبرحت بنا الفاقة ، ولكن يد الدنس لم تلمس
عفافنا . وجيه ، انك تطعن ابنتي في شرفها وعرضها
اذ تطيل امد الزواج . ليت ابنتي عشقت جنياً ولم
تعشقتك !

وجيه - (في جد) اسمعي يا خالتي هدى . انت تعرفين اني
احب عايده . ان نفسي كثيية تنستر بالعبث والدعابة
ولكنك أمّ جائرة ، إذ تصرّين على المصاغ . اي علاقة
بين الحب والجواهر ؟ انا رجل فقير . من اين لي ثمن
مصاغ ؟ لن تزوج غداً . لن تزوج بعد هذا الظهر .
واتركي امر المصاغ لبعده الزواج . تتطلبين : خواتم ،
واساور ، وساعات ، وانا لا املك ثمن عقرب ساعة !
مدام زعرور - (ناحية) يا ذلي ! زواج بلا مصاغ ؟ هذا مستحيل !
الموت افضل !

وجيه - (مؤاسياً) انظري يا خالتي هدى (ينتشل علبة صغيرة
مخفية من الصحاره)

مدام زعرور - (يكاد يغمى عليها) مصاغ ؟ !!

وجيه - علب للمصاغ (يقرأ عن الحائط) هذه علبة لحاتم
الخطبة (كلما أظهر علبة تنظر مدام زعرور الى داخلها
وتصبح « فارغة ! ») هذه لحاتم الزواج . هذه خلقة
الكوكتيل . هذه لدبّوس البلاطين . هذه لاسوار
الالماس . هذه للبندنطيف . اليوم عندنا علب وغداً

نشتري مجوهرات !!

(يدخل خادم اللحام)

مسعود

— قبل ان تشتري مجوهرات ، ادفع ثمن اللحامات !

(يدخل اللحام توفيق ولهائه يكاد يطير سقف الغرفة . يلبس لباس اللعابين ، اذ يتدلى عن يمينه سكين اللحام الهائل وعن يساره المسن . يرتقي الى المقعد عيباً ، ويتلفظ بكلام ناري غير مفهوم . هيئته خفيفة . مدام زعرور ترتعب وتلوح بمنديلها . ام ظريف تهاجم مسعود بالمكينة فينهزم . ام ظريف ومدام زعرور تخفیان في الباب الخلفي)

وجيه

— (منفرزاً) اهلاً وسهلاً بالعم توفيق . اسمح لي ان اتلفن . (يتقدم من التلفون بهدوء وبعد ان يطالب نمرة ٣٤ - ١٢ يتكلم هامساً) هلو ... امين ... اسمع امين ... تلفن لي مرة كل ربع ساعة . فهمت ؟ ان تلفنت ولم يجيبك احد ، اخبر البوليس ان هنا قتيلاً . قتيلاً ، فهمت ؟ اخبرهم ان الاسباب مالية . تلفن مرة كل ربع ساعة . بخاطرك (يقفل التلفون) كيف حال العم توفيق ؟

اللحام

— حالي بالويل . يا استاذ وجهيه (يأخذ من جيبه دفترآ) في الثلاثة الاشهر الاخيرة اشتريت مني ٤٣ رطل لحم و ١٤ اوقية ثمنها ١٢٥ ليوا و ١٤ قرشاً . (صائحاً) يا استاذ ! بالعربي الفصيح ، بالعربي الطويل ، بالعربي العريض ، بالعربي المبلطح ، ادفع الحساب ! .. — بالطبع سأدفعه .

وجيه



اللاحام - صاحب بنك انا ؟ أنا لست بصاحب بنك . مليونار
انا ؟ ما انا مليونار . جعفر البرمكي انا ؟ ما انا بجعفر
البرمكي !

وجيه - انكرت الحساب انا ؟ أنا ما انكرت الحساب .
اللاحام - نحن ندفع ثمن البقر والحرفان بالنقدي . اجرة
الدكان بالنقدي . اجرة الحادم بالنقدي . حسابك
عمره ثلاثة شهور .

وجيه - ثلاثة شهور ؟ ! ما اسرع مرور الايام ! كم عمرك
الآن يا عمي توفيق ؟ !

اللاحام - (مفكراً) لما ماتت امراتي كان عمري ٤٧ . الآن
(بعد على اصابه) ٥١ . (حاقاً) لماذا تسألني هذا
السؤال ؟

وجيه - لأنني قلق عليك . ما سبب هذا الالهاث ؟

اللاحام - (مشيراً الى الخارج) . الدرج . صار صعباً عليّ صعود

الدرج . (متذكراً متأماً) راحت ايام الشباب !

وجيه - آه على ايام الشباب !

اللاحام - (كمن تذكر امرأ) حسابك يا استاذ . حسابك لم يعد
في ايام الشباب . (ضاربا الدفتر باصابه) لقد هرم
وطالت لحينه وابيضت ...

وجيه - اتدري يا عمي توفيق ان الشيخوخة ليست بعدد
الايام ؟ ! قل لي مثلاً اي شيء كنت تفعله في ايام
الشباب وتعجز عن فعله اليوم ؟

اللحام - (مقهباً) ايّ سؤال خبيث ! امور كثيرة اعجز
عن فعلها اليوم و كنت اقوى على فعلها في ايام الشباب !
وجهه - مثلاً ؟

اللحام - مثلاً ؟! (يقهقه من جديد) مثلاً ... درج هذه السلم
في ايام الشباب ... كنت افقره كالارنية ولا اتعب .
اليوم اتسلقه كالبطة . انظر إليّ ... كيف الهث .

وجهه - (متمشياً مفكراً) انا لا اقصد الامور الجسدية . الفتوة
في الروح . قل مثلاً في ايام شبابك كيف كنت
تعامل الخادّات في بيع اللحم ؟

اللحام - (ضاحكاً متذكراً) في ايام الشباب ... ان كانت
الخادّمة حاوة اعطيتهما احسن اللحم ...
وجهه - وان كانت بشعة ...

اللحام - ... اعطيتهما الجلد والعظام .

وجهه - مثلاً في ايام الشباب ، لو عجز زبون عن دفع
حسابه ، ماذا كنت تفعل معه ؟

اللحام - كنت اقول له بوجهه « الله يساحك » ومتى اُدار
ظهره ، العن دين أب خال اخت عم جد خالة صهرامه .
اما اليوم (متهدداً) فاني من اجل عشرة قروش اقتل
٢١ رجلاً .

وجهه - عمي توفيق ! سر الفتوة هو ان تفعل في كهولتك
ما كنت تفعله في ايام شبابك . تقبر المال ان كان
المال يقتل فتوتك ويجعل منك رجلاً شيخاً وانت في

الحُسين ، قل لي « الله يسامحك بالحساب » تر كيف
تشدد عضلاتك وتلع عيناك وتحضر الدنيا وتشع .

— (مشدوهاً) ها ؟!

— اخرج هذا السم من جهاز روحك . قل « الله
يسامحك بالحساب » ... قلها لا تخف .

— (بصوت خافت) الله ... يسامحك بالحساب .

— اعدّها !

(اللعام يعيد العبارة وكل مرة بصوت أعلى من مرة ثم هو يحس
عضلات ذراعيه ويعرض ب صدره ويتسم)

— ها انك اكتشفت سر الخلود . لقد صار الانسان

وحشاً يعبد نفسه ونسي الحب والتسامح والحلم . خذ

هذه الرسالة وبشر بها في هذا الوطن . ارجع الى

دكانتك ، واعطِ اللحم للجميلات ، وبع العظم والجلد

للقيجات . قل للناس اعطوا ... ساحوا ... هكذا

تبقون فتياناً . اعطوا ! ساحوا ! (يصفق كعلم الرياضة

واحد ... اثنين ... ثلاثة) اعطوا ، ساحوا ! واحد ..

اثنين ... ثلاثة ... الله ... يسامحك ... بالحساب .

(اللعام في سكرة روحية يقوم بالغاب جيمناستيكية على وقع

تصفيق وجيه وتغنيه . التلفون يرن . حينما يدير هذا ظهره ،

يمشي اللعام نحو الباب الأيسر ثم ينهال بالشتائم مطلقاً اياها نحو

وجيه ، بحيث لا تسمع النظارة تلك الشتائم ولكنهم يفهمون
انه يفوه بها . اللعام ينصرف)

— (على التلفون) لا يوجد قتيل بعد ، انما داوم على التلفنة

اللعام

وجيه

اللعام

وجيه

وجيه

وجيه

مرة كل ربع ساعة . (الى ام ظريف ومدام زعرور وقد

ظهرتا في الباب الخلفي) اين العم توفيق ؟

ام ظريف — سافر ...

(وجهه يسرع الى الباب الخلفي فيقفاه بعنف)

وجهه (الى ام ظريف) — لا تفتحي لأحد حتى نعرف من هو . الحمد

لله .. هذا حساب وفينااه ! (يتمدد على المقعد المثلث)

وجهه — (يخاطب ام ظريف بالاشارة ان تسأل من الطارق)

ام ظريف — من انت ؟

صوت من الخارج — انا الاستاذ الكعب بن الحميد

الطهينشاوي .

وجهه — (يمثل ان مصيبة وقعت على رأسه ويشير الى ام ظريف ان

تقول للطارق انه غير موجود)

ام ظريف — وجهه في البلد .

الصوت — هلاً فتحت الباب سيدي ؟ !

— سكوت

الصوت (بعد سماع قرع على الباب) هلاً فتحت الباب سيدي

فاني لتارك لوجه رسالة .

(وجهه يهرب من الباب الخلفي آخذاً معه السكين الكبير ومهدداً

ام ظريف بأنه يقتلها ان افشت سر وجوده في الداخل . ام ظريف

تفتح الباب ويدخل الكعب)

الكعب — عمماً صباحاً يا سيدي القعرتين . (يدير نظره في الغرفة)

يا بهجة العيد ! يا لها من حجرة ولا قصور الزهراء او

الحرء . واني يا سيدي في غد الى بغداد ظاعن .

ام ظريف - لا تؤاخذني انا لا اعرف فرنساوي .

الكعب - (ضاحكاً) يا بهجة العيد ! وانه لزام عليّ ان اُكل الى حضرتكما هذه الاخطوطة - يجوز ان يقال بخطوطة انما الاصح ان يقال اخطوطة . لقد وعدني الاستاذ وجيه بان يجد لها ممولاً ينشرها . يجوز ان يقال رأسمالي انما الاصح ان يقال ممول . يا بهجة العيد ! (يضع نظارته على انفه ويتكلم فيها هو ينتشل مخطوطات هائلة) استقراء مخضوض مزبطر . (يقلب المخطوطات) الجزء الاول : امرؤ القيس ، اسمه وكنيته . الجزء الثاني ، في ان حقيقة امريء القيس هو « جيدح » . يا بهجة العيد ! الجزء الثالث « في ان امرأ القيس لم يكن اسمه جيدح بل جيدج » . الجزء الرابع « سر الاسرار ودعش الاخبار في حقيقة امريء القيس » . سيدتي ، ان في هذه الاخطوطة ما لم يره ابن بطوطة . هنا سر الاسرار ، وسفر الاسفار . ان هذا المؤلف يجيء ببرهان حنظفوش قاطع ان امرأ القيس لم يكن اسمه جيدج ولا جيدح . ان امرأ القيس كان اسمه امرأ القيس .

مدام زعرور }
ام ظريف } يا بهجة العيد !

الاستاذ - (يسلمها المخطوطات) سيدتي ! وهل لي ان اسألكما

عن فتى بافع غص الاهاب ، اسمه الشيخ نسيب وهاب .
تراه مرة بهذه الدار ؟!

مدام زعرور - (تريه الجريدة) تقدر ان تراه في هذه اللوكندة .

الاستاذ - يقال فندق ولا يجوز ان يقال لو كندة ..

(يدخل حيمور) - نهاركم سعيد .

الاستاذ - عم صباشاً سيدي (مقدما يده) انا الاستاذ الكعب .

بن الحميد الطهنشاي .

حيمور - انا نايف حيمور مهاجر عائد من غرانيلا .

الاستاذ - يجوز ان يقال مهاجر انما الاصح ان يقال مغترب .

ألا روى الغيث ضريح الشاعر اذ قال :

يمضي ولا حلية الا عزيمته

وينثني وحلاه المجد والمال

(يعيد « المال »)

ام ظريف - يا حضرة الاستاذ ، لقد فلقطني !

الاستاذ - (على الباب منصرفاً) يجوز ان يقال فلقطني ، انما

الأصح ان يقال فججيتني . لان فعل فجج ورد في

مقامات الحريري ؛ اما فعل « فلق » فانه ما ورد في مقامات

الحريري . عثم صباحاً (ينصرف)

(يطل وجهه من الباب الخلفي فيأكد ان الاستاذ رحل)

وجهه - أو ... و ... ف . ز . ب . حضرتك ؟

نايف حيمور - ارساني اليك صاحب جريدة « نهضة الفجر » .

وجهه - حضرتك نايف افندي حيمور ؟

نايف - سي سنيور !
 وجيه - رجعت من « غرانيللا » في الاسبوع الماضي .
 نايف - سي سنيور !
 وجيه - بعد غياب ٣٤ سنة ؟
 نايف - سي سنيور !
 وجيه - (بلهجة خطابية) ان المهاجرين هم سواعدنا ، وآمالنا ،
 والجزء المتعم لوطنتنا . فيهم قوانا وعليهم اعتمادنا .
 « يمضي ولا حلية الا عزيمته وينثني وحلاه المجد والمال »
 (يعيد « والمال »)

وجيه - سي سنيور !
 نايف - سي سنيور !
 وجيه - (يفتش بين اوراقه في منتصف الصحاره عن اوراق منها
 جريدة كلها بيضاء الا صورة وبضعة اسطر مطبوعة)
 وجيه - هذه صورتك . ستظهر في الصفحة الاولى . وهذا
 ما سيظهر تحتها (يقرأ) « عاد من المهجر بعد نيّف
 وثلاثة عقود ، المهاجر الكبير نايف افندي حيمور مثقلاً
 بثمار جهاده . وسيستقرّ في مسقط رأسه بلدة « عين
 الحرّوب » . شي جميل هاه ؟! اعتقد ان ٣٠٠ ليرة
 تبرّع كافية . هنا مكنتي (مشيراً الى الغرفة) مكتب
 دعاية . كل شي غال ، هذه الايام . خذ اجار هذه
 الغرفة ، اتدري كم هو اجار هذه الغرفة ؟
 نايف - نو سنيور !

وجهه - لو اخبرتكَ لا تصدِّق .
 نايف - (متأملاً في الرسم) أحب ان يظهر اسمي في
 الاسبنيولية . نايف حيمور في العربي هو
 Nicola Hayme بالسبنيولي . هل يمكنكم الطبع
 بالسبنيولي ؟

وجهه - سي سنيور !
 (صمت)
 وجهه - مسألة اللاتينية لير...؟!
 نايف - يا استاذ وجهه ، هذه الصورة ، وهذا الكلام -
 شي جميل . انما هذا امر عادي . كل مهاجر يعود ،
 'تنشر صورته ويقال عنه انه مهاجر كبير . الذي
 اريده هو لقب .

وجهه - نايف بك ؟
 نايف - نو سنيور !
 وجهه - الشيخ نايف ؟
 نايف - نو سنيور !
 وجهه - الامير نايف ؟!
 نايف } نو سنيور !
 وجهه }
 نايف - (يفتح حقيبته ويأخذ منها ورقة) اسمع ! في بلادنا
 (يقرأ من الورقة) ١٢٣ و ٥١٤ امير ، ٨٧٣ و ٦٤٣ بك ،
 ٢٢٤ و ٥١١ شيخ . انا لا أريد مثل هذه الالقاب .

اريد لقباً - مثل امير الشعراء يعرف انه شوقي -
شاعر القطرين ، يعرف انه خليل مطران . اريد
هكذا لقباً .

وجيه - ما رأيك باسم « الحيمور الأكبر » ؟ (نايف يشمئز)
بالطبع هذا لا يوافق . اسمع . انت تنظم الشعر
بالطبع ؟ . اسمعني شيئاً من نظمك .
نايف (بدلال) - حينما أرسلت صورتي لحالتي شاهينة كتبت
تحتها بيتين :

اهدي اليك صورتي يا خالتي يا رجوتي
من بعد هذي الغربة قلبي يحن للرجعة
وجيه - جميل ! جميل ! بديع . انت من « عين
الحروب » واسمك بلبل « عين الحروب » !

نايف - لا بلبل ولا حسون (يقرأ من الورقة) يوجد في
بلادنا ٨٤١١ بلبل و ٦٤١٥ حسون . اريد شيئاً غير
اعتيادي . (بعد صمت وتفكير يتطلع الواحد بالثاني)

نايف }
وجيه } « نوسنيور ! »

وجيه - الم تشتغل بالامور الوطنية ؟

نايف - نعم وقعت برقية احتجاج على الصهيونية ، وتبرعت
بثلاثة دولارات للمكتب العربي في نيويورك .

وجيه - لنسّمك « المجاهد الاكبر » او « ملك المحسنين » !

- نايف } نوسنيور !
وجيه
- (بعد تفكير وحك رأس وصمت)
- في « عين الحروب » يوجد مدرسة ? وجيه
- مدرسة عظيمة فيها ٥٦ تلميذاً . نايف
- (كمن اكتشف امرأ عظيما) نطلق على المدرسة اسم وجيه
« الجامعة الحروبية » ، والجامعة الحروبية تمنحك لقب
دكتوراه - دكتور حيمور ... اسمح لي ان اكون
اول المهنيين .
- اشكرك . اشكرك . نايف
- دكتور حيمور ! وجيه
- اشكرك (ثم تراخي ابتسامته الى عبوسة ويصبح) نايف
'نوسنيور !
- ولماذا ? وجيه
- دكتور ؟! ربما يفتكروني طبيب بيطري ... نايف
- لماذا لا ترشح نفسك للنيابة ? وجيه
- ما الفائدة ? سأخسر بدون ريب . نايف
- ترشح نفسك للنيابة ثم تخسر ، ويصير لقبك وجيه
« المرشح للنيابة سابقاً » .
(نايف يظهر اشمئزاه) .
- اسمع . ألم يولّع معك الغرام ولا مرة في حياتك ? وجيه
- (متذكراً ضاحكاً) بلى . ولّع الغرام معي مرة . نايف

- وجيهه - وماذا كان اسمها ؟
- نايف - 'تو' ما صا Tomasa .
- وجيهه - ما قولك بمجنون 'تو' ما صا Tomasa مثل « مجنون ليلى » ؟
- نايف (يظهر استمرازه)
- وجيهه - نو سنبور !
- وجيهه (اشرق وجهه وانفعل حماساً كمن حل معضلة) وجدتها !
- نايف - (باباء وكبر وغضب) ما هذه الالهانة يا استاذ وجيهه ؟
- هل دعوتني الى بيتك حتى تحقرني ؟! ابن عمي اسعد حيمور دكانه ببابين سمته جرائد المهجر « عبقر العباقرة » وانا دكاني بستة ابواب وتريد ان تسميني « نابغة النوابع » فقط ؟!
- وجيهه - (مراضياً) لا تؤاخذني يا اخي . الذنب ذنبي . حين لا اشرب القهوة في الصباح تحمل قريحتي .
- نايف - ولماذا لم تشرب القهوة ؟
- وجيهه - (مشيراً الى الداخل) لاني ممنوع عن القهوة ! طبعاً لقب « نابغة النوابع » غير موافق ، ولكنك لو ذكرت لي سيرة غمارك في المهجر - في غرانيلا - ربما استوحيت لك لقباً موافقاً . ذكرت ان دكانك كان بستة ابواب . اخبرني كيف جمعت هذه الثروة ؟
- نايف - والله يا استاذ وجيهه ، لما وصلت الى غرانيلا كان

لي خال في العاصمة - سائتاً كروز - عاصمة غرانيلا .
فتح لي دكاناً في البرّ في بلدة اسمها « سائتاً آنا » -
وكان خالي يرسل لي مجوهرات ، صيغة . الكلام بيني
وبينك كانت الصيغة مقلّدة . كنت جمعت ثروة
عظيمة لولا غلطة . كان الشغل جيداً والارباح واهية .
كان خالي يقيّد عليّ كروس الخواتم باربعة دولارات ،
وكنا نبيع الخاتم الواحد باربعة دولارات .

- تشتري الكروس باربعة دولارات ، وتبيع الخاتم
باربعة دولارات ؟ - هذه تجارة غائّة .

- تجارة غائّة لولا تلك المصيبة .

- اي مصيبة ؟

- كنت ادفع لخالي على حساب الكروس ١٢ خاتماً
ولم اعرف ان الكروس ١٢ دزينة خواتم .

- وخالك ، الم يحاسبك بالفرق ؟

- يا استاذ وجيه - في التجارة الحال لا يعرف ابن

اخته . بلي كانت طيبة تلك البلاد - كم بعنا من

خواتم كذّابة ، ذهبها نحاس ، والماسها زجاج ،

واساور وساعات مزيفة . (متنبهاً) التجارة يا استاذ

وجيه تحتاج الى مقدرة .

- الظاهر هكذا .

- ما كنت رجعت لهذه البلاد لولا حكومة غرانيلا .

الله يلعن تلك الحكومة - راحوا انتخبوا رئيساً

وجيه

نايف

وجيه

نايف

وجيه

نايف

وجيه

نايف

للجمهورية شاباً متحمساً . أتدري ماذا فعل ؟ الله
يلعنه ! الله يلعنه !

وجه - ماذا فعل ؟

نايف - فتح في كل بلد مدرسة .

وجه }
نايف } الله يلعنه !

نايف - فحملت مجوهراتي واقفلت دكاني ورجعت الى

« عين الحرّوب » .

وجه - يعني جلبت مجوهراتك معك ؟

نايف - نعم (يفتح الحقيبة ويناول وجه الكثير من الخلق
والساعات والحوائم)

وجه - هل تقدر ان تبيعها هنا ؟

نايف - هنا لا يشتريها احد . لذلك انا افرقها هدايا .

تفضل يا استاذ خذ منها ما تشاء . هدية مني .

وجه - اشكرك . اشكرك . سانتقي كم قطعة .

(كلما انتقى قطعة يسير بها نحو الحائط حيث كتبت قائمة المصاغ)

ثم يرجع ويأخذ سواها . نايف يقلل حقيقته ويتهبأ للرحيل .

وجه يرجع الى نايف (يلزمني ساعة يد نسائية .

نايف - تكرم . هذه كنا نشترها بالكيلو (يعطيه ساعة) .

وجه - يا نايف ، ان سيرة حياتك أوحى لي اللقب الذي

يليق بك . انت عصامي . أتعرف ما هو لقبك ؟

نايف - صار لنا ساعة نفتش عليه .



وجهه - انت لا تريد لقباً عادياً . انا لا الوملك . بلادنا كلها
امير ، بك ، شيخ ، باشا ، مقدم ، افندي ، خواجه ،
امير الشعر ، امير الزجل ، عميد المهاجرين ، المجاهد
الاكبر ، حسون ، بلبل ، بطل الابطال ، الوطني
العظيم ، العبقري ، النابغة ، العلامة ، المهذب الاعظم ،
لقبك انت هو اسمك المجرد .

نايف - صحيح ؟

وجهه - هكذا تكون الشخص الوحيد في هذه البلاد
الذي ليس له لقب . لقبك نايف حيمور .

نايف - (فرحاً) لقبى نايف حيمور !!

وجهه - اسمك نايف حيمور فقط لا غير .

نايف - اسمي نايف حيمور فقط لا غير .

وجهه - سنذيع هذا الخبر في الجرائد وعلى الراديو ...

(نايف يفتح حقيبته)

نايف - ثلاثمائة ليرة تكفي ؟

(ام ظريف تظهر في الباب الخلفي)

وجهه - كل شيء غالي هذه الايام . اتعرف كم ادفع اجار

هذه الغرفة ؟ اتدري كم ثمن كيلو اللحم ؟ اتعرف كم
يكلف فنجان القهوة ؟

نايف - صحيح كل شيء غالي (يسحب دفتر الشكايات ويكتب)

هذا التشاك بمئة ليرة

وجهه - كثر الله خيرك (نايف يناول التشاك لوجهه فيمد هذا

يده اياخذه . نايف يسترجع التشاك بغضب وينزقه)
 نايف — 'نو سنيور . انت عملت معي معروفاً كبيراً ولن
 ادفع لك ثمنه . هكذا تصبح الشخص الوحيد في هذه
 البلاد الذي عمل معروفاً ولم يقبض ثمنه . بخاطرك .
 (حينما يصبح على الباب) واشكرك جداً (Gracias Senôr)
 (ينصرف) .

وجيه — عبث . عبث . بدون قهوة كل شيء باطل .
 (يتذكر امرأ فيأخذ قطع الصيغة ويضع كل قطعة في علبة
 ضاحكا مترنماً — عاش تعساً .. ترجع ام ظريف ومدام زعرور
 فيظاھر كأنه بوغت وهو في عمل سري)
 ام ظريف — هل سافر النو سنيور ؟
 مدام زعرور — ما هذا ؟

وجيه — آه يا خالتي ام هدى . كنت اريد ان اريك هذه
 الجواهر متى وصلت عايده . فلماذا فاجأتني ؟

مدام زعرور — (تفتح علبة) يا ماما . الماس يا ماما (تفتح علبة ثانية)
 يا ماما ! بلاتين يا ماما ! (تفتح علبة ثالثة) يا ماما ذهب !
 ذهب عيار ٢٤ (تهجم على وجيه فقبله) يا ابني عفوك
 عني . يا فخري . يا ولدي . يا صهري . عايده ستجن
 بهذا المصاغ . (تخاطب ام ظريف التي اقتربت لترى) انت
 لا تعرفين بالصيغة . انا ابنة سوق المجوهرات . وجيه
 لا تخبرني كم دفعت . اتركني لوحدي اثنى . الماس !
 هذا ازرق ابيض . قطعة نظيفة اللون ، بديعة .
 (متفرسة به) لا . لا . خال من كل سقط . اربعة

قراريط الحاتم . الحلق والاسوار سبعة . سبعة

واربعة = احد عشر . والساعة ؟! وجيه لقد دفعت

ثمن هذا المصاغ اربعة عشر الف ليرة . مضبوط ؟

وجيه - الصائغ صاحبي . اعطاني اياها ارخص بكثير .

مدام زعرور - انا كل يوم في سوق الصياغ . افحص وادرس

وأسأل عن الاسعار . بكم اشتريت هذا المصاغ ؟

وجيه - الصحيح ، خالتي هدى ، دفعت ثمنه تسعة آلاف ليرة .

مدام زعرور - ما ارخصه !

ام ظريف - ما ارخصه !؟ كل جواهر الارض لا تسوى رطل

بندوره .

مدام زعرور - انت يا ام ظريف لا تفهمين قيمة الصيغ ، ولا

اهمية المصاغ .

وجيه - ما رأيك بفنجان قهوة يا ام ظريف ؟

ام ظريف - تصرف الوف الليرات على على ... هذه

الزبالة ، وتطلب مني فنجان قهوة ، واجار الغرفة نائم

منذ خمسة عشر شهراً ؟

وجيه - هذه بصّة النار التي فجّرت مستودع الديناميت

الآن - هذه الساعة - اعلن الثورة . ام ظريف : هذه

الغرفة يرسم الاجار . لقد خسرت مستأجراً .

(يكمل لبس ثيابه)

مدام زعرور - كيف تترك هذه الغرفة ؟ ألم تسمع بازمة البيوت

يا ... يا ... مجنون !؟

وجهه - هذا عيونا . كلنا عقلاء . هذا الوطن لن يسعد الا
متى كثرت مجانينه . ما انا بالرجل الشريف انت
خضعت لاستبداد ام ظريف .

مدام زعرور - وعابدة ؟ عابدة ستكون هنا بعد قليل .
وجهه - قولي لها ان تنتظري .

مدام زعرور - ولكن ، انت ذاهب الى اين ؟
وجهه - الى القصر ، أو الى الياخور . الى حيث يسكبون
القهوة في الطناجر . الى حيث لا أرى ام ظريف .
(يريد الانصراف من النافذة التي الى يمين النظارة)

مدام زعرور - (مشية الى الباب الايسر) الدرج هناك .
وجهه - سأخرج من النافذة . كل عمري ادخل البيوت
واخرج منها من طريق الباب . من الان فصاعداً
سأدخل البيوت من نوافذها . سأمشي على رأسي
وانقرس بالناس مغمض العينين . سأقبل البشر بقبضتي
وأدغدغهم بقدمي . (قرب النافذة) سأتروق أطفالاً
مشوية والعب فوتبول بالقنابل الذرية (يقفز من النافذة .
ام ظريف ومدام زعرور تبقيان صامتتين . يرن التلفون فتنهض
اليه ام ظريف متممة مثاقلة)

ام ظريف - (الساعة الى اذنها) هاه ...! هلهو؟؟ رجعت تحكي
فرنساوي يا ملعون ؟! (تقتلع الشريط الذي يربط التلفون
بالحائط وترمي بالتلفون والشريط الى الارض . ام ظريف صامته
غضبي . مدام زعرور تتطلع بالصيغة معجبة) .
مدام زعرور - (خلال هذه المحادثة تجرب الصيغة معجبة امام المرأة ، على



زندها، واذنيها واصابعها) لقد كنت قاسية على وجهه .
ربما لا يعود .

ام ظريف - لا يعود ؟ لا تخافي . هو يمثل هذا الدور كل يوم .
صدقت راح يفتش على غرفة ؟ راح يشرب قهوة عند
« صالون جعفر » . الذي لا افهمه هو كيف قدر ان
يدفع تسعة آلاف ليرا ؟

مدام زعرور - هذا الغرام . ألم تسمعي بالحب . سبحان من خلقك
يا ام ظريف ، لا بالمجوهرات تفهمين ، ولا بالحب
تؤمنين . حضري لوجهه فنجان قهوة . أليس
عندك بن ؟

ام ظريف - عندي بن . الذي ينقصني هو النعم .
مدام زعرور - (مشيرة الى مخطوطة امريء القيس) عندك ورق
كثير ؟

ام ظريف - صدقت (تأخذ المخطوطات وتسير الى الباب الخلفي واذ
تبلغه تخاطب مدام زعرور مقلدة الاستاذ) يجوز ان يقال
مخطوطة ، انما الاصح ان يقال اخطوطة ! (تختفي) .
(مدام زعرور تستمر في تقليد المجوهرات والاعجاب بها .
تتغنى باغنية افرنجية ، ثم تنفض اذ تسمع نائحة خلفها ، هي نائحة
نايف حيمور)

نايف - اريد ان اكلم الاستاذ وجهه بامر هام ، هام جداً .
مدام زعرور - (لم تسمع ما قال) رعبتني !
نايف - الاستاذ وجهه ، بالطبع تعرفينه ؟

مدام زعرور - الاستاذ وجيه سيصير صهري . هو مجنون بغرام
 ابنتي . لما سمع ان غيره يطلب يدها هددنا بالانتحار .
 انت تنظر الى هذه الغرفة الحفيرة ، فتظن ان وجيه هو
 فقير . وجيه متواضع . حينما قلت له اريد مصاعلاً ابنتي
 (تطلق باصبعها) لبيك عبدك بين يديك - انظر ماذا
 اشترى . كل هذا المصاغ بتسعة الاف ليرا فقط .
 من يصدق ؟ من يصدق ؟

نايف - ياسنيوره ، انا صانع . اسمحي لي ان افحص هذه
 الجواهر .

مدام زعرور - صحيح انك صانع ؟ ما اكبر حظي ! ثمّنها لي .
 (تعطيه قطعة قطعة ، وهي خلال ذلك متدفئة في الحديث
 ونايف يفتحها بتأن . اخيراً يأخذ من حقيبته منظار الصائغين ،
 فيفحص الجواهر ، والمنظار على عينه اليمنى ثم اليسرى ، ويطل
 النظر في العلب المخملية) . رأيت حجر هذا الحاتم ؟
 ألاحظت بياضه المزرق ؟ الساعة هل فتحتها ؟ هل
 عدت جواهرها الواحدة والعشرين ؟ والاسوار !
 مثل هذا البلاتين لا يصنع الا في أمستردام . ألاحظت
 ان قصّ هذه الاحجار هو قصّ لندن ؟ كم ثمّنها
 في رأيك ؟

نايف - ياسنيوره ، هذا المصاغ يساوي ثروة . اعتقد انه
 يساوي لا أقل من ثلاثين ألف باسو peso !

مدام زعرور - باسو ؟ ما هو ال peso ؟ عملة بطلت ان شاء الله !

نايف - (يحسب على اصابعه العشرة) 'نو سنيورة . ثلاثون الف

باسو peso يعني خمسة واربعين الف ليرا

مدام زعرور - وجيه دفع ثمنها تسعة ! تسعة آلاف ليرا فقط !

نايف - وكيف قدر يشتريها بهذا الرخص ؟

مدام زعرور - اشتراها من صديق له .

نايف - يا سنيوره ، في التجارة لا الصديق يعرف صديقه ، ولا

الحال يعرف ابن اخته . الظاهر اشتراها من ...

من ... حمار لا يعرف قيمة الجواهر . (بعد الافتكار)

يا سنيوره ، أنا رجل تاجر .

مدام زعرور - انت اكبر قدر .

نايف - لي اقتراح عليك . هذا المصاغ رأسماله تسعة آلاف .

أنا اشتريه بخمسة عشر . أعطي وجيه التسعة ، وليذهب

الى صديقه فيشتري المصاغ مرة ثانية ، هكذا تعملين

صفقة تجارية .

مدام زعرور - أنا لا اريد عمل صفقة تجارية ، اريد مصاغاً لابنتي .

نايف - قلت لك ان وجيه يشتري المصاغ مرة ثانية .

مدام زعرور - لو فرضنا اشترينا المصاغ مرة ثانية فماذا نفعل

بالصفقة التجارية ؟

نايف - الصفقة التجارية معناها انك تشتري المصاغ من

جديد ، وتربحين ستة آلاف ليرا ، فيبقى المصاغ معك .

مدام زعرور - اذا كان هذا صحيحاً ، فاعطني ستة آلاف ليرا ،

وابقى المصاغ معي ، وخذ أنت الصفقة التجارية . نحن

لم ندخل المدارس ولم نهاجر ، ولكن يجب ان نفهم انني
لست امرأة جاهلة .

نايف - ياسنيوره . صدقت ! انك لا تفهمين بالتجارة .

اعرض عليك ربح ستة آلاف ايروا فترفضين ، بخاطرك

(يدير ظهره لينصرف) .

مدام زعرور - على مهلك . أين الفلوس ؟

نايف - (يفتح الحقيبة) هنا . (يأخذ دفتر التškات ويربها اياه)

مدام زعرور - أنا لا أرى الفلوس .

نايف - هذا دفتر التškات . اعطيك تشاك بخمسة عشر

الف ايروا فيدفعه لك البنك .

مدام زعرور - واذا لم يدفع البنك ؟

نايف - البنك مجبور أن يدفع .

مدام زعرور - لماذا ؟

نايف - لان فلوسي عنده .

مدام زعرور - ولماذا تسلّم فلوسك للبنك ؟

نايف - كل الناس يضعون فلوسهم في البنك . حضرتك

ياسنيوره اين تضعين فلوسك ؟

مدام زعرور - اذا كان معي فلوس قليلة ، أضعها في جزداني . اذا

كان معي فلوس كثيرة أضعها في كلساتي . اما اذا

كان معي فلوس كثيرة كثيرة ، - آ ، لن اخبرك أين

أضعها ... خلاصة الحديث ، ادفع لي عملة ، فاعطيك

المصاغ .

نايف - طيب سادفع لك عملة . كنت مهيناً هذا المبلغ
لأخذه معي للجل لشراء كرم زيتون . (يأخذ
كدسات فلوس من الحقيبة) تفضلي . انما ما دمت تصرين
على استلام نقد فاني أصر على ان تعطيني خصم عشرة
بالمئة .

مدام زعرور - اذا اعطيتك خصم عشرة بالمئة ، يا دلي ، شو بيبقالي ؟
نايف - يبقى لك ١٣٥٠٠ ليرا ، مبلغ كبير .

مدام زعرور - صار معي وجع راس من هذه الصفقة التجارية .
الآن افهم لماذا بعض الاحيان التاجر ينتحر .

نايف - (يعطيها الفلوس ويأخذ المجوهرات) بخاطرك باسنيوره .
سازور الاستاذ وجيه بعد رجوعي من الجبل .
(على الباب) الله يعوض عليك (ينصرف) .

مدام زعرور - الله يبارك لك . (تخفي قليلا من الفلوس في جزدانها
وشيثاً في كلساتها ، ثم تبدأ بحل حزامها اذ ترجع ام ظريف) .
ام ظريف - القهوة ابتدأت بالغليان . ما هذا ؟ ما تفعلين ؟
مدام زعرور - هذه تجارة .. بعت المصاغ .

ام ظريف - يا ربي تنجيننا !
مدام زعرور - علامتك يا ام ظريف انك لا تفهمين : لا بالمجوهرات
ولا الغراميات ، ولا التجارات .

(فيما هي تفك تنورتها ، يباغتها النعام ، فتصرخ وترجع باقية
الفلوس الى جزدانها) .

النعام - اين حبيب القلب وجيه ؟ هذه هدية له .



أم ظريف - من انت ؟
 اللحام - انا اللحام توفيق - أنسيتني ؟
 أم ظريف - اين شواربك ؟
 اللحام - راحت مع ذنوبي . يا أم ظريف : صرت امرء . رجعت
 الى الصبا . طلعت الدرج بقفزين . (يقوم بالغاب بهلوانية)
 آه ما أجمل الشباب !
 مدام زعرور - كيف رجعت الى الصبا ؟
 اللحام - شربت دواء كريهاً .
 أم ظريف - ذوقني اياه ، ولو كان اكره من زيت الخروع .
 مدام زعرور - أعطني منه قنينة . اعطني خمس عشرة قنينة ، ادفع
 لك ثمن القنينة الف ليرا ، واعطيك عشرة بالمئة خصم
 وصفقة تجارية .
 أم ظريف - هذا الدواء للرجال فقط ؟
 اللحام - هذا الدواء هو للرجال وللنساء . ليس له ثمن ولا
 يوضع بقناني (بلهجة خطائية) اغسلوا ارواحكم ترجعوا
 الى الصبا .
 أم ظريف - (بدأت تفك اعالي ازرار فستانها) أنا أريد أن اغسل
 ررحي وأرجع الى الصبا .
 اللحام - تريدن ان ترجعي الى الشباب ؟
 أم ظريف - بالطبع .
 اللحام - هل لك على احد دين ؟
 أم ظريف - اجار خمسة عشر شهراً على وجيه .

اللاحام - (يوقفها وقفة عسكرية عتلية) افعل كما افعل ، ورددي الكلام من بعدي : الله يساحكك بالحساب . واحد اثنين ثلاثة ...

(تردد هذه التمارين بضع مرات ، فتبدأ في ضعف ثم تمشد عضلاتها شيئاً فشيئاً ، وتقوى لهجتها ، وفي آخر الامر ترقص في غنج ودلال وترتمي على المقعد مغنية « الهوى والشباب »)
مدام زعرور - الان دوري (تقف وقفة عسكرية) اعطني تمريناً .

اللاحام - هل لك دين على أحد ؟

مدام زعرور - لا

اللاحام - هل عملت عملاً قبيحاً ؟

مدام زعرور - ر... ع... م .

اللاحام - قولي ما هو .

مدام زعرور - امام الناس ؟ لا أبوح بشيء امام الناس .

اللاحام - اذاً فابقي عجوزاً كل حياتك - عجوزاً شطاء .

ام ظريف - صارحي الناس بما افترفت يا مدام زعرور ! اخبريهم

عن آثامك ، ولو انها افظع الجرائم . آه ما اجمل الصبا !

اني اشعر بسحر الفتوة ودبيب الغرام .

(تغني « يا حبيبي اكلمنا ضمناً للهوى مكان »)

مدام زعرور - لقد بعث مصاغ ابنتي .

اللاحام - واحد ... اثنين ... ثلاثة ... اربعة .

ألغني ... البيعة ... رددي ... المصاغ .

(يعيدانها بضع مرات)

اللاحام - والآن كيف تشعرين ؟

مدام زعرور - اشعر كأنني عصفور في جنائن بعلبك . ولكني بدون جناحين .

اللحّام - هل اقترفت جريمة ثانية ؟

مدام زعرور - لا ...

اللحّام - هل انت متعصبة لعقيدة هوجاء ؟

مدام زعرور - لا ... انا لست متعصبة ، ولكني لن ازوج ابنتي بدون مصاغ .

اللحّام - آآ... فهمنا . (يوقفها وقفة جناسيكية مرة ثانية) واحد ...

اثنين ... ثلاثة ... اربعة

تزوج ... بنتي ... بدون ... مصاغ .

(يعيدانها بضع مرات وفي كل مرة تقوى لهجتها ، وتتصلب .

عضلاتها ثم ترقص في غنج حتى ترتمي قرب ام ظريف)

ام ظريف - ما اجمل الصبا !

مدام زعرور - ما اجمل الشباب !

ام ظريف - انا احلم بـ

مدام زعرور - وانا احلم بنفس الموضوع .

(تدخل عايذة حاملة بضع علب كبيرة) .

عايذة - ماآما ماآما

مدام زعرور - عايذه ، حبيبتي ! امك صارت اصغر منك !

ام ظريف - وانا صرت اصغر من امك !

عايذة - ما هذا الكلام ؟ ماذا جرى ؟ اين وجهه ؟

مدام زعرور - وجهه خرج يؤلف جيش الثورة !

عايدة

— يا ربي انا بجنونه ، ام هم بجانين ؟ !

(مدام زعرور تخطف جزدان ابنتها فتفتحه وتسابق هي وام ظريف ، الواحدة تبودر وجهها والثانية تحمر شفثيها ، ثم تتخاطفان المرأة الخ... عايدة تفتح احدى العلب وتري امها بعض فساتين وبرانيط)

عايدة

— ماما . انظري ما اجمل هذا الفسطان ! والبرنيطة ..

(ام ظريف ومدام زعرور تتخاطفات الفساتين والبرانيط وتهرعان نحو الباب الخلفي) .

ام ظريف — (على الباب) من بعدك . انا احترم العمر .

مدام زعرور — من بعدك . انا احترم العمر (الثلاث ينصرفن)

(يدخل من الباب الايسر العواد لاهثا)

العواد — اين الاستاذ وجيه ؟

الحمام — لا ادري . انا في انتظاره . ماذا تريد منه ؟ اذا

كان لك عليه دين

العواد — ليس لي عليه دين . ولكنني اريد ان اراه . الدنيا

تغيرت يا اخ . الدنيا انقلبت رأساً على عقب .

الحمام — يا اخ انت غلطان ! الدنيا انقلبت عقباً على رأس ..

العواد — يا اخي اسحق علي ، ولا تهزأ بي . اتفقت على احياء

ليلة غناء وطرب مع جمعية « السلام والتفاهم » . حينما

سمعوا نشيدي رفضوه . يريدون شيئاً عصرياً —

افهمت ؟ لا يعجبهم « باليل والنهود واللمى واللعاب » .

ضاعت المروءة والشرف . خلص . انتهى الامر .

خربت بلادنا . اين الاستاذ وجيه ؟ ساشتري نشيده



بايّ سعر كان . (يدخل الشيخ نسيب مع ابنة اميركية
لابسة قميصاً للسباحة مختزلاً) .

الشيخ نسيب - (صارت لهجته متأمركة) اين مستر وجيه ؟
اللاحام - كلنا في انتظاره . ماذا تريد منه ؟

الشيخ نسيب - اريد ان اعطيه (يسحب ورقة من جيبه) استعفائي
من وظيفة الجمرک واشكره على نصيحته .

اللاحام - ايّ نصيحة ؟

الشيخ نسيب - تبعت نصيحته ، والآن ظفرت بهذه الخطيئة
الاميركية - مس جونسون .

اللاحام - وكيف كان ذلك ؟

الشيخ نسيب - رحت الى الهوتال . قرعت باب غرفتها . أطلّت
مس جونسون . قلت لها I love you ، انا احبك .
اجابتنني I love you . انا احبك . بعد نصف ساعة
نتزوج .

اللاحام - ولماذا تريد ان تستعفي من الجمرک ؟

الشيخ نسيب - بلادنا لانتحاج الى موظفي حكومة . بلادنا محتاج
الى عمران . ما هي اهم حاجات العمران اليوم ؟
البناء . الى ماذا نحتاج في البناء ؟ الى مسامير . ابوها
صاحب معمل مسامير .

اللاحام - هل هي وحدها في الهوتال ، ام معها رفيقة ؟

الشيخ نسيب - معها رفيقة ابوها صاحب ٢٠٠ الف راس بقر .

اللاحام - (يسن سكينه ويهرع نحو الباب) ما اسم الهوتال ؟



الشيخ نسيب - « زهرة بيروت » (اللعام ينصرف ثم يرجع)
 اللعام - على فوقه ، رفيقتها لابسة قميص سباحة ؟
 الشيخ نسيب - لا . لابسة بنطلون .
 اللعام - بنطلون ؟ (يرتقي على المقعد ويمسح عرقه ويرجع سكينه الى قرايه)
 اللعام - خطر على بالي خاطر .
 الشيخ نسيب - وهو ؟
 اللعام - كل زبائني لا يشترون اللحم غم .
 (يدخل الاستاذ الكعب ومعه ابنة اميركية لابسة بنطلون)
 (الفتاتان الاميركيتان تتعانقان ، فرحتين . هلدو لزي .
 هلو نانسي (Hell ow Lizzy. Hellow Nancy)
 ثم تخطف الواحدة طربوش خطيبها وتلبسه وتغنيان راقصين .
 I am marrying an Arab
 (العواد يرافقها باللحن من نصفه الى آخره . كذلك اللعام والباقون يرقصون)
 الاستاذ - قصدت الى الفندق وقرعت باب الحدر ، فبرزت علي هذه الغادة الصنطفوشة البرهموسة المزبطرة ...
 (يعانقها) يا عذر بوجتي الصنطفوشة (يعانقها ثانية)
 يا صنطفوشتي العذر بوجه . I love you
 - (بعربية رطنة) باهجة إلايد (العيد)
 - واني قفلت الى هذا المكان استعيد مخطوطتي .
 الاستاذ - عجباً ! كانت هنا . لعل السيدة خباتها (تظهر ام ظريف في فستان قصير ، غاري الصدر ، وبرنيطة وحذاء عالي الكعب ،



- وجزدان يد (سيدتي ابن العجوز الحيزبون ، التي ام
ظريف يدعون ؟
- ام ظريف — عجوز حيزبون آ ؟ انا ام ظريف وانت العجوز
الحيزبون .
- الاستاذ — اريد مخطوطتي .
- ام ظريف — يجوز ان تقول مخطوطة ، انما الاصح ان تقول
اخطوطة . هاهنا .
- الاستاذ — واين هي الاخطوطة ؟
- ام ظريف — حيدج وجيدح (مثيرة الى الداخل) صاروا كلهم
رماداً تحت غلاية القهوة .
- الاستاذ — وامصبتاه ! وارباه ! واخطوطاته ! واخريدتاه !
(نانسي تهرع اليه مؤكسية فتضع رأسه على كتفها فينشد مغازلاً)
واعذر بوجتاه !
- (يدخل حيمور ممزق الثياب ، بجذاء واحد ، منبوش الشعر ،
والدم يسيل من انفه)
- حيمور — اين السنيوره ؟
- اللحام — السنيوره في صيدا ! هذه مدينة البقلاوة !
- حيمور — السنيوره — المرأة التي باعني هذه الصيغة — هذه
الجواهر الكاذبة !
- اللحام — وكيف تعرف ان الصيغة كاذبة ؟
- حيمور — عرضتها في سوق الصياغ . نادوا على البوليس .
صار لي ٣٢ سنة ابيع الناس صيغة كاذبة وفي آخر

العمر و امرأة ضحكت عليّ وباعتني صيغة كاذبة . انا
نايف حيمور ، أمير الصاغة في غرانيلا .

الاحام — غرانيلا !! هذه بيروت يا حيمور !

ام ظريف - (تقترب منه مهددة) انت الغشاش الذي يخدع
النساء الارامل ... هاه ؟! ألا تستحي ان تحرم فتاة من

صيغتها في يوم عرسها ، يا خدّاع يا حرامي !

نايف حيمور — دفعت الـوف الليوات ثمن صيغة كاذبة ، والآف
تتهميني باني خدّاع وحرامي ! بعد ان اخذتم فلوسي .

فلوسي . فلوسي . فلوسي

ام ظريف — فلوس . فلوس . فلوس . الدنيا عندكم فلوس ...

انت لن تستعيد شبابك ، فهمت ؟ فلوسك ترجع لك

وأرجع لنا الصيغة . مدام زعرور ، رجع حيمور .

(تظهر مدام زعرور وقد استعادت شبابها ولبست ثياب فتاة

عصرية متأقّة)

مدام زعرور — يا منافق !

حيمور — يا منافقة !

مدام زعرور — يا نصّاب !

حيمور — يا نصّابة !

مدام زعرور — ألا تستحي أن تخدع امرأة أرملة (تأخذ بئزع الفلوس

من جزدانها وكلساتها ومحفظتها ووسطها وترميها بوجهه ،

حزمة حزمة وشتيمة شتيمة)

مدام زعرور — يا خدّاع !

حيمور — ياخذاعة !

مدام زعرور — يا كذاب !

حيمور — يا كذابة !

مدام زعرور — يا بومة . يا غراب . يا أعر . أموال الدنيا لا
تشتري جواهر ابنتي !

حيمور — (يرجع لها المصاغ) جواهر الدنيا تقبر عيونك . أنا
راجع لغرانيل .

مدام زعرور — ارجع لجهنم !

(يسمع صوت رجة من ناحية النافذة . يدخل وجهه فيتحول
المرح إلى غوغاء صاخبة ويفهم من الصباح : « فبركة مسامير...
هذا المنافق ... واخرديته ... غرانيل ... النشيد النشيد ...
اللحم ... الصبايا ... »)

وجيه — (مشدوهاً) اخرسوا كلكم ! ام ظريف ! أين ام
ظريف ؟ أنا تارك هذه الغرفة في اول يوم من أول
شهر من السنة القادمة . (ام ظريف تدخل من الباب
الخلفي . كذلك تظهر عايده)

عايده — حبيبي وجيه . نتزوج بعد هذا الظهر . امي سمحت
لنا بدون مصاغ .

اللحام — ألم تعرفني ؟! أنا توفيق اللحام . عملت بنصيحتك .
أعطيت اللحم الطيبة لصبية حلوة ، والعظمة لشمطاء
بشعه . انظر إلي ! أنا شاب ! (يعمل بعض حركات
جيمناستكية) .

الشيخ نسيب — هذه عريضة الاستعفاء من الوظيفة الجمركية .

(ام ظريف تأتي بفنجان قهوة هائل الكبر وتقدمه الى وجيه) .

— حذار من نهلة من هذه القهوة ! انها لقهوة مسمومة !

في هذه الطاسة دم امرىء القيس ! لقد طُبِخت هذه

القهوة بنار نبوغي ! واخطوطناه ! (نانسي توآسيه

فيضع رأسه على كتفها ويتابع : I love you)

مدام زعرور — (تأخذ الجواهر فتربي بها الارض وتدوسها) كل جواهر

الارض لا تساوي حفنة رمل ... انظر (تلتقط بعض

الجواهر) كيف صارت قدمي تسحق الالماس !

وجيه — من أنت ؟

مدام زعرور — خالك هدى (ترقص) تزوج بنتي بدون مصاغ .

ام ظريف — (راقصة) الله يساحك بالاجار . الله يساحك

بالاجار . ابقى في هذه الغرفة بدون دفع !

وجيه — مَنْ أنت ؟

ام ظريف — انا ام ظريف .

(يتقدم وجيه الى حافة المسرح الامامية مشدوعاً ، مذعوراً

يخاطب نفسه !)

وجيه — وجيه ... وجيه ... ولا ... وجيه ... بدون

فلوس فهنا ! بدون وظيفة فهنا ... بدون عقل ؟!

وجيه .. وجيه .. وجيه ..!

(يدخل الصحافي غاضباً من الباب الأيسر ويصيح ..)

الصحافي — وجيه !!

وجيه — (مذعوراً) وجيه !!

الصحافي — هذه المرة تخنتها . جورنالي أبيض ، وموعد الطبع

بعد ربع ساعة . خربت بيتي . ما هي العجائب
الغرائب التي وعدت بها ؟

العواد
عزّة دنانير
- يا استاذ وجهه ، انا مستعجل . (يأخذ محفظته)
هذه مئة ليرة ، اعمل معروف اعطني النشيد .
(حينما تلف اصابع وجهه على الفلوس يخطفها الصحافي)

الصحافي
- هذه لي . خربت بيتي . هذه تعويض عن العجائب
والغرائب .. ! اين التلفون ؟ (بعد التفتيش على التلفون
يلتقطه عن الارض ويجرب ان يستعمله فيجده ميتاً) تلفونك
ميت يا وجهه . (وجهه ، مذعوراً ، يركض ويربط الشريط بالحائط)
من قطع التلفون ؟

ام ظريف
وجهه
- انا قطعت . ما يبكي الاّ فرنساوي !
- (يهجم ليستعمل التلفون فيرده الصحافي) قطعت التلفون
أتركني أتلّفن ، ياربي . البوليس . البوليس . سامسي
أضحوكة بيوت . عام

الصحافي
- ان اسمح لك بالتلفون . جورنالي . جورنالي .
(الصحافي يطلب نمرة) هلو ... ما عندك اخبار ... ؟
الجورنال ابيض . هاه ! (خلال ذلك يتطلع بوجه متوعداً)
اسمع . في الصفحة الاولى ، أنقل عن ابن خلدون .. في
الصفحة الثانية أنقل عن ابن بطوطه .. في الصفحة
الثالثة عن ابن خلدون .. أعرف اننا نقلنا عنهم .
أنقل عنهم من جديد . الصفحة الرابعة : ابن ابو العلاء
المعري ؟ ابو العلاء المعري مات أعزب ؟ وابنه

علاء؟ يا عيب ...

الاستاذ - هذا جناه ابي علي وما جنبيت على احد .

الصحافي - (متطعماً بوجيه) هذا جناه ...

وجيه - اسمع ! ارجع لي المسئلة ليوا ! انا وعدتك بأخبار
وعندي اخبار

الصحافي - مثلاً ؟

وجيه - سقطت الوزارة .

الصحافي - سقطت الوزارة . حلوا المجلس . كلما افلست من

الاخبار ، تأتيني بهذه الكذبة . هذه المرة اريد حقائق .
عجائب غرائب ! ! !

وجيه - (يشرب فنجان القهوة دفعة واحدة ، وينبر وجهه كمن
استفاق من حلم) اسمع هل تعتقد اني كذاب ؟

الصحافي - . نعم .

وجيه - وعدتك بعجائب هذه هي : الاولى لحام يستعيد شبابه !

هذا توفيق اللحام ... اتذكره ؟

الصحافي - انت توفيق اللحام ؟

اللحام - (يلعب العاباً جيمناستيكية) انا توفيق اللحام .

الصحافي - (على التلفون) اقتل ابن خلكان ، وابن بطوطة ،

وابن خلدون . اقتل جميع بني آدم . اطبع الجورنال

اكسترا ملحق . ظهور عجائب في بيروت . العجيبة

الاولى : لحام يستعيد شبابه . (الى وجيه) العجيبة

الثانية ؟

- وجيه — امرأتان تستعيدان الصبا .
- الصحافي = (على التلفون) امرأتان تستعيدان ... لا . اقتل
المرأتين . اقتل جميع النساء (لوجيه) رجعت تكذب
علي ؟ ! هذه ليست عجيبة . المرأة دائماً تستعيد صباها !
وجيه (يتقدم منه الشيخ نسيب ويعطيه عريضة الاستعفاء) العجيبة
الثانية . شاب يرفض وظيفة حكومية .
- الصحافي = (على التلفون) العجيبة الثانية ، شاب يرفض وظيفة
حكومية !
- وجيه العجيبة الثالثة : ملاك يسامح مستأجراً بالاجر
(ام ظريف ترقص باختصار)
- الصحافي — (على التلفون) العجيبة الثالثة : ملاك يسامح مستأجراً
بالاجار .
- وجيه — هذه القهوة طبخت بنار مخطوطة ادبية . العجيبة
الرابعة : مؤلف ادبي له نفع .
- الصحافي — (على التلفون) العجيبة الرابعة : مؤلف ادبي نفع
البشرية .
- وجيه — (مشيراً الى مدام زعرور) العجيبة الخامسة : أم تزوج
ابنتها بدون مصاغ .
- الصحافي — (على التلفون) العجيبة الخامسة : أم تزوج ابنتها
بدون مصاغ . (مدام زعرور ترجع الى دوس المصاغ)
- وجيه — العجيبة السادسة : ظهر في لبنان ، رجل يلبس اسمه
عارياً عن اي لقب (يغفرنايف جيمور)

نايف حيمور - نعم اسمي نايف حيمور . لا بيبك ولا دكتور .
الصحافي (على التلفون) العجيبة السادسة : ظهر في لبنان رجل
يلبس اسمه عارباً عن اي لقب .

الصحافي (لوجيه) - انتهت العجائب ؟

وجيه - انتهت . اليوم العجائب ، وغداً الغرائب .
الصحافي (على التلفون) اطبع هذه الاخبار با كبر حروف .
واصدر اكسترا ، ملحق . (يقفل التلفون)

الصحافي (لوجيه) - وجيه انت نابغة ! لو قصدت ، لملت الجبال
على كتفيك .

وجيه - لو قدرت ان احمل كيس طحين كنت صرت عتال
الصحافي - هذه العجائب ... كم منها ؟

وجيه - ست عجائب ، احسب ثمن العجيبة ٢٥ ليرة . يكون
المجموع ١٥٠ ليرة

الصحافي يفتح محفظته ويبدأ بعد فلوسه ، وكأنما رشق بحجر
فينفخ)

الصحافي - كم عجيبة قلت ؟

وجيه - ست عجائب .

الصحافي - (يركض الى التلفون) يا ويلى ! يا خرايى (بعد ان يطلب نمرة)

اقتل العجائب . انشر ابن بطوطة ... وابن خلكان .
يا ربي ! خرب بيتي .

وجيه - لماذا ؟

الصحافي - اسمع . من يريد ست عجائب . عجائب الدنيا

سبع . ايام الاسبوع سبعة . المعلقات سبع . من
يقرأ جورنالي ، اذا نشرت ست عجائب ؟

وجيه — قلت لك ان المرأتين ...

الصحافي — اتركني من النساء . امرأة تستعيد صباها . هذا
خبر عادي يا مجنون !

وجيه — (بعد تفكير) احسب رفض الوظيفة عجيبتين ،
اولاً لأنها وظيفة حكومية وثانياً لأنها وظيفة جهرية .

الصحافي — لا . لا ... شخص واحد ، عجيبة واحدة .

(يسمع صياح وضجة ، ويدخل عدد من البوليس قابضين على
بائع كعك . اثنان يضربانه . وآخران يحملان الطبق والكعك .
ضوضاء)

ضابط البوليس — اين القتيل ؟

وجيه — اي قتيل !

— ضابط البوليس — تلفن امين النابلسي ان في هذه الغرفة ، قتيلاً فجئنا .
وقد عثرنا على هذا الشخص خارج البناية في حالة مريبة .

والآن اعترف انه القاتل . اين ؟ اين القتيل ؟ (يقبض على

عق القاتل ويهزه) انت القاتل ؟

بياع الكعك — أنا القاتل !

ضابط البوليس — اعترف !

بياع الكعك — اعترف .

وجيه — (للصحافي) هذه هي العجيبة السابعة : البوليس يقبض

على القاتل والقاتل فار من وجه العدالة !!



الصحافي — (يركض الى التلفون) اقتل ابن بطوطة .. اقتل ابن خلكان ..
 .. اقتل علاء ابن ابي العلاء المعري ... اقتل كل عائلة المعري .
 انشر العجائب السبع ... العجيبة السابعة : البوليس
 يقبض على القاتل ، والقَتيل لا يزال فاراً من وجه
 العدالة . طيب سأخفض صوتي (يستمر بالكلام بحيث لا
 تسمعه النظارة)

العواد — يا استاذ وجهه ... صار لي ساعة انتظر .

وجهه يفتش على النشيد ويعطيه للعواد)

اللاحام — (لأم ظريف) ام ظريف ! انت ارملة وانا ارملة .
 انت شابة وانا شاب ، هل تريدان ان تكوني ملكة
 دكاني ، وذابحة اغنامي ، ومنظفة مصارين ذباحي ؟

ام ظريف — بشرط ان استلم المبيع والميزان .

اللاحام — استلمي كل شيء .

(يشتبكان ذراعا بنراع)

مدام زعرور — (لحيبور بلهجة مغازلة) يا منافق !

حيبور — (بيمينان) يا منافقة !

مدام زعرور — راجع الى غرائبلا ؟

حيبور — آ ...

مدام زعرور — وحدك ؟

حيبور — كيف اكون وحدي وانت معي !

(يشتبكان) كروس الحواتم كم خاتم ؟

مدام زعرور = الكروس ١٢ دزينة والدزينة ١٢ خاتم ، فالكروس

١٤٤ خاتم .

حيمور - الله الله ما اذكاك . كيف تعلمت كل هذه العلوم؟

مدام زعرور - ابن اختي درس في الجامعة الاميركية .

حيمور - يا جواهري !

مدام زعرور - يا مصاغي !

(يتقدم اللحم ويفتح الصرة التي اهداعا لوجيه فاذا هي لحم

مقطع مفروم -)

وجيه - (لعائدة) انجبين اللحم المشوي ؟

عائدة - دخان ناره كحل لعيني .

(العواد يدق ، والكل يغنون « عاش تعماً »

(وجيه وعائده يشكان اللحم بالاشياش . الشيخ نسيب والاستاذ

يغازلان كل خطيبته . حيمور ومدام زعرور ، كذلك ، ام

ظريف واللحم في مواقف غرامية . الصحافي على التلفون هائجاً

يصدر اوامر بصوت غير مسموع . رجال البوليس يجمعون

الكعك المبعثر على الارض ، ويعيدونه الى الطبق . بعضهم يأكل

بعضه . وفي هدأة بين الانشاد)

بائع الكعك - العدل أساس الملك . كعك سخن !

الستار

الى المنخرج

هل تذكر عداءنا في « نخب العدو » ؟ لأن كنت مثلي حقوداً،
فليسناك هذا الظفر . أما تراني الآن بين قدميك ؟

لقد أخبرتك في « نخب العدو » اني امقتك وانك تمقتني ، وان
رفقتنا في تلك السفرة المسرحية ، شركة فرضها علينا الفن . واني
اصارحك الآن ان خيلائي كان سببها ثقفي ان « نخب العدو » ناجحة
أبداً كان مخرجها . اما هذه المسرحية « حفنة ربح » فجناحها ذو لون
آخر . هي طائفة صغيرة محكمة البناء ، كل قطعة منها جيدة العنصر
رُصّعت حيث يجب ان ترصع . وهي ملأى بالوقود الجهنمي يتفجر
قوة ، ففي استطاعتك ان تهبط بها الى الهاوية او تصعد بها الى المريخ .
افهمت لماذا انا الآن بين قدميك ؟

انت وانا - المخرج والمؤلف - شريكان في كل جهد مسرحي .
غير ان حصتك في هذه الرواية ، هي الكبرى ، حتى لأصبحت
أنا كمية مهملة .

والآن هلا سمحت لي ان احدثك بكل خضوع عنها ؟

وجيه

كنت اترود من الحياة العبر لأؤلف منها مسرحية كبرى ، اذ
ومضت « حفنة ربح » وتراقص اشخاصها امام عيني ، وتدافعت
حوادثها قبالة بصيرتي ، وراحت تلح عليّ ان ادونها قبل المسرحية
الكبرى . فلما حبكت تصميمها وجدتها كاملة الاوصاف الا ... الا
ان « وجيه » بقي على المسرح منذ ان ارتفع الستار الى ان
هبط . وغير خاف عليك ان النظارة تملّ من يحتكر المسرح ، وان
الممثل يجده مثل هذا الموقف المستمر . فرحت اتأمل . وما زلت
أحتال على « وجيه » وافكر وادرس واشتغل ، حتى تيسر لي تنجيته
عن المسرح بمحادثتين معقولتين .

لقد افنيت في هذا الجهد - تنجية وجيه عن المسرح - تسعة
شهور . أتفهم الآن ما يبرر نزق المسرحيين متى قرأوا نقداً يوجيه
جهل الدراما ؟ وهل تدري لم ينقمون على المخرجين ، إن تكاسل
هؤلاء او اعوزهم الفن ؟

Peripety

هل تفهم معنى هذه اللفظة ؟ لماذا احمرّ وجهك ؟ اكثر الناس
لا يعرفون معناها . كذلك لم يكن من سلامة الذوق ان أسألك ،
ففي مقدور اي من الناس ان يفهم صديقه بان يسأله معنى لفظه ما .
وانّ اغلظ اهل الارض من يسألك هل قرأت الكتاب الفلاني
موقناً كل اليقين انك لم تقرأه . لا تهرع الى القاموس ، فلئن وجدت
هذه اللفظة هناك فهي تهجي بال a لا بال e . والقاموس يربطها

بارسطاطاليس، وانت وأنا وشمص جهجاه لايمنا امر ارسطاطاليس،
لانه ميت ، ونحن لانهم بغير الاحياء. اذن فلنشرح هذه اللفظة بلغة
نقهمها - لغة اليوم .

لعل افضل تعريب لها هي « التارجيع » . وربما سعتقنا °
« الحرباء » نسبة الى الحرباء لفظه اجمل لولا ما غلب على اذهان
الناس من ان المداجاة ملازمة للحرباء .

في تاريخنا المعاصر نجد مثلين رائعين، يفسران هذه اللفظة .
اذكر في الحرب الكونية الاخيرة، كيف كان رومل Rommel
القائد الالماني في شمالي افريقيا يحشد جنوده في دائرة، فهو في استطاعته
ان يهاجم أي ناحية ، او ينسحب الى أي جهة؟... هذا كان بعض
اسباب تفوقه ، اذ لم يفصح عن جهة مسيره بشكل ترتيب جيوشه .
والمثل الثاني؟ هل تابعت الاخبار الانتخابية في لبنان ؟ هل لاحظت
قائمة شمعون - جنبلاط قبيل الانتخاب ؟ ستكون القائمة دستورية .
لن تكون دستورية . ستحتضن الكنائس . لن تحتضن الكنائس .
سيكون فيها سليم الحوري . لن يكون فيها سليم الحوري . انشطر
عنها اميل لحود . اشترك فيها اميل لحود . الحيرة والتأرجح والتردد
واحتمال وقوع اي شيء - ضع كل هذا في قنينة وخضها تفز
بكوكيتيل اسمه Peripety .

ما لك وسعت احداقك واصفر وجهك ؟ ان ما لمع في فكرك
صحيح . الادب العربي خلو من التارجيع ، اذ ان البدوي بطبيعة
بيئته كان ولا يزال واضح المرمى ، فهو يقصد بثرا يرتوي منها ، او
(°) أي اخترعنا لفظه .

عدواً يقاتله ، او مرعى يشبع منه مواشيه ، فليس التردد ، والدوران والتأرجح ، مما ينسجم وطبيعة البادية . رومل كان يخاف الهجوم من الجو ، والبحر ، (الشمال) والشرق ، والجنوب . ثم جاءه الامير كان من الغرب . اما اخونا البدويّ فهدفه وعدوه وحبيبه وطله - كلهم في نقاط معينة .

وفقدان التأرجح ليس هو في الادب العربي فقط ، بل هو ملحوظ كذلك في التفكير العربي . صاح بي صديق اميركي بعد جدال ساعة في قضية فلسطين «عجباً لعقولكم ايها العرب . الا تبصرون من الالوان الا الاسود والابيض ؟ اليس غنـ دمكم فجر رمادي اللون يذوب فيه الليل والنهار ؟»

بلى لقد ثاب اليك وعيك ، فذكرت ان التأرجح على اروع هو في سورة يوسف من القرآن الكريم ، وهو كذلك هنالك مقتضب في بعض نوادر العرب . اما فيما عدا ذلك ، فدلني عليه في العربية ! وما نحن في بحث اجتماعي لتبسط في هذا الموضوع ، بل يكفي ان نذكر ان وضوح المرمى ، ومعرفة الدرب اليه ، ليسا من العناصر الدراماتية .

كل ما اريد ان ازعم ، يا حضرة المخرج ، ان بين يديك في «حفنة ربيع» التأرجح في اكمل اشكاله ، من اللحظة التي يرتفع بها الستار ، الى «كعك سخن» . ولم يقتصر التأرجح على الكلام الملفوظ ، بل انك لتراه صامتاً في المشاهد الصامتة حين يفحص «حيسور» الجواهر ، عليه ان يتأرجح بالنظارة ، فيوهمها انه اكتشف حلاه ، ثم يتردد ، ثم يعجب بالحلي ، ويظهر جهله لمصدرها ،

ثم يفعل ... ثم ... كل هذا بتغيير سحنة او قلب شفة ، أو ..
 ما انا بمخرج هذه الرواية ، لا عرف كيف يكون الابداع في تمثيلها .
 كذلك بين « نو سنبور » و « سي سنبور » دنيا للتأرجح فسيحة .

تقي الدين الصلح والسكعب بن الحميد الطهنشاوي

الاستاذ السكعب ليس هو بالشخصية الجديدة . لقد خلقته منذ
 ٢٣ سنة لتقي الدين الصلح ، الذي اوحاه ، في رواية سخيفة الفتها
 اسمها « قضي الامر » . لقد نجت تلك المسرحية من عار الحجة بسبب
 تمثيل تقي الدين الصلح . كاد الضحك والتصفيق يهدمان حيطان
 القاعة كلما ظهر الاستاذ . لئن اجتمعت بتقي الدين الصلح فليشرح
 لك دور « السكعب » . ولقد ابحت لنفسي ان اسرق من انتاج
 صباي عبارة يجوز ان يقال « فلقطني » انما الاصح ان يقال « فجبجتي » .
 هذه العبارة رعد لها التصفيق منذ ٢٣ سنة . واعتقد انه سيرعد . وان
 لم تصح هذه النبوءة ، فما الذنب ذنبي ولا ذنب تقي الدين الصلح ولا
 ذنب شمدص جهجاه !

رأسي اعريه

اني ارفع برنيطتي بيمينتي ، وأضعها الى قلبي ، وانحني الى الارض ،
 برغم ضخامة وسطتي ، امام الفتيات اللواتي مثلن ادوار النساء في
 « نخب العدو » . واني مسرّ اليك انني توقعت هذا الامر ، لسبب
 بسيط هو انني بنيت الادوار النسائية بحيث لا تأنف امرأة شريفة
 ان تمثل احدها . لا قبلات ، ولا عناق ، ولا اشتباك اكف . وقد



كنت اسائل نفسي، وانا أولف « نخب العدو » : هل ارضى ان تمثّل
هذا الدور زوجتي او ابنتي ؟ وكنت اسمع الجواب « نعم » ! فلا
عجب ان مثلت ادوار تلك الرواية فتيات هنّ من « بنات العائلات » .
ترى اهذه هي المرة الوحيدة التي ظهرت بها الفتاة العربية والفتى
العربي على المسرح في مسرحية ؟ انت تعلم انني اعني من الفتيات
ابنة العائلة لا تلك التي امها عزباء وأبوها مجهول محل الإقامة ، واني
ولوع بلفظة « وحيد » حتى لقد أوصيت ان يُنقش على قبري « هذا
ضريح الرجل الوحيد الذي اعجب بسعيد تقي الدين » .

استشهدت بما سبق ، لاثبت لك انني رجل عملي يواجه الحقائق .
حينما كنت أكادراً ، كانت دابتي في معظم الاحيان مسمّلة سائرة في
الطريق لا مربوطة الى معلف . وهذه الرواية « حفنة ريح » ، لم
اكتبها لتحف في متحف بل لتمثّل . وستمثل بنجاح على الرغم من انك
مخرجها - بسبب انني تفرّست فيها بوقائع الحياة ، فنحن ليس عندنا
من المسرح حتى ولا أخشابه . وانت ترى في « حفنة ريح » انها
ذات مشهد واحد ، من السهل إعداده ، فلا رياش ثمين ولا مناظر غير
عادية ، ولا تغيير مشاهد تتطلب السرعة والاستعانة بالالات
الميكانيكية او الانوار الكهربائية الملونة ، او تزييف الضوء
وتغييره بين سطوع وسواد وما بينها من الفلون .

كذلك اعرف ان منظمتنا غير محترفة ، لذلك جاءت « حفنة
ريح » قصيرة تفسح المجال لرئيس جمعية « الفلاح والكفاح » ان
يرش على النظارة شيئاً من اللعاب ، خلال بمتع الخطاب ، او
لقائهم القضاء ان يظهر افتتاحه باعضاء الجمعية النبهاء الذين يمثلون

الرواية ، او لفرقة التلامذة ان يغنوا (نظم الاستاذ محروس بك
النابه) نشيد الجمعية :

كلنا نبغي الفلاح في مساء او صباح
ولكن اذكر ان كل هذه الحوادث الجسام تجري قبل الرواية
لا بعدها . وان كل ما يسبق الرواية ، يجب ان لا يستغرق اكثر
من ٢٩ دقيقة . تسعاً وعشرين دقيقة ، لا ثلاثين ، افهمت ؟
حين مثلوا روايتي « لولا الحامي » في بغداد للمرة الاولى ، نهض
شاعر لم يظهر اسمه على البرنامج ليلقي بضعة ابيات ، فلما فتح فمه
وقع ميتاً بطعنة خنجر ، ولم تهتد الحكومة حتى اليوم الى معرفة القاتل .
اريد ان اعترف لك بانني انا الذي قتلته . ان لي شبحاً يرافق
رواياتي في ليالي التمثيل ، وهو يطعن بخنجر مميت كل من يخالف وصاياي .

اغلاط طفيفة

أحدرك من افترافها . مثل ان يجلس احد الممثلين بين الجمهور
بعد ان ينتهي من تمثيل دوره على المسرح . هذه عادة سمجة تقتل
الرواية . في تلك الليلة ، انت جاذ في ان تظهر على المسرح قطعة
من الحياة تحاول ان تجعلها حقيقة واقعة . فيأتي احد ممثلك ، فريد
اسعد معزور ، وبعد ان ينتهي من ابداءه يرجع الى القاعة ،
فيجلس بين افراد عائلته ، وهم عادة في المقاعد الامامية . اثن فعل
ذلك فاقبض على رقبتة وارم به خارجاً ، وبعد ان تدغدغ
مشفريه بلطمة ساحقة بلغه سلامي وقل له : رويداً حتى ترجع الى
بيتك فستعانقك الماما فرحة بنجاحك ، وستخف اليك في صباح



الغد ابنة الجيران بعبارات التهنئة والمديح . اما الآن فابتعد عن
الجمهور، اذ اننا لا نريد ان نقتل « حفنة ربح » .

« ترابة افرنجية » ، « سمنت » ، « شمنتو »

ليس في الادب العربي كتاب يفوق « الحراسة السخفولية »
قيمة . إذا وقعت بين يديك نسخة منها، فانت ترى في باب
المسرحيات ان الممثل يتمتع بجميع الحقوق التي ينعم بها الشاعر ،
مثل تسكين او اخر حروف الكلمات، و صرف ما لا ينصرف .
فلتكن لهجة بمثلهم، ونطقهم الكلمات، اقرب ما يكونان الى اللهجة
العادية في المحادثات . لاحظ قولي « اللهجة العادية » لا « اللهجة
العامية » . ولئن اقتتل الفن وعلم النحو - النحو والصرف ، فلا
تنس ان هذه التي في يمينك هي راية الفن . واذكر انني اول
من اقترح اقامة تمثال للاستاذ اسعاف النشاشيبي ، وكنت البادىء
بافتتاح الاكتاب اذ تبوعت بدينار مزيف !... ولكن لكل موقف
رجل ، وانت اذن تكشف امام جمهور ناحية من نواحي الحياة ،
تريد ان تحدثهم بكلمات يفهمونها ، والا كان الامر حملاً بدون
مياه . إذ فلك انت ان تستعيض عن « سمنت » بـ « شمنتو » او « ترابة
افرنجية » - اي منها اكثر شيوعاً واقرب الى قلوب الجمهور .
وهذا ما ينطبق على « ياخور » او « اسطبل » . لا تقتل النكتة
او الرواية ، رغبة بارضاء الاستاذ اسعاف . الحكومة اللبنانية ارضته ،
منحته وساماً . سأخترع يوماً من الايام شيئاً هو عكس الوسام .
خذ عبارة « لو كان دماغك ترابة افرنجية ، لكان رأسك اكبر

من معامل شكا : هذه العبارة تكون ناجحة في بيروت . اما في بغداد مثلا ، فانهم لا يعرفون معامل « شكا » . واني افوضك بان تستبدلها بما يفهمه الجمهور العراقي . في بغداد التمر كثير ، فيها بالطبع تاجر كبير له غنابر هائلة . لنفرض ان اسمه « جاد الله » . اذن فالعبارة تصبح « لو كان دماغك قمر ، لكان رأسك اكبر من غنابر جاد الله » . هكذا يفهمها الجمهور البغدادي .

انت مخرج ولك ان تخلق وتنقن . من يمنع ام ظريف من حك مؤخرتها كلما ارادت التفكير او عرتها حيرة ؟ من قال لك اني اغضب عليك ان وضعت تحت سرير وجيه آلة عتلة يخرجها ليتروض بها ويتم برفع اثقالها ، اذ يرجعها بحركة مضحكة سريعة ولا يتروض .

اليمين واليسار

متى وقعت عيناك على هاتين اللفظتين في هذه الرواية ، فهما تعنيان يمين النظارة ويسارها . و « خلف » : معناها ذلك الجزء من المسرح الابعد عن الجمهور . و « امام » : معناها ما قرب من المسرح الى الجمهور .

على الباب

الانصراف من المشهد ، هو موقف مسرحي رائع . وانت لاريب تلاحظ ان كلا من اشخاص هذه الرواية يفوه بكلام فخم او مضحك حينما ينصرف . فلا تدعن ممثلك يتروكون المسرح جارين

(^٥) تعريب Athletic وهي ما كانوا يسمونه في القديم « رياضة » .

ارجلهم . بل لتكن وقفة كل واحد منهم « على الباب » وقفة مسرحية ، فيطلق العبارة الاخيرة قبل انصرافه بحماس وحياسة . هذه الوقفات « على الباب » هي من عناصر قوة « حفنة ريح » . وهي يجب ان تستثير تصفيق الامتحان . على ان جماهيرنا تجهل انه من « اللياقة » ان يصفقوا للممثل حين ينصرف ، وبعضهم لا يدري ان كان ادب الفن يسمح بالتصفيق عند الانصراف . فعليك ان تتقف الجماهير بان تزرع بين النظارة من يبدأ بالتصفيق عند مشاهد « على الباب » ، واترك للجمهور امر اظهار الاستحسان ضيلاً كان ام هائلاً .

السطر

هذا تعبير اميركي . يقولون فلان له « سطر » ، ويعنون بذلك ان له طريقة في الكلام ، أو عبارة يرددها . في « حفنة ريح » ترى « السطر » على لسان العواد — « صار لي نصف ساعة انتظر » . فليرددها ، واعتبر في غرابة عقلية الجماهير التي يضحكها امر بسيط هو ترداد عبارة مشهداً بعد مشهد . وليس لي ان اشير عليك بأن تقوّي هذا « السطر » بان تحمل الممثل ساعةً يظهرها حين ينطق بسطره ، واحياناً يظهر الساعة من غير ان ينطق بالسطر .

من مبررات الاعدام

حدثتك عن شبح يحمل خنجرًا يطعن به من خالف وصاياي . ولقد فاتني ان احدثك انه كذلك يحمل رشاشاً يصبّ رصاصه على

كل مخرج يعطي لشخص واحد، أكثر من دور واحد في اي رواية .
فحذار حذار .

افرنجيتان

في هذه الرواية فتاتان امير كيتان لا تنطقان الابيضعة الفاظ .
واحدة تلبس قميص سباحة ، والثانية تلبس البنطلون . لن يصعب
عليك ان تقنع فتاة بلبس البنطلون . ولئن خانتك ذراية اللسان
عن الاقناع ، فأنت بفتاة افرنجية تلبس قميص السباحة . غير انه
ما زال همنا — انت وانا وشمدص جهجاه — ان نخرج بالفتاة
العربية من خدرها ، فاقبل بفتاة تلبس الفسطان العادي ، وضع على
لسان الاستاذ عبارة « ان حلة الانغماس بالبحر التي يسمونها قميص
السباحة لمقدّر وجودها — تحت الفسطان » .

والآن وقد سمعت اوامري ، انفض من بين قدمي ، فاني اريد
ان اعانقك .

فنحن بدانا الحديث وانا على قدميك ، وانهمنا وانتم بين
قدمي . ثم ختمناه بعناق . أفهمت الآن معنى « التراجع أو
« الحرباة » اي ال peripety ؟

٢٧ اكتوبر سنة ١٩٤٧ ، مانيلا ، الجمهورية الفلبينية .



موجبة نار

مجموعۃ قصص

مكتبة جامعة بيرزيت

الكتاب
المختار



موجبت ناز

حينما شددت « نوتيلوس » الغواصة الاميركية جبالها الى مرفأ
« مانيللا » ، كنتُ اول من قفز منها إلى الشاطئ .

ولم يكن حافزي جوعي الى النساء ، أو شوقي الى أكل الخضار
والفواكه ، ولا حدا بي الى الاسراع تلك الاحلام التي تراود البحار
في اسفاره من قناني وسكي ، ويابسة صلبة تحت قدميه ، وقامة
ميّاسة بين ذراعيه . بل ان عواطفي كانت متوترة تواقّة الى لقاء
جميل السغبيني .

فجميل هذا هو مواطن لي ، سكن « مانيللا » ويعرف كل شيء
عن لبنان حيث شئت ، حتى ليسرد من امور بلدي « بعلبك » أكثر
مما أعرف ، فهو يذكر شوارعها ، ورأس عينها ، وقلعتها ، وساستها
وبساتينها ، وخيولها ، ويعرف كذلك « ابو علي » ملحم قاسم ،
واولاد دندش ، وقائمقام بعلبك صلاح اللبايدي .

وكان سبيل تعرّفي الى المواطن جميل السغبيني ، النجدة
السينائية « غريتا غاربو » ، اذ ظهرت على الشاشة البيضاء ذات مساء

فافلتت من شفتي لفظة اعجاب عربية، فلم اشعر الاّ ويدان قويتان
تهزّان كنتفيّ ، وفتي يصبح من المقعد الخلفيّ في دار تلك السينا
« ابن عرب ؟ » أجبت « ... وبعليكي » ! .

ومنذ تلك الليلة نشأت بيني وبين جميل مودة أمتها الايام،
وشدّت قلبي الى قلبه حبال امتن من حبال غواصتنا « نوتيلوس » ،
فكنت كلما رجعنا من سفرة تمارين حربية ، او من زيارة الى مرفأ
بجاور ، هرعت الى جميل وفي يديّ هدية له أو لزوجته وطفله -
تلك الصغيرة التي كانت تدعوني « عمّو » . وكانت زوجته تفتقر
لجميل تأخره عن الرجعة الى البيت في المساء ، ما دام « اسطول
بعليكي » في الميناء .

ولعلّ ما جذبني الى جميل السفيني ، تنوّع شخصيته ، فما اعاد
عليّ سرد قصة ، ولا ردّد نكتة . وقد اترك « مانبلا » وجميل
مستخدم في مصرف ، فارجع اليها وهو مدير شركة اوتوموبيلات ،
ولعله بين الوظيفتين كان قد غامر بصفقة بورصة ، وفتح ثم أقفل
معمل بوظة . وكان يعجبني منه ثقته بنفسه الى درجة عجيبة . فهو
يروي لك كيف سبّني الخزانات لنهري دجلة والفرات ، وينشئ
معامل الفخار والقرميد والحزف في شرقي الاردن ، ويجعل من
احدى قرى « عكار » مزرعة عصرية مثلاً أعلى للزراعة العلمية ،
ويؤسس المدارس العربية في « جاري » . وحين ينتهي من خطابه
يسألني اقتراض خمسة دولارات .

وان مثل هذا السلوك ، من غير جميل ، يوحي الهزء . ولكن
الاثر الذي يتركه في النفس حديث جميل ان هذا الفتى سائر الى

مبتغى سيدر كه ولا ريب ، وان هذه الحاجة الوقتية ، وتنوع
اعماله ، هما محطتان لا بدّ من الوقوف بهما في الطريق الى النجاح .
هكذا كانت « مانىلا » قاعدة « نوتيلوس » البحرية ، تعبى
منها زيوته ومؤنها وذخايرها ، وكان جميل السغبيني قاعدتي الروحانية
استمدّ منه الوحي والقوة والايمان ، وادّخر من ظرفه ونكاته
وحكاياته ما يؤنس نفسي في اسفاري الموحشة .

لذلك كان قلقي عليه شديداً ، حينما احتلّ اليابانيون مانىلا ،
وحينما دمّرت تلك المدينة اساطيلنا الهوائية ومدافعنا البرية .
و كنت كلما قرأت انباء القتل والدمار التي نزلت بمانىلا ، اسأل
نفسى خائفاً: ترى ما حلّ بجميل وعائلته ؟ وفي صيف ١٩٤٣ أغرقنا
باخرة يابانية شمالي الفيلبين ، واسرنا منها ثلاثة فيلبينيين من موظفي
الحكومة ، اخبرني احدهم انه يعرف جميلاً ، وان جميلاً في سجن
ياباني كثير من يدخله ، ونذر من يخرج منه .

وهأنذا في خريف ١٩٤٤ وقد استعادت قواتنا الاميركية
« الفيلبين » منذ شهر اجول « مانىلا » اسأل عن جميل ، فلا القى من
يعرفه ، واقصد الى البيت الذي كان يسكنه ، فلا أجد هناك الا
السور وقد اسودّ من دخان الحرائق ، فسألت نفسي هللاً: ترى اين كان
جميل وعائلته ، اذ استحال منزله الى دخان ورماد ؟ واقتربت الى
رتاج البوابة — لا ، ليس في الامر من شك فالنمرة التي اختبأت
تحت حجاب من دخان ، وغبار واقذار — هي هي غمرة ٧٢٢ .

ولقد أتعبني التجوال وأغمّ قلبي ألم الحبيبة ، فجزرت قدمين ثقيلتين
ودخلت الى أقرب خمارة ، وطلبت مشروباً ، فجاءوني بزجاجة

سكنت منها كائناً لها طعم دم الابالسة ، ولون الزنا ، ورائحة
الانتخابات النيابية في لبنان... ورحت أفكر في جميل ، واتذكر
- بلى تذكرت ليلة اشتد المرض على زوجته ، وكان بها شغوفاً ،
وكنت الى جانبه في المستشفى ، اذ خرج الاطباء الثلاثة من غرفتها
فتقدم منه عريفهم ، وهز رأسه معزباً قائلاً: «ان الزوجة ستموت بعد
ساعات .» وتذكرت كيف انتفض جميل وصاح : « ان علمكم
كاذب . ان زوجتي ستشفى ، فلو انها في طريقها الى الموت ، لكان
ارتعب قلبي ، وقلبي ساكن غير خائف . » وذكر كيف سلمت
الزوجة ، بسبب ان قلب جميل لم يرتعب . قلت لنفسي :
« وانا كذلك شغوف بجميل وقلبي غير مروّع . ترى هل
تفوز الصوفية مرة ثانية ؟ » .

وضربت بقبضي على الطاولة صائحاً : « ان جميلًا حي » وكان
أجفل من صبحتي رجل كان واقفاً حذاء الباب ، يقلّب صفحات
دفتر التلفون ، فوق دفتر من يده ، والنحن يلتقطه ، فومضت اذ ذاك
في ذاكرتي عبارة سمعتها من جميل : « ان اعسر الامور على الانسان
ان يراها ، هي الامور الواضحة » . بلى - ان من الامور الواضحة
التي لم اراها ، ان افتش على اسم جميل في دفتر التلفون . فوثبت الى
الرجل الذي أجفله صبحتي ، واختطف دفتر منه ، ورحت اقلب
صفحاته : سين ... سين ... ساين ... سادولي ... سغبيني ،
جميل غرو ٥٠٢ ، بناية دافيس . فافلت الدفتر وارجعته للرجل
الذي كان يقلبه ، منحنياً امامه معتذراً ، ورجعت الى طاولتي
راقصاً على اللحن السهاوي الذي كانت تصدح به تلك الموسيقى

العلوية ، وافرغت بين شفتي الرحيق الكوثرى الذي ملا كاسي ،
ونقدت عشرة دولارات الى الحورية الفتانة التي كانت تجالسني .
كذلك قبلتها في شفتيها وعنقها ، ووضعت تحت ابطي تلك الصرة
من سواكبر ، وصابون ، وشفرات حلقة ، التي اتيت بها هدية لجميل .
وأحسست ان بين ساقي الفأ من الحبول البعلبكية اعجزها لترمج
بي الى بناية دافيس .

ووقف بنا المصعد الكهربائي في الطابق الخامس ، فانطلقت منه ،
فاذا الطابق كله مكتب واحد انتشرت فيه عشرات الطاولات ،
جلس خلفها رجال وفتيان وفتيات في كل الاعمار والالوان . وفيما
انا ادير عيني ، افقش عن جميل فلا اراه ، اقتربت مني احدى كاتبات
المحل ، وسألني مغازلة : « هل لك من أمر ؟ » قلت : « اني افقش عن جميل
سفيني . أخبرت انه يشتغل هنا » . قالت مداعبة : « انه لا يشتغل
هنا ، ولكنه صاحب المحل . أعط اسمك هناك الى سكرتيوره ، وهي
تسهل لك سبيل مقابلته » . ودارت تسير الى طاولتها ، فلم ألاحظ انها
فتانة في اقبالها وادبارها ، بل سرت الى حيث السكرتيرة التي سألتني
عن حاجتي في مقابلة « الرئيس » ، قلت : « ابغى ان أقدم تقريراً عن
استطول بعلبك » .

وانفتح الباب وبان جميل .
وجمدت في مكاني واقفاً تهتز الكلمات على شفتي ولا تنطلق ،
ويغشى الضباب عيني ولا تندى دموعاً ، بل رحت انطلق اليه
واضحك . أما هو فبقي كذلك في كرسيه مبهوراً ، لم ينهض
ولم يقبلني ، ولم يهز يدي ، بل مكث ينظر اليّ باسمماً ، الى ان نطق

اخيراً فقال : « ان كنت بآثار بعلبك ، لا طيفه ، فارم بنفسك على ذلك الكرسي . »

فقدمت ، وطفقنا نتحدث . بلى لقد عانى احوال السجن والتعذيب ، والجوع ، والخوف ، وخرج من جهنم حكم اليابانيين نحيلاً فقيراً . اخبار الوطن ؟ كثيرة ! القلعة لم تبحر بعلبك ، « ورأس العين » لا تزال مياهها تجري .

وسألني بدوره اخباري ، فقلت : انها مختصرة - سماء ، وماء ، وبضعة بوابير يابانية ومدرعان . فضحك وسرد لي اخبار غمار غواصتنا ، اذ انه كان قرأ الكتاب الذي ألفه قبطان الغواصة « نوتيلوس » وعنوانه « ثمانى ساعات في جوار الشيطان » ، حين انسحبنا بعد معركة « سوريفار » الى مياه ظنناها امينة ، ففوجئنا بعشرات من قطع الاسطول الياباني ، فغطسنا الى قعر البحر ، ولبشنا هناك ثمانى ساعات ، واليابانيون يرموننا بالقنابل من طياراتهم ومن بواخرهم المقاتلة .

وهذا فوران نفسي ، بعد انقضاء الهلة الاولى ، وانكشف الضباب عن عيني ، فاخذت انظر الى جميل من جديد ، فلم اجده الفتى الذي عهدت . فقد ضخم وجهه وتوهل ، وعرض جبينه في صلعة ، ولقد اغتفرت له انه لم ينهض للقائي ولم يمد يده لمصافحتي ، ولكنني لم اغتفر له ذلك الطنين الخفي في صوته الذي يقصيني عنه . كان فيما مضى في صوته نبرة ثورة ، وحدة ايمان استحالت الان الى هدوء مائع ساخر ، وكنت قبل اليوم تشعر اذ تحادثه انك في حضرة مقاتل يجاهد في تحقيق امر نبيل ، وها هو يصدر الاوامر ويقضي.

الحاجات ، كأنه عامل في مصنع ينزع المسهام من هنا ليضعه هنا ، يفعل هذا في حذق ودقة ، ولكن بغير حماس . وكنت من قبل ارى حول رأسه هالة ، كأنما هو قدس او ولي . فاذا بتلك الهالة امست ضباباً من كآبة ، اذ تسرّقت الى صوته حزن عميق ، ورنه يأس لم افقه معناها .

وصمت وصمت .

ورحت الالعاب الصرة التي اردتها هدية له ، واضحك من نفسي اذ ان محادثتنا قاطعها ظهور بعض مستخدمي المكتب ، واحداً اثر واحد ، ولم يسعني الا ان افهم من شظايا كلماتهم انهم يمارسون التجارة بارقام ضخمة : « ارسل ستين الف دولار الى نيويورك ... اطلب عشرة صناديق ذهب من المكسيك ... ادفع حوالة الـ ٦٨ الف دولار ... ثمانية الاف صندوق سواكير ... اربعة الاف صندوق صابون ... لا نقبل طلبية بأقل من خمسة الاف دولار .. مليون شفرة .. »

وحالا ذكرت ان قنينة الوسكي التي دفعت ثمنها ، لم اشربها كلها ، وان في شفتي تلك الفتاة شهوة مسكرة . وكنت حينما جلست قبالة جميل ، اجد مقعدي ناعماً كأنه مليء باشعار فوزي المألوف ، فشعرت بعدان تطلعت الى جميل ثانية ، ان الكرسي صار وخازاً كأن حشوه خطابات المطران مبارك ... فتهيات للنهوض والانصراف ، ولكن عيني اذ ذاك التقتا بعيني جميل .

سبحان الله ! اليد تصافح العدو مخادعة ، واللسان ينطق بالكذب ، والشفتان تنفرجان عن ابتسامة ختل . اما روح الانسان

الصادقة فقد صَبَّها الله في العيينين فلا تكذبان . وقد التقت روحانا
خلال عينيها فاغتصب جميل ضحكة ، وقال : « ان في نفسك معركة
يا بخّار ، وكدت ان تنهزم منها » ودخل اذ ذاك احد مستخدمي
المحل فامرهم جميل بان يقفل الباب وينصرف ، وان لا يسمح لاحد ان
يدخل علينا . ثم تابع جميل حديثه : « تريد ان تسألني سؤالاً ولا
تجسر . وجدتي ممسوخاً . تريد ان تعرف لماذا ؟ اني مخبرك . لقد
عرفت اسراري كلها في زمن فقري ، فلم اخفيها عنك اليوم ؟ ولكني
اقول لك انه ليس في وسعك اسعافني ! ان بي مرضاً لا يشفى .
انت تذكر آلامي في ايام القلة . لقد رويت لك اي مهانة ملكت
نفسي يوم ذهبت وزوجتي الى كلية الراهبات لتسجل اسم ابنتنا في
ذلك المعهد ، وكيف اعرضت عنا الراهبات ، ورفضن قبول ابنتي
لولا توسل زوجتي . وما كان ذنبنا الا ان حقارة اثوابنا اعلنت قلة
دراهمنا . تذكر كيف كنت ، حين انصرفنا بعد ظهر يوم
ماطر ، اقبع في مدخل البناية منتظراً انقطاع المطر ، وكيف كان
بئر امامي الاوتوموبيل خلف الاوتوموبيل ، ترش عليّ الوحول ،
ونحمل الكثيرين من اجلاف الناس . انت تذكر حين جاءت الجوقة
الاميركية ولم نقدر ان نشهد ايّاً من رواياتهم ، اذ كان ثمن التذكرة
خمسة دولارات . تذكر اني كنت افترض منك الدولار ، والاثنتين
والخمس . انت تذكر مرارتي وثورتي وآلامي . هذا ليس عليك
بجديد .

« وجاءت الحرب فطوّحت بنا الفاقة . وكاد سجن اليابانيين
يطحن روحي وجسمي .

« الى ان حررتنا جيوش الاميركان .

« وكنت آمل ان تطر الدنيا دولارات ، ولكنني لم احلم بمثل هذا الطوفان . لقد كانت لي علاقات وثيقة ببعض فبارك اميركا، كما تعرف ، وكان اسمي في « السوق » محترماً ، والبلاد خالية من البضائع . اجمع هذا الى ذاك واضربه بشيء من الحظ، تفهم كيف اسبح الآن هذا الاوقيانوس من الاموال .

« وحين هبط عليّ الغنى لم اصبح مقترأً، بل اني ايتنيت شبه قصر في ضاحية المدينة فرشته بافخم الرياش . وصارت ابنتي تذهب الى كلية الراهبات — تلك التي ارادت رفضها بسبب فقرنا — باكبر سيارة في المدينة .

« ولكن شيئاً من عناصر نفسي خشن وتصلب وآلم .

« فحين مرضت زوجتي قبل الحرب كنت اسهر الليل احديثها واواسيها ، واذ تغفو اكتب على قراءة كتاب، وربما ألفت قصة أو قطعة من رواية . اما بعد الغنى، فاني اكرتي لها مريضتين، واحدة للليل واخرى للنهار، ثم انام ملء عيني . كنت في زمن الفقر، اذ يقبل العيد، آتي بدمية رخيصة الثمن واعطيها لابنتي والاعبها واضاحكها . اما اليوم، فاوصي من نيويورك على اثنان الدمي، ولكنني لا اضاحك ابنتي ولا الاعبها . في زمن العدم ، كنت ادخل وعائلتي الى دار السينما فنضحك او نبكي معها كانت الصورة سخيقة . اما منذ حين فقد اقاموا حفلة خيرية وعرضوا فيها صورة « سلم الى السماء » وباعوني ثلاث تذاكر الواحدة بخمسين دولاراً، فبقيت زهاء ساعتين اتطلع الى الشاشة البيضاء ، فلا ارى الا الشاك الذي امضيته لهم



— ١٥٠ دولار — ١٥٠ دولار — ١٥٠ دولار . اذكرك يا بحار يوم
جاءتني من لبنان علبة الزيتون، وجئت انت ونسيب وبوسف وسليم
وداود معي الى البيت، وفي طريقنا اشترينا بستين سنتيماً خبزاً و ٤٠
سنتيماً خياراً، واكلناوا كلناوا كلنا وضحكناوا وضحكناوا ..
اما اليوم فان وجوه المدينة يأتون الى العشاء في بيتي ، ولا نتبادل
الا المداجاة ، واني اعدّ عليهم حبوب العنب اذ يأكلون — كيلا
العنب ثمة ثلاثة دولارات يا بحار ...

وذات يوم جاءني بريد بيروت فاذا فيه رسالة من رفيق الصبا،
وعشير الدراسة كنت ادعوه « المكاري »، اذ ان معظم رجال
ضيعة أكارون ، وكان يدعوني « المعاز » لكثرة رعاية الماعز في
ضيعتي . كانت رسالة المكاري الي كلها عواطف ، وقد ارفقها
بنسخة من مجلة يصدرها ، فذاب قلبي حنواً وتذكيراً ، وقطعت له
حوالة بـ ١٠٠ دولار اشتراكاً بمجلته المتواضعة . وحين رجع
الاجير من البنك بالحوالة تصفحت المجلة فوجدت ان اشتراكها
عشرة دولارات . لماذا ارسل له مئة ؟ من وهبني خلال ايامي كلها
تسعين دولاراً ، حتى ارمي بهذه التسعين ؟ فارجعت الاجير الى
البنك ، واستبدل الحوالة بثانية قيمتها عشرة دولارات .

وبعد ظهر ذلك اليوم، انصرفنا وكان المطر شديداً، فركبت
اوتوموبيلي الفخيم، امرت بالناس تقني رؤوسها من الامطار بالجرائد ،
كما كنت افعل في ايام الحاجة . اما أنا فكان كل تفكيري ان هذا
الوحل الذي يخوضه اوتوموبيلي سيضطرني الى غسله وتشحيمه في
اليوم الثاني — اربعة دولارات ... اربعة دولارات ... اربعة



دولارات ... وأرى الناس في مداخل البنايات تنتظر انقطاع المطر ، فاذا كر يوم كنت اقف بينهم موجعاً ، فاغسل روحي بصلابة خاشعة طالبة السعة ، او شتمة وأسيرونية تلعن الفقر . اما الآن ، اربعة دولارات ... اربعة دولارات ...

« وبلغت البيت وجلست الى العشاء ، واتفق ان زلت القدم بالحادة ، فوقعت وكسر الصحن الذي كانت تحمله ، فنظرت الى القطع تنتشر على الارض ، وتألمت كأنها كسرات من أضلعي .

« ثم آويت الى مضجعي ، وما ان غفوت حتى حلت كأني أرى « المسكاري » يأتيه موزع البريد في مكتبه الحقيق في بيروت فيدفع اليه برساتي ، فيأخذها « المسكاري » فرحاً ويفضها نشوان ، ثم يرى الحوالة بعشرة دولارات فيبهت وجهه ويتطلع بي - كأننا ما برحنا غلامين في زمن الدراسة ، ويبتسم عاتباً - « لا تكفي يا معاز . لا تكفي يا معاز » . وعزّ النوم فأرقت الليل كله ، وفي مطلع الفجر هيأت قهوتي ولبست ثيابي ، وفيما أنا أهم بالانصراف استفاقت زوجتي فسألتني : « شمت رائحة القهوة في الليل . ما هي ؟ قصة ، رواية ، ام مشروع تجاري ؟ » . قلت : « ان امامنا افراحاً كثيرة ، وأياماً سعيدة فحين ارجع هذا المساء سنعود فقراء » . فشع وجهها وتنهت قائلة : « اممكن هذا ، اممكن ؟ » قلت « ستين ! »

« ونزلت الى المكتب انتظر مجيء المستخدمين . وما ان ظهر امين الصندوق حتى سألته « هو سآ - كم رصيدنا في البنك ؟ » ففتح 'هو' سآ الدفتر واجاب ٣١٢، ١٩٤ دولار أو ١١ سنتياً ، قلت : « اعمل بها تشاك بالمبلغ كله - وارسله تبرعاً للمعهد العربي الاميركي في نيويورك .

« - تبرّع ؟ »

« - تبرّع ! »

« وفيما هو يحضر التشاءك، شمعت بان ما يضطرب في احشائي قد استحال الى موجة من نار، غمرتني ثم تراجعت عني، ثم عادت الي، فوقفت عليها، وراحت تندفع بي صعداً، صعداً، الى مكان بعيد بعيد لاح كأنه جنة ربيع دائم. وتطلعت الي يميني فابصرت ملايين - اقول ملايين - البشر وقفوا تصفق لي، عرفت بينها وجوهاً كثيرة، منها وجه المكاري وقد سمعته ينادي « برافو يا معاز! برافو يا معاز! » ورأيتك يا بحار تحت ابطك غواصتك « نوتيلوس » في حجم هذه الصرة التي هي الآن بين يديك تلوح لي بقبعتك هذه البيضاء. ونشقت الهواء شديداً كنسيم صيدا في ابان ازدهار بساتين ليمونها، وسمعت الصنوج والطبول تفرعها قبائل البدو، والوفاء من المؤذنين ينشدون « الله اكبر »، وعمالقة تفرع اجراس الكنائس. ورأيت أبي نهض من ضريحه وتلفف بعباءته الشتوية، وصاح بالناس: « هذا ابني! هذا ابني! ». وكذلك انتفض عمي الشاعر من قبره، وكان يتكلم العربية بلهجة مصرية، فتغنى: « دا كويس خالص! دا كويس خالص! ». ولاح قصر تينته، فاذا هو قلعة بعلبك وقد غطت حيطانها الازاهير الملونة من ورود وقرنفل وياسمين وزنابق، وقد وقف في مدخلها على أعالي الدرج، تحت قوس النصر، رجل قصير، كبير الانف، عبقرى المظهر، تفرست به، فاذا هو خليل مطران في كهولته ينشد قصيدة ترحيبية، وقد اصطف خلفه ابو علي ملحم قاسم واولاد دندش باثوابهم العربية واسلحتهم الالمانية

يتوسطهم صلاح اللبابيدي ، تعلو رأسه برنيطة عالية سوداء .
واذا بهوسا امين الصندوق بوقظني من تلك الرؤيا ويدفع الي
التشاك لأمضيه ويصبح : « سيدي ! التشاك حاضر » .
ووقف جميل هائجاً صائحاً : « انظر . الآن تفهم لماذا لم اصافحك
حين دخلت . جسّها ! جسّها ! » .

فقطعت الى يده التي مدها نحو وجهي فاذا اصابعها الخمسة قد
تكورت ، وجسستها فاذا هي صلبة جافة عديمة الحياة ، كقضبان
حديد النافذة . وسرت بسلسلتي الفقرية رعشة أوجمتني .

اخيراً سألت متلججاً : - « والطبيب ... ألم ... »
فضحك جميل ضحكة دامية وأجاب : « زرت كل اطباء المدينة
ومشاهير الجيش والبحرية ، وطرت الى اميركا فتعهدني كبار
الاخصائيين ؛ وقد جربوا الكهرباء والتمسيد والمراحم والسوائل ، ولم
اعف عن المشعوذين فكتبوا لي الطلاس ، والبسوني الحجاب ، وتوسّط
لي عميلنا في نيويورك لدى الحكومة الاميركية ، فسهلوا لي الطيران
الى همبورغ ، حيث كان بين الاسرى الالمانيين شيخ اطباء الاعصاب
« هرّ د كتر شمت » ، وجيء بالذكور الالمان في ثيابه المقلمة الزرقاء .
يحرسه جندي اميركي . وقدمني الضابط اليه بقوله : اني السيد سغبيني ،
ومددت يدي نحوه فنظر اليها نظرة سريعة ، وضحك وتكلم هازئاً
« هل خلق الله انساناً اشدّ بلباً من الاميركان ؟ من غير ان تخبرني
ان اسم هذا المخلوق سغبيني ، أفهم انه من صبيان موسولين » . ثم
تطلع بي من فوق قامته الجبارة ، وخاطبني كأني غلام دون العاشرة
« كانت المعركة حامية يا بني . وكانت المدافع تقصف كالرعد .. »



وكان بين يديك بارودة تلك التي حملك اياها الدوتشي . وقال لك
 انك صرت جندياً . ولكنك لم تطلق البارودة يا بني ! » وشد ذقني
 شأن من يدل طفلاً وقال : « يا حبيب امك ! » وتطلع الى الضابط :
 « قلت لكم ان لا تأتوني بمثل هؤلاء المرضى . نحن الالمان اخترعنا
 كل شيء ، ولكننا لم نخترع دواء يشفي من الجبن . لو كنا اخترعناه
 لاحتل حلفاؤنا قتال السويس ، ونشروا بيارقهم على ذروة «المبوس»
 ولكنت انت تلبس ردائي الازرق المقلّم ، ولكنت تحمّتك لي
 « هيل هنر ! » ...

ورمقني الطبيب بنظرة ازدراء ، لو ان النظرات تقتل ،
 لكنت طحنتني هباء . وادار ظهره وانصرف .

*

وزفر جميل زفرة خلت انه زفر معها روحه وتابع : « اني تعيس
 يا بحار ! اشعراني ساكن ، كما ذكر قبطانكم في كتابه ، في جوار
 الشيطان ، في قعر بحر موحش بارد ، ولكني في الغواصة وحيد ، ليس
 لي رفاق . ان نفسي جفت وتصلبت وانطوت على نفسها مثل هذه
 الاصابع الميتة ! » .

وحلق في الزجاج السميك الذي يغطي طاولته ، وجحظت
 عيناه ، فتبعته بنظري ، فاذا هو محقق بالتشاك الذي تمدد تحت
 الزجاج - ذلك التشاك الذي جبن جميل أن يوقعه .

آلامُ الذِکْرِی

لم يبق من ذلك الصرح إلا درجاته الرخامية السبع، أما القصر
فقد أحرقته قنابل الطيارات، وذرت رماده الرياح.
هناك وقفت وصديقي «نخبير كيروز» الفتى البشراوي
الصلب، مُدير النظر فيما حولنا حيث تبعثرت الذكريات.
في سفح تلك الهضبة، حفرنا بأيدينا النفق الذي كنا نهرع إليه
كلما ظهرت الطائرات القاتلة. انظروا! فالقوهة لا تزال بادية. كم من
يوم لبثنا ونساءنا واطفالنا قابعين في تلك الظلمة، وشظايا القنابل
تصفر من حوالينا، والرعب يرجف قلوبنا. كم ضررنا إلى الله ان
يبقي ولو واحدا منا حيا، يخبرهم في لبنان كيف قضوا نحبهم،
اولئك الذين لن يعودوا. لقد ملأنا ذلك النفق صلوات، ونخبيا
وشتائم، تلك هي الشجرة التي تقيأناها، كلما غابت الطائرات وانقطع
هديرها. ألا ترى الشجرة يابسة مقصوفة؟ اذكر يوم هصرتها
الشظية؟ إلى يميننا في الجهة المقابلة، حطام مخفر اليابانيين حيث
اعتقلنا متهمين بالجاوسية للأميركان. من كان يحسب حين وضع



الجاويش السنكة في صدر مخير ، وشد رفيقه بالمسدس على صدغي
 أننا سنخرج من ذلك المحفر سالمين ؟ أدرك عينك الى القمة المخاذية ،
 ألا ترى خراب الدّير حيث احتمينا اسبوعاً ، ظناً بان الطيارات
 لن تهتك حرمة المعبد ؟ من ينسى تلك الظهيرة ، اذ حوّمت الطيارات
 المزودة الجسد ، وانهالت على الدير بصوب من الرصاص ، فقتلت
 الفتى الاسبنيولي في ساحة الدير ؟ ... صدق العرب ! ليس اشجع
 من امرأة ! كنا رجالاً يربو على المثبتين عددنا . فمن جسر على ان
 يخرج من مخبئه في البناية الحجرية الى الساحة ، حيث صرع الفتى
 الاسبنيولي ؟ من قفز الى الخارج اذ كانت الطيارات تحوم وتصب
 الرصاص على الساحة الا ام الفتى المقتول ! ها هي راكعة الى
 جانب ولدها ، ناجية جافة العينين . لقد جست نبضه وتحققت من
 موته . تطلع اليها وقد شخصت الى السماء وهزّت قبضتها في وجه
 الطيار . ترى ما نطقت به تلك الشكلى في تلك الساعة ؟ من سمع ؟
 من يدري ؟ من يابه ؟

لبثنا في اسفل البناية ، شجاعنا يهديء روع النساء ، وسائرنا في
 بلد ، او هستيريا ، او غارق في صلاة ...

أجل طرفك في البناية التي تلاصق الدير ... بلى ، تلك الدار
 المتهدمة ، المشوهة السوداء ، ألا ترى أربع راهبات قتيلات في
 الامر ؟ هنا رأس ، وهناك رثان ومصارين ، وعين التفتت بجائط
 الغرفة الخارجي ، حيث خبأنا مؤونتنا . كيف تراكضنا قافزين فوق
 جثث الراهبات نختطف اكياس مؤونتنا وحقائب ثيابنا . وعلام
 نبتعد بانظارنا ؟ - هنا حيث تقف عتبة قصر « ار كوس » -

الكهل الاسبنولي المرح ، كم اتينا اليه في العشيّات ، فما ان ندنو
 من بوابة الحديقة ، حتى يتراكم اولاده الثلاثة ، طفله « كرمين »
 في السابعة من العمر ، ترحب بنا ووراءها كلبها « برنس » يبصص
 بذيله وينبح متأهلاً ، وابناه التوأمان « رمون » يصبح بالخدمة
 ان هبّي القهوة للمواطنين ، « وهوات » ينادي أباه اتنا اتنا .
 ويوم عيد ميلاد « اركوس » ، كم افرغنا من زجاجة « وحلمنا
 بسعادة . كم غنى لنا « اركوس » بصوته الفخم الهدّار وزوجته
 ترافقه موقّعة على البيانو :

« اوّاه ما ابعذك يا ارض اسبانيا !
 آه ما اقسى الغربة عن ربوعك !
 اني لاعجب ان ابقى حياً وانا مغترب عنك
 غير ان قلبي ومشاعري
 لا تزال هناك

هناك حيث ولدت — في ارض اسبانيا
 وليلة أقمنا جمعية « بوكر » صخابة . « واركوس » في يده
 اربع « بنات » وفي يدي اربعة « ملوك » ، وطفقتنا نتزايد ، فلما
 دفع بكل ما امامه الى الصحن ، انتزع بنطلونه ووضعه على الطاولة ،
 وحين رأى الاربعة « الملوك » في يدي ، دار بوجهه الى الغابة
 خاطباً « الا اشهدي يا باسقات الاشجار ، ودوّني يا طيورها ، ان
 « اركوس » ما عرّى جسده عن بنطلونه لو عرف انه في حضرة
 ملوك أربعة !»

ويوم انتثرنا وهجرنا البلدة الى الاحراج ، كيف جاء

« ار كوس » ، بودعنا با كيا ، وكيف فر الى « مانيللا » واختبأ في احد بيوتها ، وكيف جاءه اليابانيون فاقفلوا الابواب عليه ، وعلى عائلته وكلبه . وكيف رشوا الزيت واشعلوا النار ، فلم يظهر بعدئذ في رماد تلك العائلة الا سن « ار كوس » الذهبية .

وها انا ونخبير على الدرجات الرخامية السبع تذكر ! وايام الجوع ، حينما نقلي اوراق البطاطا البرّية ، ونحسوها شورباء ؟ وحين طاردنا ذلك الديك اربعة كيلومترات حتي ظفرنا به ؟ وكيف عشنا على الرز المسلوق طوال شهرين ، لاقهوة ، ولا سكر ، ولا دخان ، ولا شيء نأكله ، الا الحوف والجوع والرز المسلوق وبعض الاعشاب ؟ !

ونخبير كيروز ، هذا الواقف الى جانبي ، من ينسى إقدامه اذ سمع صباح جارة له عجوز تستغيث من منزل اشتعلت فيه النيران ، كيف فحم السمعير ، واحتمل العجوز وقفز بها من النافذه فلما هناؤه على شجاعته ، اجاب متواضعاً :

— ظننتها صبية !

وقفت على تلك الدرجات استعرض الماضي المروع ، فلا اشعر بفصة ، وأصفي الى قلبي فلا اسمع خفقانه ، والمس عيني فلا دموع . هل حجرت المآسي عواطفي ، حتى لأقف على اطلال منزل الصديق الحبيب الذي مات وعائلته حريقاً فلا اثار ؟ لقد مضى عام على تلك الفواجع ، فمتي تمتصها مشاعري وترسب في قلبي وتطفو على احساسي ؟ متى احدث الناس بهذه الحكايات ، ان لم احدثهم بها اليوم ؟ ولئن لم تملك الاحزان نفسي ، فلم لا يهزها زهو الظفر ؟ — فهؤلاء

اليابانيون القنلة الطغاة هم يعضون التراب ، وها نحن ننعم بالحرية
نفعل ما نشاء ونصبح بما نريد . ولقد اتخمتنا اكل الدجاج حتى اذا
رأيت دجاجة هربت منها . وها هي سيارتي ذات الثمانية سلندرات
تلمع على جانب الطريق ، مذبذبة ان ايام فقري توت . فما بالي
لا يهزني الفرح ؟ احقاً ان عذاب الاماني تبقى عذاباً حتى تتحقق
فتفسد ؟ هل انقلبت عاطفتي الى جماد ، فلا ذكرى الاوجاع تهزها ،
ولا نشوة الفوز تسكرها ؟ رب يسر لي دعة اذرفها او خفقة في
قلبي ، تثبت لي اني لا ازال حياً !

ولقد تاهت في التأملات ففعلت ان نخبير لا يزال هناك قريباً
مني ، فابقطني صوته مخاطباً :
— سعيد !

« نعم » اجبت . وتطلعت اليه فاذا هو غير الفتى الذي عرفته
لدفائق خلّت .

يمرّ على الانسان في حياته لحظات ؛ يبدو فيها اكبر من الدنيا .
هكذا ظهر في تلك اللحظة نخبير كيروز ، فقد طغى على حيّاه نور
سمائي ، وتنهد فاشرب صدره الفسيح ، وتاهت نظراته كأنه
نبي يسمع وحياً .

— سعيد ... لو ان « اركوس » حي !
شكراً لك ربي ! ان الكلمة الكبرى التي خرست عنها سينطق
بها رفيقي . هذا نخبير ابن « ارز الرب » ؟ ابن « بشراي » ، مواطن
جبران خليل جبران . هذا فتى الفطرة الذي لم تفسده الثقافة .
انه ليفوه بكلمة اكبر من هذه الهضبة التي نحن عليها .

وومضت اذ ذاك في سريري فكرة تمرّ بخاطر كل من تطبع
 كلماته - سأظفر بعبارة استعملتها في مقالة او رواية .
 « لو ان اركوس حيّ » ! هذه شطرة شعر ، بل مطلع اغنية .
 ففتحت عينيّ واصفيت باذنيّ الاثنين :
 - اجل يا مخبر « لو ان اركوس حيّ ! »
 فشع ذلك النور السماويّ على وجهه من جديد ، وسطعت
 عيناه وقال :
 - لو ان اركوس حيّ ، لكنّا ركّبنا الليلة طاولة بوكر ! ...

لغت کثاب



فعدت الى كأس الوسكي اتجرعها كريمة ، كأنني ابلع كذبة
صهيونية .

وقد كنت يقطراً متوتراً الانتباه ، كمن هو في بحران رؤيا ، تزخر
في عروقه قهوة عدنية ، وتعمم رأسه ثلوج من قمة « جبل الشيخ »
في أصقع لبالي زمهريره .

ففي تلك الحانة جلست ، اسمع التاريخ وأراه - التاريخ حياً ،
صخاباً ، فتاكاً ، مضحكاً ، مريعاً ، منهكاً ، خليعاً ، كما لم تعلّمني
اياها الكتب واساتذة الجامعات ، وكما لم بصوره خيالي .

فهذه الحانة حيث الوسكي ردىء ، والخدامات بغيّات ، والزبائن
غوغاء ، من بحارة وجنود ، هي في اطراف شمالي مدينة « مانيلا » .
وفما نحن نختسي الوسكي ، والبغايا يقتعدن احضان الزبائن ، وآلات
الموسيقى تزفر ، وتلهث ، وتطبّل - كانت المعركة - معركة
مانيلا - على اشدّ احتدامها . هذه سيارات الجيش وكمبوناته
تومح من امامنا مشقة جنوداً وعتاداً . هذه هي الطيارات تحوم فوق



مراكز اليابانيين وترميمهم بالموت المتفجر ، وهذه هي المدافع
الاميركية تبصق الف قذيفة كلما ازت من الجبهة اليابانية قذيفة
واحدة . ولو ان احداً مشى بضع مئات من الخطوات جنوباً ،
لرأى اليابانيين المحاصرين ، ذوي العيون الكلبة ، والوجوه
الحيوانية ، وسمع حيناً بعد حين هجرات شرذماتهم تحذوهم شجاعة
بهيمية يصرخون صرخات الوحوش الجريحة الكاسرة .

وكان كلما انفتح باب الخسارة ، ظهر لي مشهد جديد ، فهذا
بحري يقاتل بحرياً ، وهذا جندي سكران يفتش القناة ، وهذه
فتاة اميركية من الملتحقات بالجيش تريد ان تبادل معجوت
الاسنان وقنينة الكولونيا بمصوغات « مانىلا » من زناير قش ،
واحذية خشبية . وذلك غليظ يترصدك ليروي لك للمرة العاشرة
انباء غماره في هذه الحرب ، وخسائره فيها . ومرّ بائع جرائد
فابتعت منه صحيفة الجيش ، فاذا فيها ان كل شمالي « مانىلا » اصبت
في ايدي الاميركان ، وان اليابانيين في تراجعهم نسفوا الجسور
الثلاثة التي تصل شمالي المدينة بجنوبها فوق نهر « الباسغ » ، وان
الجسر الرابع سليم ، اذ ان اليابانيين ابقوه خشية ان تنقطع المياه
عنهم ، وهي تمرّ بقسطل فوق الجسر ، وان القيادة العامة
الاميركية في حيرة ، اذ لو قذفوا الجسر بالمتفجرات ، فقد ينقطع
الماء عن الاهالي الذين لايزالون في المنطقة اليابانية ، وان اليابانيين
يستمتون في الدفاع عن الجسر ، فكما قتل منهم جندي ، ظهر
جندي يجعل من جثة رفيقه متراً للدفاع .

اما انا فلم تهزني هذه المشاهد ، ولم يرعيني قصف المدافع ، ولم

اكن بالناظر الى هذا التاريخ الذي يهدر حولي نظرة الفيلسوف ،
بل ان افكاري ومشاعري وقلقي كانت متوثبة بقطة ، اتساءل عن
ابراهيم جوهر ، ترى اسليم هو ام ... أم ... كلمة كلما تخيلتها
طلبت كأساً من الوسكي من جديد .

وكيف لا اقلق على ابراهيم جوهر ، وهو عشيري ، وشريبي ،
ومساكني خلال خمسة عشر عاماً ، وقد افترقنا لاسبوع خلا ، في
الجبال ، اذ يَمّ هو سرايب معادن الذهب للاختباء فيها ، وقصدت
انا الى الاحراج . وهذه جيوش الاميركان قد حررتنا وانت بنا
الى « مانيتلا » ، واليوم قبل لنا ان الجيش احتلّ مناجم الذهب ،
وان كميونات الانقاذ ستأتي بالاجانب الاحياء الى « مانيتلا » ، وقد
دفنت القتلى منهم — وهم كثيرون — حيث وجدتهم .

حقاً اننا لانفهم كم هو شغفنا بشخص ما حتى نفقده ، او نخشى
ان نفقده .

ونفضت من مقعدي ، وعبرت الطريق الى المخفر حيث انتصب
الحفير الاميركي ، فسألته للمرة العشرين ، متى تصل كميونات الانقاذ؟
فابتسم وداعب بارودته قائلاً : « لئن سألتني مرة ثانية لاطلقن
عليك الرصاص ! قلت لك تصل الكميونات الساعة الثامنة عشرة » .
وهذه الساعة العسكرية في لغة المدنيين تعني الساعة السادسة بعد
الظهر اي قبيل الغروب بساعة ، اي بعد دقائق .

فوقفت امام المخفر وما طال انتظاري ، حتى اقبلت كميونات
الانقاذ ، تحرس مقدمة مؤخرتها سيارتان مصفحتان ، وهدأت امام
المخفر ، وراح ركبها يشبون منها فرحين ، وكان كلما قفز شخص من

كميون ، قفز قلبي من بين اضلاعي ، وطفقت انقرّس بمن ترجّل من
الكميون علّه يكون ابراهيم .

وابتدأت الكميونات تسير وقد حلت من ركبها ، منصرفة
من امام المخفر ، واحسست بالخوف واليأس يشلان ركبتيّ ، وقد
بردت يداي ، وشعرت بظماً الى الوسكي شديد ، وتماوجت الابنية
والشارع في نظري ، وكادت السيارة التي تحفر مؤخرة القافلة
تלטمني ، اذ امتدتّ منها يد امسكت بكتفي ، وصاح منها صوت
باسمي ، ففركت عيني ، وثبتت ان الجالس الى يمين السائق في الثوب
العسكريّ الاخضر هو ابراهيم .

وانحدر ابراهيم من السيارة متمهلاً لم يشب ، وسلّم عليّ سلاماً
عادياً غير حارّ ، وتمعنّته فلم أبصر في عينيه تلك النار المشعة التي
عهدتها ، ولم اسمع في صوته تلك النبوة المتوثبة الحارّة التي اشتقت
الى صداها ، وحقاً لقد تنكر عليّ ، ونحن ما افترقنا الا منذ
اسبوع ، حتى لوجدت فيه كل شيء تغير ، الا ذلك الكتاب الاحمر
الذي تأبطه « مجاني الادب » ، وكان يسمّيه انجيله وقرأنه وتلموده .
وعرّفني الى رفيقه الفتى الاميركي الضابط - ماجور اندرسون ،
وراح يناديه باسمه « هري » عارياً عن اللقب ، ومشى بنا الى
الحجارة في دعوة توهمت انها شبه امر .

وحقاً لقد شعرت بالحبّة في لقاء ابراهيم ، ولكني لست من الذين
يطرحون جواهر الامور لفشل في ظواهرها ، فابراهيم جوهر هو
خليلي وصفي خمسة عشر عاماً ، وها هو قد نجا من الموت والمخاطر ،
وما عليه ان كان فاتراً في سلامه وهذه الحرب قد صيرت من

العقلاء مجانين ، ومن الاذكياء بلهاء او قلقين . هي بادرة عارضة .
فلنشرب هذه الوسكي ، فيصبح طعمها الآن مسكراً لذيذاً .

وجلسنا الى طاولة فغمز ابراهيم احدي البنات ، ودعاها الى
مجالسة الماجور بقوله : « عليك بهذا الاميريكي . انه فتى جندي
عطشان جائع » . والتفت الى الماجور وقال : « فيما انت يا هري
تصابي ، اسمح لي ان احدث مواطني هذا بلغتنا العجبرية » . فرجفت
مشمئزاً . متى كان ابراهيم وسيط البغايا ، وكيف يدعوني بـ « مواطن »
وهو ما قدّمني الى الناس الا مداعباً « اكبر اعدائي » ، « ورثي »
« ابن عمي » ، « اعظم مصائبني » ؟ وكيف يقول ان لغتنا هي
« العجبرية » ، وهو ما تكلم عن العربية الا بصوت مرتجف وصدر
بارز فخور ؟

وبلعت كأس الوسكي جرعة واحدة ، اذ اخذ ابراهيم جوهر
يخطب بي :

— اولاً (قال ابراهيم واضعاً سبابته بين عيني) سأحرق هذا
الكتاب « مجاني الادب » . اتذكر راجي الراعي ؟
— نعم اذكره .

— اتذكر ما كنا نقرأ من كتاباته — ما عنوانها ؟

— قطرات ندى .

— مضبوط . اتذكر قوله « العقل جنون هادي » ؟ ، لقد كنت
انا خلال هذه الخمس عشرة سنة في جنون هادي . ولقد ايقظتني من
بحراني الجنوني كهربائية هزات هذه الحرب . ما كان اغباني ! . لقد
نزلت الى سوق التجارة متسلحاً بـ « مجاني الادب » . ما هي هذه



العادات البدوية التي استعبدتنا : الوفاء ، الشهامة ، الكرم ، العفو ، الضيافة ، العطاء - ما هذا الدستور الملائكي الذي حاولت تنفيذه في عالم الشياطين؟ وقبل ان انسى - لئن رجعت الى لبنان قبلي ، فقتل عن ضرب المعلم عباس . هل لك ان توليني مئة وتبول عليه ؟

وقهقهه ابراهيم ونادى الغلام ان يسلاً كؤوس الوسكي من جديد . ثم عاد الى الكلام :

« اصغ الى هذه المدافع التي تقصف حولنا . لعلك تحسب انها حرب هذه التي نشهد ونسمع ! ما هي بحرب . هي تجارة . الحرب والسلم ، والدين ، والعلم كلها تجارات . هكذا قال لي رفيقي هذا هري الاميركي . تراك هل عرفت من هو ؟ هو بطل « جواد الكنال » على صدره شارة اعظم نيشان . المجلة الاميركية التي نشرت خبر بطولته دفعت له خمسة وعشرين الف دولار ، وباعت اربعة ملايين نسخة من ذلك العدد الذي روى انباء غماره . هوليود دعتة الى صنع صورة . اندري ما قال لي ؟ قال لي انه يحارب ويتاجر معاً ! يبيع من بضاعة الجيش . لعلك تحسبها سرقة ؟ ما ابلهك ! يبيع بضاعة الجيش هي سرقة في عرفك وعرف « مجاني الادب » والمعلم عباس . اما هؤلاء الاذكياء مثل ميجور اندرسون فيحسبونهم تجارة . انا من الآن وصاعداً تاجر . أفهمت ؟

وكانت الحمرة قد دارت في رأسه ، فانتزع علبه الكبريت من جيبه ، واولع عودة فادناها الى كتاب « مجاني الادب » يريد احراقه ، فاحتفظته منه وقلت : « اعطني اياه . مكتبي احترقت واريد ان

احتفظ به فيكون عندي ولو كتاب عربي واحد . « فضحك ابراهيم وقال : « عجباً ! هل فرغت من نهب اللغات الافرنجية حتى تبدأ بسرقة الكتب العربية ؟ لا بأس فالكتابة تجارة . لكن كانت بضاعة الجيش حالاً ، فحلالاً بضائع المؤلفين . هاك « بجاني الادب » .

وقبل ان اتمكن من الرد عليه مشمئزاً ، اسرع الى طاولتنا جندي ، فأدى النجية العسكرية الى الماجور اندرسون ، وناولته كتاباً مختموماً بالشمع الأحمر ، فابتسم اندرسون وصرف الرسول بهزة رأس بعد ان شكره . وصرف الانثى التي كانت على ركبته بان دس في يدها دولارين . وفتح الغلاف وقرأ الرسالة ، ثم همس باذن ابراهيم بحيث اسمع : « هل لي ان اثمن صديقك هذا ؟ » أجاب ابراهيم : « يمكنك » . فقرأ الماجور في الرسالة ان قيادة الجبهة قد وافقت على الحطة التي اقترحتها : « تجدامام مخفر المنكوبين اربعة كميونات ، وخمسة قوارب ، و ٨٤ جندياً ، وعتاداً من القذائف اليدوية . هاجم حال استلامك هذه الرسالة ، وعليك ان تحتله بسرعة فتكون مع رجالك في الجبهة المقابلة من الجسر قبل ان تظلم الدنيا ، بحيث تتمكن قواتنا من عبور الجسر قبل العتمة . افهم جنودك ان هذه العملية هي غذائية ، فخير اياً اراد منهم بين الاشتراك بها او العدول عنها »

وابتسم الماجور فرحاً وراح يهزأ « قلت لك يا ابراهيم ان الجنرال غبي . صار له اسبوعان يهاجم الجسر من الامام . خططي ان نركب هذه القوارب في اعلى النهر ، وننسب مع التيار حتى نبتعد خمسين متراً شرقي الجسر ونهاجم اليابانيين من هناك . فبعد ان نزق اجسامهم بالقذائف اليدوية ، نقرص على جنوبي الجسر ونرسل



دعوة لجنرالنا الابله ان يشرفنا بزيارة .
وفيا كان الماجور يتكلم ، دفع الي ابراهيم بارراق صغيرة طبع
اسم الحمار عليها مرفقاً بأرقام وقال : « ادفع أنت عن نفسك ، وأنا أدفع
عني وعن همري لانه ضيفي » .

وخرجنا نحن الثلاثة الى حيث الكميونات ، وحوّلها الجنود
فوقف فيهم اندرسون خاطباً بلمجة عادية وصوت منخفض : « ايها
الغلمان ! في جيبي امر بان نعصف بالجسر الرابع فنحتله بعد ان نرسل
الى جهنم كل ابن قجة ياباني يحرسه . حين تشع الانوار هذه الليلة ،
قليون منا من يسي راقصاً في هذه الحانة ، اذ ان اكثرنا يكون إما
طائفاً على مياه « الباسغ » نحو اسماك البحر ، او مفترشاً بقعة
قرب الجسر في راحة ابدية . على انكم غير مرغمين على المساهمة في
هذه النزهة . أي سعدان منكم اراد ان يتخلف ، فليفتح فمه ولينطق
بكلمة ، فاستبدل به قرداً ثانياً من معسكرنا ! » . ولبت يردد العبارة
الاخيرة بضع مرات فلم يجبه احد ، حتى تنطّع فتى امرد فخاطب
رفاقه « الظاهر ان ضابطنا الماجور اندرسون لا يحب وجوهنا ولا
يستطيع مرافقتنا . ما قولكم لو سألنا الجنرال ان يرسل لنا
ضابطاً آخر ؟ » فقهقه الجميع وطفقوا يقفزون الى الكميونات . اما
الماجور فاعطى ابراهيم صورة زوجته وابنه وهمس باذنه « هذا عنوان
بيتي في كاليفورنيا . لئن رجعت اليك ، فلك حمل كميوني بضاعة بالفي
دولار ، ولئن بقيت هناك فزر زوجتي ورد لها هذه الصورة واخبرها
انك اجتمعت بي . »

ووقفت انطلع الى الكميونات تسير كأنما ركبها جماعة عمال في

طريقهم الى مصنع ، او تلامذة قاصدون الى نزهة ، أو مسافرون ينتقلون من مدينة الى مدينة . اين ذلك بما طبع في مخيلتي عن زيد الهلالي وعنترة العبسي وسلطان الاطرش وعوده ابو تايه ، وما رسمته في خاطري لتغريفات الحرب عن القروسية في الجروب ؟

وحين غابت الكيمونات مشيت وابراهيم الى « مخيم اللاجئين » ، حيث كانت خيمتي نمر ٢٧ ، وقصدنا مكتب الخيم ، فسجل ابراهيم اسمه وتناول بطاقة تخصيصاته ، ثم دلفنا الى العنبر ، فتناول منه سريره وحرامه ، وبعض البسة ومعدات وذهبنا الى خيمته - نمر ٧٨ ، فمد سريره وقعدنا صامتين .

من المؤلم ان تجالس شخصاً ، كتفنه الى كتفك ، وبينكما صحارى الدنيا وبحارها ، وان تكون بالقرب منه بحيث يستطيع ان يسمع همسك ولا تتكلمان . ولقد قعدت ازاء ابراهيم على حافة سريره صامتاً يقتتل شعوري وتفكيري . اريد ان اكره نفسي على بغض صديقي فلا اقوى . اذ كلما ثرت على مجونه الوقح ، ونهافته على المال ، ولهفته الشرسة ، ذكرته لاسبوع مضى ، كيف كان خلاً حبيباً مرحاً يحترق المال ، ويستشهد بحكايات « بجاني الادب » ويعبد المكرمات . ثم أدور على نفسي فاجد في الحرب واهوالها عذراً لتغير فيه أردت ان احسبه عارضاً . واني فيما أهم بان ابغضه كنت معجباً بحرارة الايمان فيه ، فنفس المرء تبقى ميتة حتى يلاها الايمان فتتكهرب ونحيا وتثير الخضوع في الناس وان يكن ايمانها بمعبود مردول .

وصرخت بعد حين صفارة الخيم تدعونا الى العشاء ، فهزرت عني



افكاري ، والتقطت صخوني المعدنية ، ومشيت و ابرهيم الى حيث
الطعام ، فوقفنا في صف طويل نسمع المدافع وازين الرصاص ،
والى القرب منا مجهر الخيم الصوتي ينطلق منه صوت نسائي باغنية
قديمة :

« تراك تحبني في شتاء العمر

مثما احببتني في نواره »

وحين جاء دورنا ملأنا الصخون وقفلنا راجعين نحو الخيمة ،
وما عادت نفسي تصبر على هذا الصمت الذي ضيق عليها فقلت ،
متعمداً فتح المحادثة : « هل لاحظت الرجل الذي كان امامي في الصف ؟
هو مدير بنك الناشيونال سيتي ، وان الصيني الذي يحاذيه كان خادماً
في مقهى «الكلوب» قبل الحرب . سبحان الله ! الامير كان يهوننا
الطعام ويساوون بين مواطنهم الذي يرأس مصرفاً ، والغريب عنهم
الذي يخدم في مطعم » فتفرزت نفس صديقي وصرخ بي : « هل
لاحظت ان فلسفانك غليظة ، وان لعنة كتاب « مجاني الادب » التي
ركتبني قبل الحرب تثقل الان رقبتك ؟ ... اسمع »

وجمداً كلانا اذ انقطعت اغنية « تراك تحبني ... » وخرج من
المجهر صوت عسكري : « إن القيادة العامة في جبهة « مانبلا » تذيع
ان الجسر الاخير الذي يربط شمالي المدينة بمجنوبها هو في ايدينا
منذ ربع ساعة ، ولقد خسرنا في القتال حوله ٣٨ رجلاً ، بينهم الماجور
هري اندرسون بطل « جواد الكنال » الذي قاد الهجوم . هذا
كل شيء » .

ورجع الصوت النسائي يعني :

« تراك تحبني في شتاء العمر

مثلما أحببتني في نواره »

وجئنا كلانا في خيمتي والصحون ملاءى بالطعام ، لاغد اليها
ايدينا ، غارقين في التفكير ، وفجأة انتفض ابرهم جوهر وانتزع
صورة الما جور وطفله من جيبه فزقها وداسها وصاح شبه مجنون :
« لعن الله اندرسون . بقي في الجيش ثلاث سنين يقاتل . اما انتقى
ساعة يُقتل فيها الا قبل ان يسلمني حمل الكميونين بضاعة ؟! » .
ومشى من خيمتي فرحت اطلع الى قامته المبتعدة احمد الله ان ليس
قربي مسدس او بارودة ، وحدث نفسي : « حبذا لو لم يرجع
ابراهيم جعفر مع قافلة اللاجئين . حبذا لو انه دفن شريفاً حبيباً
في سرايب معادن الذهب ! »

وحين غاب عن عيني تميت ان يبقى غائباً عني ، ما حيت .
أخيراً خضع الحيوان الباباني للعلم الاميركي ، فسكنت
المتفجرات وانقطع أزيز الرصاص ، وقلّت في شوارع « مانيلا »
وجوه الاميركيين الباسمة ، وابتدأت كوم الدمار من حجارة
وحديد تحتفي ، وصارت البناءات تنهض هنا وهناك ، وانا
خلال ذلك دائب في اعمال المتواضعة ، اشترى من هنا وابيع هناك ،
وارجع في المساء الى غرفتي حيث اعيش وحيداً تؤنسني احلامي
وذكرايتي ، وقد اقنعت نفسي ان ابرهم جوهر مات على الرغم من
اني كنت ارى صورته في الجرائد احياناً واقرأ فيها انباء حفلات
اقامها او دعي اليها ، وانظر الى صورته في الصحف صاعداً الى
طائرة او متوجلاً منها ، فلقد امسى من الواضح ان الرجل قد

صاب في الحياة نجاحاً واصبح بمن يستوفونهم عليه القوم .
اسباع . شهور . سنة . سنتان .

الى ان جاء صباح يوم فيما انا اذرع الطريق قاصداً اسواق البلدة
حيث اصطاد قوتي ، واذا بسيارة ذات ١٢ سيلندر خضراء فخمة
لماة حاذتني متمهلة ووقفت ونزل منها من ناداني باسمي ، وممد
ابراهيم يده اليّ وصاح : « ضعها هنا ، وقل لي انك غفرت لي » .
فوضعت يدي في يده البضة المتوهلة وصافحته كأنني اصافح شبحاً ،
ونظرت اليه فاذا هو قد بدن وتراخى وظهر لاول وهلة متخشياً
او كمثلي هوليوود ، على رأسه برنيطة خضراء شكّ في شريطتها
ريشة حمراء ، يعلو شفته شارب قصير ثائر ، ويلفلف بدين جسمه
طقمٌ خمري ، ويتدلى من جيب ستورته مندبل احمر ، تجاوره زهرة
من القرنفل ، وشدت الى رسغه ساعة شفافة ، ودار حول وسطه
الضخم زنار ابيض ينتهي ببكالة ذهبية حفر عليها اسمه ، وتحتبيء
قدماء في حذاء مثلث الالوان .

« اما غفرت لي ؟ » صاح ابراهيم « ادخل الاوتوموبيل فانا في
حاجة اليك . لم يكن اجتماعي بك صدفة فانا جادٌ في طلبك منذ
حين . اني في حاجة الى مساعدتك » فتبسمت وتطلعت الى تلك السيارة
واجبت مستغرباً : « انت في حاجة الى مساعدتي انا ؟ دعني وشأني .
اني احب رياضة المشي » . قال متضرعاً : « لا تكن حقوداً » . وما
زال بي حتى ادخلني سيارته ور كضت بنا الى بناية عرفت بما كتب
على رتاجها انها « مكتب مخلفات الجيش الاميركي » ، وسار ابراهيم
متأبطاً رزمة صغيرة ، فتبعته وشعرت حينما صرفنا في داخل البناية

ان رفيقي ذو شأن ، اذ رأيت كل من مرّ به يحبيه تحية تواضع ،
او خشية ، او دعاة . كذلك سمعت بعضهم يدعو « الجنرال »
فسألته ما معنى ذلك اللقب ، فضحك ابراهيم واجاب : « انت اعلى
موظف في هذا المكتب هو في رتبة كولونيل . ويسمونني جنرالاً
اعتقاداً منهم اني اعظم شأنًا من عريفهم ! »

وفيا هو يشرح لي هذا ، اطلت امرأة اميركية شقراء ، من
الملتحمات بالجيش فعانقها صاحبي ، وبعد مطر من القبلات ناولها
الرزمة وهناك بعيد ميلادها ، ونزع زهرة القرنفل من عروة سترة
وشكّها في صدر صاحبة العيد ، وإخالي رأيتها قد كبس باصابعه
أعلى ثديها .

وكأنما ظهور الجنرال في ذلك المكتب كهربه وقد كان ناعساً ،
فتحرك الضباط من وراء الطاولات ، وراح الكتبة يقلبون الدفاتر .
وكان في الرواق جمع من التجار الصينيين فاقبلوا على ابراهيم ودار
الهمس والغمز ، وتبادل الاوراق ، والعروض ، وابراهيم المحور الذي
يدور حوله كل شيء . وقد اشتد الجدل حول طاولة جلس خلفها
ضابط برتبة كبتن ، عديم شعر الرأس ، ناداه ابراهيم « يا اقرع »
فهرع هذا يتبعه تاجر صيني اعرف انه من اكبر مستوردي
المأكولات في المدينة . وبعد أن اشتد الجدل والتاجر الصيني يعترض بقوله
« هذا كثير . هذا كثير » صرخ ابراهيم « طيب خمسون ألفاً .
اقبلها او ارفضها » ونادى بي فخرجنا الى السيارة . وفيما نحن نفتتح
بابها لحق بنا الصيني باسمّاً فرمى بصرّة الى داخل الاوتوموبيل وقال :
« طيب . هاك الخمسين رجحك . سلمني ورقة البيع » فناوله ابراهيم

بعض صكوك وصاح بالسائق: « الى المكتب . »
 وسينما صرنا في داخل المكتب عجبت لحلوّه من المستخدمين ،
 ولحقارة شأنه وصفه . وكأنا قرأ ابرهيم افكارى فاوضح :
 « اني لا استخدم احداً اذ اني لا اريد اثمان احد . »
 وقتل الزر الكهربائي فانتشر النور ، وفتح ابرهيم الصندوق
 الحديدي الهائل الذي كاد يملأ المكتب . ثم احكم المفتاح في اسفله
 ودار به فانفجرت دفقة عن رزم الاموال فرمى بالصرة التي اعطاه
 اياها الصيني ، واقفل اسفل الصندوق الداخلي ، وسلمني سائر مفاتيح
 الصندوق والمكتب قائلاً : « اسمع . ليس في هذه البلدة من اثق به
 سواك . انا مسافر في الغد الى جبال « ايلو كوس » - اربع
 ساعات في الاوتوموبيل ، وعشرون كيلومتراً مشياً . هناك سأثبت
 حقي بمعدن ذهب اعطاني خارطته ذلك الايرلندي « اوهارا » ، هل
 تذكره ؟ لقد اخبرتك انه مات في سرايب معادن الذهب ، قتله
 الزنطاريا . واعطاني هذه الخارطة فيما هو محتضر ، رحمه الله . »
 وبقه مرحاً : « سأبكر في المسير بعد منتصف الليل فنبلغ الجبل عند
 شروق الشمس . ونزرع العواميد ، واسمي بحفور عليها ، في حدود
 تلك الارض . ثم ننحدر الى « سانتاماريا » قاعدة تلك المنطقة
 فنسجل الارض بعد ظهر الغد او صباح بعد غد . كل هذه
 السفرة لن تستغرق الا ثلاثة ايام . اما انت فاجلس وراء هذه
 الطاولة . ستأتيك مني اوراق كثيرة فاقبض وادفع بحسب الطلبات
 التي تحمل توقيعى . كل تجارتي ومعاملاتي هي باسم « مكشش
 وشر كالم » .

قلت : « من اين لي ان ادفع واراك قد احتفظت بالمفتاح حيث المال ؟ ففقه ثانيا وقال : ستفهم كل شيء في الغد . ان التجارة هي في ان تقبض اكثر مما تدفع . » قلت : « وما معنى « مكشش وشركاهم » ؟ فعاد يضحك واجاب : « الاترى الامير كان يخترعون الكلمات بأن يؤلفوا من اول حرف من عدة كلمات - كلمة جديدة واحدة ؟ « مكشش » هي اختصار « ما - اكثر - المير - وشركاهم » . مضحكة هاه ؟ ورجع يضحك من جديد .

وحينا ودعني رجع يتضرع من جديد : « اني في حاجة اليك » وقد اضاف هذه المرة : « ان حصتك من الربح هي خمسة الاف دولار في هذه الايام الثلاثة » .

في صباح اليوم التالي فتحت باب مكتب ابراهيم جوهر ، فشعرت كأني داخل قبراً ، فاسرعت الى النافذة ففتحتها على مصراعيها ، وانزت كل المصابيح الكهربائية وجلست وراء المكتب حائراً فيما افعل . وسرعان ما دخل عليّ زنجي امير كي متدلي الشفتين ، احمر العينين ، ضخم الاجفان ، فبادرني بالسلام قائلاً : « نهارك سعيد يا دوكتور » قلت : « ما انا بدكتور . من انت وما تريد ؟ » اجاب : « المحرم على الانسان ان يتأدب بالقاء التحية ؟ انا عمك 'جو ، جئتكم بالتحمل . هذه شورباء العظام المباركة ، وهذه رغوة دم الملائكة » . ولقد سرت بي رعشة خوف وتطلعت الى الباب اقصد القرار ، ولكنني رأيت الزنجي بيني وبين المهرب .

وارسل الزنجي زفرة وصاح : « يا للبقرة المقدسة ! ان الازرار النحاسية غلامها » وكأن محدثي لحظ الرعب الذي حل بي ، وعرف من

بلاهة نظراتي اني لم افهم ما يقول ، فزاد : « اخالك تجهل اللغة
 الاميركية . المحمل هو صافي الريح . العظام المباركة هي « الزهر »
 المزيف . وانتزع من جيبه مكعبين من عظم ابيض ، واحد يحمل
 علامة الصفر على وجوهه الستة ، وآخر عليه ست نقاط في كل وجه . ثم
 تابع الزنجي شرحه القاموسي : « دم الملائكة » هو الخمور .
 الازرار النحاسية هي البوليس . يعني ان هاتين الصرتين تحتويات
 على الارباح الصافية ، في الليلة البارحة ، من طاولة الزهر ، وبيع
 الخمور ، بعد ان دفعنا للبوليس حصتهم التي ضخموها . وبعبارة
 ثانية ، هذه غلة النادي الاجتماعي الذي اديره انا ويملكه مواطنك
 ابراهيم . الى هناك هو يسوق الضباط الذين يرشونهم في النهار ،
 ونحن نهبهم في الليل . « ورجع يضحك . ثم سلمني ورقة عليها
 بالعربية : « استلم من هذا اللص ذي الوجه العاجي ما يعطيكه من
 غلة النادي - ابراهيم » . وحين انصرف زائري وصار في الباب
 النفث إلي متهمكنا : « بخاطرك يا دوكنور » وغمزني مشيراً الى الفتاة
 الشقراء التي أقبلت عليّ في خطوات خفيفة ووجه صبور وعاجلتني
 بتحية « صباح الخير » بصوت عالٍ شأن الاميركيات . فقد كانت
 تلك الفتاة صاحبة العيد امس ، وناولتني حالا ورقة من ابراهيم :
 « ادفع لهذه الشقراء مئتي دولار واقبض منها قبليتين او اكثر » .
 فدفعت لها المئتي دولار حالا فشكرتني مبتسمة سائلة : « أفني وسعي
 ان افضي لك حاجة ؟ » فشكرتها واجبتّها سلباً ، وخرجت كما أقبلت
 رشيقه ، غشي على قدمين قويتين ، مرفوعة الرأس واسعة الخطى .
 وكرر ذلك الشريط السينمائي امام عيني ، وصار الباب كالشاشة

البيضاء ، اطلع اليه منتظرا ظهور كل غريبة . ولم يطل انتظاري حتى جاءني اميركي زري الثياب ، مشعث الشعر ، وناولني فاتورة بيع من « مكتب مخلفات الجيش - الى مكجش وشركاهم » خمسة اطنان طحين فاسد لا تصلح للاستهلاك البشري . وهمس الاميركي في اذني : « ان كميونات السكر هنا » قلت : « ما تعني بكميونات السكر ؟ هذه فاتورة طحين فاسد » . قال مستغرباً : « ألا تفهم ؟ اشترينا الطحين الفاسد . ورشونا القائم على المستودع فسلمنا سكرآ . ودفع اليّ بورقة ؟ » تلفن الى ٧٢ - ٢٤ وحينا يدفعون لك ٨٢ الف دولار سلمهم السكر - ابراهيم .

وتلفنت وقبضت وسلمت ، وفعدت في ذلك الكرسي المث تعباً كأنني اركض وعلى ظهري كيس من حجارة . ودار الشريط فاذا على الشاشة البيضاء صاحبنا الكبّتين الاقرع يصفاحني في مرح وظرف ويسألني عن القبلة الذرية اين مكانها ، فكان جوابي ان فتحت فمي ووسعت حدقات عيني ، فمدّ يده الى جرّار في طاولتي قائلاً : « كانت هنا » وانتزع قنبلة وسكي وكأسين فارغتين ملاءهما واعطاني احدهما ، ثم مضى يقصّ عليّ تاريخ حياته من يوم خلق الى ان تخرّج من جامعة هارفرد الى ان تطوع في الجيش ، وجرح في « ابوجيا » ومنجوه رتبة كبّتين والنيشان الفضي ، وجاء « مانبلا » مسرّحاً من خدمة الجيش ، غير أنه لمح في « مكتب مخلفات الجيش » ميداناً للتجارة ، وها هو يتعاون مع صديقي جعفر في الاتجار وكلاماً ناجح . فالكبّتين في يده فضّ غلافات المزايدة . وهو بدلاً من ان يفضّها في المكتب وعلى مشهد من التجار ، يأخذها الى غرفته ويطلع ابراهيم

عليها ، واي صفقة أعجبت ابراهيم زاد هذا عليها عشرة سنتيمات
فاشتراها وانتهى الامر .

ولم يكن الكبتن في سرده اخبار المعارك التي خاضها متباهياً
بل كان كغيره من الاميركان يهزأ بنفسه وببالغ بوصف رعبه في
المعركة . كذلك لم يكن في تحدياته عن « تجارته » مع ابراهيم حياءً
فقد كان يعتقد ان اشغاله تلك كانت اموراً مشروعة كأنها تجارة
عادية . وحينما فرغت الزجاجة فرغ الكبتن من احاديثه ونارلني
ورقة من ابراهيم تأمرني ان ادفع لحاملها ستة آلاف دولار ففعلت .
واستمر عقربا الساعة في بظه دببهما نحو الساعة الثانية عشرة
اذ غمرت المكتب موجة من العطر فاسقة ، ورنّ في اذني طقطقة
كعبين عاليين ، وابصرت برقعة من البودرة ، والحمرة ، والاهداب
المكحلة فوق فسطان من الحرير يتماوج ضيقاً على قامة هيفاء شبيهة
وصوتاً يقول « هلو » واصابع حمراء الاظافر تدفع لي ورقة :
« ادفع لحاملها ثلاثمائة دولار - ابراهيم » وقد رسم ابراهيم تحت
توقيعه رسم قرنين . وبعد ان عدت الدولارات ، شكرتني ،
بغزة زانية ، ورددت عليها بنظرة بلهاء . وانصرفت ، واقلت
المكتب شاعراً كأنني خارج من كهف جنة ، او قطاع طرق .

*

لن اروي لك حوادث الاربعة الايام التي تلت الصباح ، اذ انها
كانت مشابهة لما قصصت - حيلة اثر حيلة ، ورشوة تتلو رشوة .
وكذب وتزوير ، ورجال ونساء يدفعون ويقبضون ، والصندوق
تتكس فيه اوراق المال حتى كاد يضيق بها ، وانا مفكر متبرم

بهذا الدور الذي ارغمني على لعبه ، حانت عليه ، متوعد له ، أحاول
أن أفهم لم ابطاً ابراهيم في عودته وكيف زلقت انا الى قبول
الاستراك معه في هذه اللعبة الذميمة .

وقرأت التلغراف :

« صديقك ابراهيم في مستشفى سانتاماريا في خطر شديد
بصر عليك ان تحضر حالاً » .

الاب جورج هتكنسن »

*

غريبة عواطف الانسان كيف تسرع في تقلباتها بين الممدد
والجزر . فمنذ هنيهات كنت ناقماً على ابراهيم مزدرباً لاعماله ، وها
انا حين مرّ نظري على ذلك التلغراف ذائب حنائاً ، لا أذكر من
صديقي إلا كل ما كان فيه من نبيل وجميل ، وكأنما الخطر الذي هو
فيه انا سببته ، فرحت اوبخ نفسي على خيائتي لصديقي واشجعها
« لا لن يموت ابراهيم . ساهرع اليه وادفع عنه الخطر . ساداعبه
واضحكه . سأريه كتاب « مجاني الادب » واسأله ان يتبرك به .
سأذكره بكل ما مضى بنا من حوادث فكهة . سأشجعه بقولي : ان
ان من نجا من اليابانيين والمدافع وقذائف الطيارات لن يصرعه
مرض في مستشفى . وركبت قطار الليل الى سانتاماريا متفائلاً
متحفزاً الى القتال كبدوي يهرع الى مخيم قبيلته اذ قيل له ان
عدواً هاجمها .

وقفزت من القطار قبل ان يقف ، وطفقت امشي واركض
الى المستشفى في ضاحية « سانتاماريا » . وفيما انا في منتصف الطريق

أطلت أشعة الشمس فبددت ما في نفسي من مخاوف ورحلت اقتراب
من المستشفى والكنيسة بقلب مفعم بالرجاء .
حين دخلت الباحة التي تفصل الكنيسة عن المستشفى تقدم اليّ
رجل الدين يلبس الثوب الاسود متمماً صلاة ، وبين يديه الكتاب
المقدس وتمعن بي لحظة وسأل :

— انت صديقه يا بني ؟

— نعم يا ابت !

— لقد تأخرت يا بني . جاءت النهاية منذ ساعة في مطلع الفجر .
أنظر الى هاتين اليدين المجرمتين . لقد قتلتنا انا بيديّ . ربّ عفوك
عن عبدك الحاطيء الضعيف ! ان صديقك جاءنا في الدير هناك في
اعلى تلك الهضبة ، وقد كان منهوكاً اذ لم يستطع ان يقطع كل
الطريق باوتموبيله ، فاجلس خربّه اليا بانيون قبل ان ينسحبوا ، فاضطرّ
صديقك لأن يمشي ورفاقه نحواً من اربعين كيلومتراً . ووصل مستر
جوهر متعباً في اول الليل يغتسل بعرقه . لقد نام عندنا في تلك
الليلة . ربّ عفوك عن معاصي . انت ترى ان الدير في أعلى الهضبة
والبرد في الليل قارس ، وليس عندنا حرامات ، وحين دخلت غرفته
في الصباح وجدته محموراً يهذي . داء الجنب في رثيه الاثنتين . ان
ديري فقير يا بني . لقد جهدت في جمع المال وحرثنا وزرعنا وبعنا
محصول اراضي . لقد حاولت ان اشتري حرامات لنا ولجيراننا
ففشلت . أنظر ! وانتزع رجل الدين ورقة من بين صفحات الكتاب
المقدس قرأت فيها :

« ان عرضك اربعة آلاف دولار ثمن الفي حرام مرفوض ، اذ

ان شركة « مكحش وشركاهم » عرضت عشرة سنتيمات زيادة بالحرّام
اي اربعة آلاف ومئتي دولار .
المخلصون

مكتب مخلفات الجيش ،

وفيا الأب يتضرّع الى الله من جديد ان يعفو عن خطيئاته ويبتهم
نفسه بجرمة قتل صديقي ، خلّوّ الدير من الحرّامات ، أقبل دكتور
المستشفى فعرفني الكاهن اليه وسأله ان يسير بي الى غرفة الميت -
نمرؤ ٨ . وقبل ان أدير ظهري سألي الاب :

- « مسألة الصلاة عليه - هل كان صديقك يؤمن بالكتاب
الاحمر الذي تتأبطه ؟ »

اجبت :

- لقد آمن به ثم كفر يا ابتاه .

وما شئت الدكتور نحو غرفة ابراهيم ، استمع لذلك الطبيب
يتكلم عن المريض الذي خسره غير آبه . كناجر تعود أن يفرّ منه
زبون حيناً بعد حين . وقبل ان نصل الى باب الغرفة اوقفني وقال :
« كان من المؤكد نجاة صديقك لو ان عندنا « بناسلين » . في الشهر
الماضي حاولت شراء ٥٠٠ زوجة من مخلفات الجيش فخسرتها في المزايدة .
شركة « مكحش وشركاهم » دفعت اكثر مني عشرة سنتيمات بالزجاجة .
من هي هذه الشركة « مكحش » التي تشتري كل شيء ؟ »

*

و كشفت الشرشف الابيض عن وجه ابراهيم ، فبان وجهه
المتضخم في لون الشمع ، وقد تراخى شارباه الثائران الى خطين
مائعين ، ونبت الشعر في وجهه طويلاً بشعاً ، وشخصت عيناه .

باهتتين كعيني سمكة . وتطلعت الى خلفه فرأيت ستورته معلقة ،
معروكة ، في عروتها زهرة قرنفل يابسة ، وقد استوت فوق السترة
برنيطنه الموحلة وليس في شريطتها ريشة ، وتحتها حذاؤه وقد
وحدت الوحول ألوانه .

وبقيت ابراهيم وحيدين في تلك الغرفة المظلمة ، وليس معنا
الا كتاب « مجاني الادب » يتأرجح في يدي وقد قبضت عليه بايhamي
وسبابتي ، في المكان المحروق ، حيث أراد ابراهيم ان يولعه ويتلف
لعنته .

الدّواة



جلستُ في تلك الغرفة المقفلة النوافذ خائفة ، حبيّة ، وقد سكن
 كل ما حولها إلا نور سراج ضئيل يهتز شعاعه الباهت فتتراقص معه
 أخيلة بعض رباش الغرفة . وقد كانت الفتاة في وحشة ذلك الليل
 وحيدة على مقعد حريري أزرق مطرقة كأن تلك الورود التي زانت
 رأسها ثقلت عليه فجنته . وقد تماوجت العطور من حولها وانتثرت
 الأزهار وتدلّت بردابات الدمقس ، وامتد السرير العريض ذو
 الوسادتين المتجاورتين يملؤه اللحاف المطرز . وكانت قد ماها فلتقتين
 بالخذاء الجديد الأبيض اللامع ، تكثر من ثقلبيهما ، واظافرها برمة بالطلاء
 الأحمر الذي لم تعرفه قبل صباح ذلك اليوم ، فهي تنفّس بهما ثم
 تطبق يديها وتبسّطهما ، وتهم بان تقرض اظافرها باسنانها فلا تفعل .
 وقد استقام خصرها النحيل تحت صدر عمُرَ وتوثب جانباه ، وتصلب
 جيدها في عقد من اللؤلؤ المزيف ، وتنقب وجبها في طوفة النور
 البهي الذي يغمر وجوه العذارى .
 وأرهفت فتاتنا سمعها وجلة فلم تسمع إلا ضربات فؤادها .



واصغت فاذا بصدى خافت يتسرق من خلال النوافذ المقفلة علمت
 منه ان الموسيقى لا تزال تعزف في الطابق الاسفل . وعبثاً حاولت
 ان تطرد عن اذنيها صدى مواظ خالتها « ام عمر » التي ألقتها عليها
 والفتاة تستحم في فجر ذلك اليوم . وكانت تلك المواقظ خليطاً
 من الانذار والتشويق ووصفاً للذة الجنسية وألمها لو لم تطهر الفاظه
 لتبذل . وكانت الفتاة تشعر بالدوار اذ ذعرت لسماع نحنة خفيفة
 في الخارج ، وبان ظل فدخل الباب محتسماً واقترب منها متمهلاً
 ملقياً في صوت ناعم مضطرب « مساء الخير ! » . ثم وقف الظل امامها
 وامتدت يده الى ذقنها ، وعاد الظل الى الكلام : « لماذا لا تنظرين
 الى يارثيفة ؟ » فرفعت نظرها خجلة متمهلة وابصرت لأول مرة
 وجه محمد الكرار - الزوج الذي انتقوه لها ، وابتمت نشوى وقد
 فر الحوف من نفسها ، وانبسطت اسارير وجهها وطيات روحها في
 لذة الضعف الانوثي ، اذ يستسلم للرجل القوي فليس في الدنيا ما يبعث
 في نفس المرأة غريزة الاستسلام مثل قوة لفلفلها الحنان .

يقولون لك ان اقتياد فتاة الى فراش زوج تجهله عادة همجية
 بهيمية ، بل يسرفون في القول فيذكرون ان الهمج والبهائم تتعارف
 وتتألف قبل ان تتزاوج . اما انت يا قارئ فانك مثلي محافظ رجعي
 ترى السفه في ذلك الافتراء ، اذ أنه في وسعك ان تستشهد بمئات من
 الأزواج والزوجات الذين قطعوا مراحل العيش هائنين وهم لم يبدأ
 تعارفهم الا في ليالي الزواج . ومن أظهر هؤلاء الأزواج الفتى محمد
 الكرار وعروسه رثيفة عبدالمجيد . فان رثيفة صيرها محمد سيّدة
 منزل وكانت في دار أبويها ابنة بين جمهور من اخوة وأخوات لا

قيمة لها . ونعمت معه باللذة الجنسية المشروعة فالتفت بين يديه
نزوات غرامها فاشعل تلك النيران برفق وأطفأها بلين وحنان .
وأما محمد الكرار فقد وجد في رثيفة عطف الام التي فقدتها طفلاً
وفاء الممرضة وهيام الحبيبة التي تغزل بها شاعراً يحس بالغرام
ولا يمارسه .

وهكذا مرت عسال الشهور وهما في غمرة من سعادة لا يفترقان
الاساعات المداومة التي يقضيها محمد في المدرسة الابتدائية
إذ كان يدرّس فيها ويديرها . وكانت رثيفة في غيابه تطالع الكثير ،
وتختص بالقراءة من مكتبتها العامرة رواية « الغراب الشائب »
لمؤلفها محمد الكرار ، فما من يوم مضى إلا وأعادت قراءة تلك
الرواية أو بعضها ، وما من مساء عاد محمد من عمله في المدرسة إلا
ولاقته رثيفة ضاحكة تقبله وتعيد عليه شيئاً من نكات « الغراب
الشائب » أو حوادثها ، أو مقاطعها الرائعة ، ثم تسأله فخوراً :
« هذا ما كتبت وأنت دون العشرين ، ترى ما الذي تؤلف قبل
أن تبلغ الأربعين ؟ »

وكانت تعيد هذا السؤال في النهار مراراً ، مثبته في أول الامر ،
حتى إذا مرت الشهور ولم ينتج محمد شيئاً صار السؤال يحمل
رنة العتاب . وفي العام الثاني من زواجهما أمست رثيفة تلقي
السؤال على زوجها بشيء من مرارة وقساوة . ثم تشير اليه باسماء
رفاقه في الدراسة وهم دونه مقدرة كيف نبه ذكرهم وكثر
انتاجهم الادبي وكيف لهجت الصحف بانباؤهم وقد صار بعضهم
في اعلى مراكز الدولة ، في حين انه - محمد الكرار - لا يزال معلم

مدرسة في احدى ضواحي دمشق .

اما محمد فكان يداعبها قائلاً : « اني لا اطلب العظمة بل السعادة . وها اني في جنة الدنيا دمشق ، ظافر بملك هذه الجنة رقيقة ، ومهنتي اشرف المهن ، التعليم . من يطلب العظمة الا الابله ؟ ولئن كنت تصرّين عليّ بطلب العظمة فاعلمي انه كلما سما احد من رفاقي شعرت ان قد نبتت ريشة في جناحي وان جناحي قوي واستطال . ما صاغني الله غازياً وما انا بالطامع الى الفتوحات . والآن هات قبلة وابسمي فانك بشعة حين تبسمين ! » .

وهكذا ركضت الايام ورقيقة تتحرّقها آلام الحبيبة في زوجها الذي سمن ونعم ، وبدأ الشعر يتراجع الى مؤخرة رأسه في صلعة برّاقة ، واستدار بطنه في بروز هائل ، وراح ضميرها يؤنبها ان تلك السعادة التي غمرته بها اطفأت نار نبوغه فقد كان في اول العهد ، على رغم انقطاعه عن الكتابة ، تنطلق من شفّته كلمات لازعة وهاجة . اما اليوم فقد تهرلت نكاته فهو يشير الى صلعته ويسمّيها « بيضة الرخ العاجية » ويضع يده على بطنه ويقول : « كل العظمة التي أصبتها في الحياة التفت حول وسطي » . وشعرت رقيقة بما يشبه الاحتقار والكره نحو محمد ، ولكن ذلك الشعور كان يذّيبه منظر محمد او تصرّفه قبلاته .

وغير مستغرب ان من حمل شأنه قلّ اصدقاؤه ... ولقد نسي الناس « الغراب الشائب » . وما كان محمد بالثري او الزعيم السياسي ولا هو تطلب عشرة الناس فانقطعت الاقدام عن داره ، وما دخلها من غريب الا جيولوجي اميركي طاعن في السن كان

ينقب في الصحراء السورية على دمن مدينة غابرة ، ويؤم دمشق مرة كل شهرين لشراء بعض الحاجات فيتناول وقعة على مائدة تلميذه القديم محمد الكرار . وكان الاستاذ ورثفة يتعاونان على محاولة قدح الشرار في نفس محمد فيجيب هذا ضاحكاً : « تريدني يا استاذي ان انقب عن مدينتي مثلاً انت منقب عن مدينتك ؟ لكنك انت اسعد حالاً لو انك مكثت مستريحاً في الغوطة تمتع نظرك بجمال دمشق العامرة لا متعباً تنقب عن دمار مدينة غيبتها الرمال » .

وكان من عادة محمد حين يرجع إلى البيت في المساء ان يفاجيء زوجته بهدية صغيرة من اثمار أو حلويات ، وربما ابتاع لها حليلة مزينة جذابة شأن من ضؤل راتبه وكبر قلبه . لذلك لم تستغرب ذات عشية ان تسمع منه حين آب « في جيب شيء لك » ثم ناولها بدلاً من الهدية ورقة دعوة لحضور الاستعراض السنوي في اليوم الثاني واخبرها ان مكانها سيكون على الدكة الكبرى المعدة للنساء . أما هو فسيمشي خلف الجيش . وزاد انه سيجعل العلم السوري فيهمزه مرتين : واحدة لرئيس الجمهورية ، وثانية لرئيسة قلبه . بلى - فقد دب الى حديث محمد شيء من السهاجة .

فابتهجت رثيفة ان تصبح ، ولو مرة في العمر ، على دكة الاستعراض وان ترى محمداً بين المتظاهرين يهز العلم ، وبكرت في صباح اليوم التالي فارتدت أجهل اثوابها وبالغت في التجنن وهزلت الى دكة الاستعراض ، في المكان المعد للنساء فرأت ان الحاضرات اللواتي سبقنها قليلات ، وان معظم الكراسي شاغرة ، فامتت واحدة

منها وهمت تقعتها اذا اقترب منها شرطي سائلا : « يا سيدة، اين بطاقتك ؟ » فارتته البطاقة ، فاشار اليها ان تذهب الى المقاعد الخلفية القصوى، فهذه الكراسي هي لعقيلات كبار الموظفين. وقرأت بعض الاسماء على تلك الكراسي - حرم حسين باشا العساف ، عقيلة عبد المجيد بك السوقي ، مدام جورج بك الديراي زوجات رجال كانوا بالامس رفاقاً لمحمد .

وتراجعت خجلة ميمّة ناحية الدكة الخلفية فاذا بعجوز تصيح بصوت عال : « بعض نساء هذه البلدة طموحات » وعلت قهقهة من الحاضرات ، وتطايّرت العبارات الساخرة ولم يبدأ الضحك الا حين وصل رئيس الجمهورية بين الهتاف والتصفيق، فاعتلى مكانه وصدحت الموسيقى بلحن الرئيس ، وتكامل عدد الحاضرين من رجال ونساء ، وبدأ الاستعراض .

وكان الطبيعة ارادت ان تشترك في الاحتفال فارسلت نسيماً بارداً فاذا الاجسام مفولذة ، والوجوه مستبشرة فرحة ، والاعلام خفاقة . ياله من يوم مفعم بالروائح وياله من مظاهرة ! فقد استمر الاستعراض ساعة وربعاً مشى فيه الجيش بترتيبه البديع واسلحته الصقيلة ، ومشت الجماهير والوفود من حضر وبدو . وكان احد خطباء دمشق يذيع ما يجري فيتكلم في ميكروفون يتصل بمحطة اذاعة الرايو ، ويخلط روايته بالحماس او المجون حسب ما تقتضيه المشاهد فترثفة لما تسمع اذ ان المذيع كان واقفاً خلف كرسيها . وفيما هي مصفية الى فصاحته علا التصفيق من الجماهير واشتد الضحك وثارت زوبعة من التصفير وسمعت رثيفة المذيع يحدث :

« اني اسمع التصفير والضحك والتصفيق ولا ادري السبب .
 وريدكم ايها السامعون ! اظنني اهتديت الى سبب المرح . اني ارى
 تحت هذه الشمس صلمة تبرق يسميها صاحبها « بيضة الرخ » ، وارى
 كومة من الشحم عثي ، وبالوناً منفوخاً يتوسط تلك الهضبة
 الشحمية . هذا صديقنا محمد الفرار . اظنكم تعرفون لماذا نناديه
 « الفرار » وكان يدعى « الكرار » ؟ لأنه كرّر في « الغراب الشائب »
 مرة ثم ظل يفر . ها هو يهز العلم السوري لفخامة الرئيس . اسمعون
 الهتاف ؟ هو يهز العلم مرة ثانية نحوي . سلامات يا استاذ ! اسمعوا !
 اصبروا ! ان استاذنا محمداً لم يعد كراراً ولا فراراً . ها هو قد سلم
 العلم لاحد تلامذته وربض على الارض يلهث . اسمعوا الضحك
 والصياح . ها . ها . ها . هاتوا ليموناضة لاستاذنا المنهوك . تقدم ضابط
 فمسح بمنديل « بيضة الرخ » المباركة . برافو !! نهض الاستاذ من
 جديده وتناول العلم . الى الامام يا فرار ! ها هو يستأنف السير .
 ان كتلة الشحم تتدحرج من جديد ...

واختل النظام هنيئة وساد المرح وراح الكل يضحكون وغفلوا
 عن رؤية امرأة ناحلة قفزت من دكة الاستعراض ورحلت بين صفوف
 الجماهير واسرعت ماشية راكضة نحو بيتها تلهث باكية ثائرة تود لو
 أن الارض تفتتح فتدفن معها خجلها وخزيها والمهانة التي
 لحقت بها في ذلك الصباح . وحين وصلت رثيفة الى البيت صعدت
 تواء الى غرفتها ففتحت النوافذ المقفلة وراحت تبتدر في ذلك
 النسيم ، وارتمت على كرسيها الحريري الباهت اللون تسبح عيناها
 بالدموع ويغتسل جسدها بعرق الاعياء . ومرت عليها ساعات ثلاث



يدور حولها نسيم دمشق البارد فلا تشعر به ، ورفق بها عقلها فخدر
عن التفكير فلم تفقه احية هي ام ميتة .
وفجأة ظهر محمد فاهوى عليها يقبلها ضاحكاً ، ثم حملها الى السرير
واناها بثياب ، وأصر عليها ان تبدل اثوابها واغلق النوافذ وانصرف .
لم تنهض رقيقة في صباح اليوم التالي لتبهي القهوة لمحمد على
عادتها ، بل انها كانت نائمت وتقلب وتمذي . وجلس محمد جبهةها
بشفتيه فاذا هي حارة . ووضع انامله على نبضها فاذا هو قلق ،
متقطع ، مسرع . وكان تنفسها مجهداً وفي اعلى وجهها شبه دائرتين
متجمرتين - كل عوارض ذات الرئة ، تشخيص حققه الطبيب حين
لبي الدعوة مسرعاً .

« حسبتني اداري مريضاً واحداً فاذا بين يدي عليلان » .
عبارة طالما رددها الطبيب في غرفة رقيقة ، فمد لازمت الفراش
عاف محمد مدرسته ، وبقي يحوم حول سرير زوجته يشب لكل نامة
في الليل او في النهار ، متوتر الاعصاب ، حائقاً ، خائفاً ، يفسر
وسادتها ويمسك لحافها ويتعهد امورها مسرعاً بالقاء الكلمة الناعمة
الحنون ، مشجعاً اياها ، حاسراً عن زنديه يتخطى الغرفة كمن
يتحدى عدواً يريد مقاتلته . ولقد زهد بالطعام ، فلئن جيء له بما
يأكله فعل متأففاً متعففاً . اما النوم فما عرفه الا كما تعرفه الهرر
- غفوة ثم انتفاضة ، ثم وثبة ، ثم غفوة من جديد .

وجاء صباح اليوم السادس عشر ورقيقة غاطسة في نومها تتنفس
تنفساً هادئاً متسقاً عميقاً ، صافية الوجه ، فجلسها الطبيب وابتسم
وهمس في اذن محمد : « ربنا المعركة . إرجع الى مدرستك » .

وودّ محمد ان يرقص ويغني أو يهتف ولكنه كبح ثورة طربه
 بخافة ان تستفيق رثيفة من راحة غفوتها ، فراح ينقرس بذلك الوجه
 الذي أحبه وما درى إلا وقلمه في يده ، ينظم بضعة ابيات من الشعر
 في الانكليزية يخطها على بياض الوسادة ، واحكم وضع الوسادة بحيث
 تقع عليها عينا رثيفة متى استفاقت . وكانت الابيات انشودة مطلعها :
 « صرعت الموت إذ دانى حبيبي ! »

وحينا وضع محمد ساقيه في بنطالونه وجد ان بطنه ضمير قيراطين !

*

تلك النوافذ التي لبثت مقفلة اسبوعين عادت تنفتح ، وذلك
 الوجه الذي شحب عاد إليه الرواء . وذانك القيراطان اللذان ذابا
 استردهما وسط محمد الكرار قراريط . وكذلك رجعت المرارة
 تتأكل نفس رثيفة إذ عادت اليها الحياة . غير ان حبها لمحمد عمق
 وزها صفاءه فليس من شيء يجعل النفس تتناسك مع نفس اخرى
 مثل ان تتوافقا في سفره خطيرة .

وفيا تتمطى الحياة في منزل هذين الزوجين فاجأهما البريد بحواله
 منه دولار ثمن « صرعت الموت » ، واعترفت حينذاك رثيفة بانها
 أرسلت الابيات الى عنوان نقلته عن مجلة أمير كية ، فتسلم محمد
 الحواله ووقع على صك طويل عريض مطبوع بحروف صغيرة ،
 مبتسماً ابتسامته الهادئة غير مكثرت ، شأنه في جميع أمور الحياة ،
 حتى انه لم يقرأ الصك الذي وقعه ، كذلك غفلت رثيفة عن قراءة
 الصك ، فقد اصبحت فؤارة المرح بهذا الظفر فلا تطبق قراءة .

*



في خريف عام ١٩٤٦ كان في دمشق موضوع واحد للمجون :
 محمد الكرار . فقد اكتسحت الدنيا اغنية «صرعت الموت» وترجمت
 الى كل اللغات ، وانشدت في المراقص والحانات ، وحينما جهرت
 رثيفة بان زوجها هو ناظمها تجاوب الضحك في انحاء المدينة . فأي
 يصدق ان محمد الكرار نظم قصيدة قبض عليها مئة دولار
 ووقع صكاً يتنازل به عن كل حقوقه ، صكاً طبع باحرف صغيرة
 تكاسل عن قراءته قبل ان يمضيه ؟ ومتى عرف عن «الفرار» انه
 شكسبير اللغة الانكليزية؟

وكان ربة المجون لم تكنف بهذا لتشبع بالهزء عابديها ،
 فجاءتهم بشيء اضحك . فقد هرع تلامذة الاستاذ محمد اليه ذات
 صباح اذ ابصروا به ووجهه الى الجدار يعالج بطنه بيد ، وسبابة
 اليد الاخرى في فمه يحاول ان يتقيأ فلما سألوا عن حاله اجاب :
 - ما من امر خطير . زوجتي في وحامها ، وفي بعض الاحيان
 تصيبها اعراضها .

فسرت في المدينة اشاعة ان الاستاذ حامل ، واي شيء من
 دلائل الحمل اوضح من ذلك البطن الضخم البارز ؟ وذات يوم
 طلعت جريدة «النخوة» بالجبر التالي تطوقه دائرة ضخمة حمراء :
 «يسوءنا ان نعلم ان اجهاضاً جرى في منزل الاستاذ محمد
 الكرار ، وقد انقطع الاستاذ عن المداومة في مدرسته . ونحن فيما
 نذيع هذا الخبر آسفين نتساءل ترى اي الزوجين اجهض ؟»

*

بين الحيوانات الناطقة فئة سادية لاتستطيع الحياة الا حين

تدوس على الضعيف، فإن السقط في نفوسها يتطلب التفوق فلا يظفر به الا في اظهار القوة على من ضل شأنه . هم في بعض الاحيان يسرفون في الاجرام حتى ليقنوا ، و احياناً تقصر جناباتهم على ترويح الاكاذيب . وكانت من ضحايا هذه الشيمة الصفراء رثيفة ، اذ أنها بعد ان فقدت جنينها ضجرت بمنزلها فصارت تبعد عنه فافسحها ذلك ، وهي قد فهمت من الطبيب انها حين فجعت بالجنين فقدت امومتها الى الابد . ولقد ارادت ذلك الجنين املاً يحقق ما وعد به محمد من فوز واخفق بتحقيقه في الحياة . فها هي الآن وزوجها ميت حي ، وآمالها بطفل قد تلاشت ، وغريزة الامومة فيها مكبوحة ، فلا عجب ان نبذت القعود في البيت ، وصارت تنزل الى السوق تبثاع حاجاتها بنفسها من خضار ولحم و ثياب وعطور وغيرها ، تبثغي بذلك التسلية وقتل الوقت . وامست تطيل الوقوف في الحوانيت لا تنعماً بالوقوف بل انتقاء لشر المكوث في البيت . هذا وقد بدأت اسعار الحاجات تتصاعد بحيث صار راتب زوجها يقصر عن شراء كل شيء تحتاجه ، فاصبح من الحكمة التروّي في الشراء والانتقاء والمساومة .

لذلك ارتجفت اللسنة السوداء بسم الاقاويل : « هل بلغك ان رثيفة تطيل الوقوف في دكان اللحام ؟ ... هل سمعت انها تنهاس مع ذلك العطار ؟ ... هل قيل لك ان رثيفة والبقال في مغازلة ؟ » وكان من حسن حظ رثيفة ان لم يبق لها عشراء ، فلم يترام اليها ما يقال عنها .

وكان آلامها من الاجهاض ، ونكبة الحبة بمحمد ، وفشلها

في امل يعيضا عن محمد ، وارجاعها من رؤية ذلك الفتي الذي عشقته وما تزال تهواه ، والذي سمعت من شفثيه اولى كلمات الحب في ليلة الزفاف ، وها هي تراه قد مسح كاريكاتورا ، وكأن شقاءها في عزلتها عن الناس - كل هذه تكالبت عليها فنحلت وتهدمت فما عادت تستطيع الخروج عن البيت في بادىء الامر ، ثم عيّت عن الحركة فلازمت الفراش وبدأت تتلاشى .

أما الاطباء فقد جاؤوها فرادى وبعثات ، واما الادوية فقد استجالت دار الكرار الى صيدلية . ونزلت بمحمد الحيرة فلم يدر ماذا يفعل . فقد دعا الاخصائيين من دمشق ، وبيروت ، والقاهرة ، وكل يصف علاجاً ، ويذكر اسم علة ، ولم يتفق اثنان على تسمية الداء . غير انهم اجمعوا على ان رثيفة ان لم تكن مسالولة فهي على أبواب السل ، وان هواء الصحراء الجاف يفيدها . لذلك تهافت محمد على قبول وظيفة معاون لاساتذه الجيولوجي في الصحراء السورية . وانتقل برثيفة وأدويتها الى خيمة في البادية تحاذي خيمة الاميريكي البعثة . وقطع علاقاته مع المدرسة في ضاحية دمشق .

وهكذا مرت الشهور على تلك الخيمة يظلمها شبح الموت ، ولا يسمع فيها إلا أنات رثيفة وشظايا من كلامها ، اذ هي تخرض محمداً على الاعتناء بصحته وتضرع اليه ان يأكل وأن ينام ، وتبكي اذ ترى نحوله وشحوبه ونظراته التائبة . اما محمد فقد يئس من الطب وغمر الحزن قلبه ففكرة الكلام ، فما عاد يرى إلا في بحران من التفكير ، اللهم إلا حين يفتح القرآن ويجود آياته ، فان قلبه ينعم بالايان فما تنبّد آلام نفسه ولا يسكن قلقه إلا في نشوة ترتيل سور

المصحف الكريم .

وراحت الحياة تجمد حول تلك الحجة ، وكشف ظل الموت
واسود ، ورثفة تهبط نحو الفناء ببطء وألم ، ومحمد يتهدم ويحزن
ويجوّد القرآن .

وذات ظهيرة ، اذ كان الخيم ينتظر عودة الاستاذ الاميركي من
دمشق ، ظهرت سيارته القديمة تتبعها قافلة من سيارات ، وسرعان
ما نزل منها جمع من صحافيين ومصورين ، يترفه بينهم في الوطاء على
الثرى بعض كبار موظفي الدولة السورية ، واقبلوا على محمد يهنئونه
ويهنّون يده بحماس . وفي الوهلة الاولى ظن محمد انه انتقل الى عالم
المجانين ، أو أن أحد مجانني دمشق قسا عليه باضحوكة جديدة .
ولكن الاستاذ الاميركي تقدم ووضع يده برفق على كتف محمد
وقال : « لقد افترفت نحوك اشم السرقة ، فاني كنت ابصر بك قرب
هذا السراج في اللبالي واراك جاداً في الكتابة . وصرت اترقب
انصرافك فاسرق ، على علم من رثيفة ، ما تكتبه ، فانسخه حتى اكتملت
روايتك « عنبرة والنفط » . لقد ارسلتها الى هوليوود فاشتروها .
انما احدثوا فيها تغييراً . لا ادري ان كنت تذكر ما الفت فانا
اعيده عليك - كبير مهندسي شركة نفط اميركية - وهو كذلك
اعظم مساهم فيها - يستضيف شيخ قبيلة عربية في الصحراء .
يكشف الزيت ويشتري ، بل يكاد يستوهب الشيخ امتياز
استغلال الزيت لقاء ثمن بخس . تأتي الوف العمال ، وترسل الوف
المعدات ، وبعد الحفر يجدون اوقيانوساً من نفط فيفرزون القساطل ،
وفياهم يعمون باستخراج النفط يظهر طيف عنبرة فيجوف رحه



ويشكه بالبئر فينتزع كل النفط ويفرغه بظرف صغير ، ويضع
الظرف وراءه على حصانه وينصرف كما اتى شبحاً لا يراه الا رئيس
المهندسين الاميركي .

وهكذا كلما حفر المهندس بئراً وظفر بالنفط جاء عنقرة
فامتص النفط برمح الى ظرفه ، واحتمله على جواده ومضى .

وطبيعي ان تضطرب امور الشركة الاميركية المستثمرة وتهتز
ماليتها ويدب الذعر في قلوب مساهميها ، وتستبدل المهندس بآخر
ثم بغيره وغيره ، فما افاد التبديل بل استمرت الابار تطفو بالنفط
ثم تجف . وكان ان توفي الشيخ وتولى زعامة القبيلة ابنه ، وهو فتى
عالي الدراسة ، ففتش بين اغراض ابيه عن نسخة من اتفاقية النفط
فلم يجدها ، وطلبها من الشركة ففتحوا صندوقهم وانتزعوها فاذا
هي بيضاء الا آخر ورقة منها كانت خالية من الكلمات ولم يظهر
عليها الا صورة عنقرة وحصانه ورمحه وظرفه .

وليس الاميركان من الذين يؤمنون بالسحر او الاعاجيب ولا
هم من الذين يفرّون من مواجهة الحقائق ، فادركوا ان كل ما في
الامر انهم يملكون معدات ثمنها ملايين نثروها في ارض نائية غريبة ،
وانهم انفقوا الملايين في محاولة استغلال مشروع لا تحمي حقوقهم
فيه عقود مقالة . فاسرع رئيس الشركة الى ابن شيخ القبيلة ونفحه
اتفاقية سخت شروطها على ابن الشيخ ، فصار الاميركان متى
ظفروا بالزيت قدروا على استخراجه من غير ان يسبقهم اليه
عنقرة . وكان خلال ذلك - وهنا ظهرت اصابع هوليوود - قد
اشتبكت عواطف ابن الشيخ في معركة غرامية ، احب ابنة رئيس

الشركة ، وزهد في النفط والحيام والثقافة ، بل ترك أمور
القبيلة لآخيه الأصغر ، ورثب مع فتاته الى خلف عنقوة وراح
جواد هذا يعدو بالثلاثة وبالظرف الفارغ الى الواحة الكبرى في
قلب الصحراء تلك التي يحجبها السراب ولا يسكنها إلا كل من
رضي عنه عنقوة .

وفما كان الاستاذ الاميركي يروي مختصر رواية « عنقوة والنفط »
كان الصحفيون يدوتون الملاحظات ، والمصورون يلتقطون
الصور . وعاد الاستاذ الى الكلام :

« هذه المرة لم نقترف غلطة « صرعت الموت » ، فسلطنا عدسة
المكرومكوب على كل حرف من سطور الاتفاقية ولم نوقع من غير
أن نقرأ . في الاسبوع القادم ستحتفل هوليوود بعرض فلم « عنقوة »
وسيكون محمد الفرار هناك ليساهم بالحفلة وليتسلم مئة الف دولار
من روايته . »

اما محمد فكان يسمع ويرى ولا يدري ما الذي يجري حوله .
غير انه استفاق عند سماع خبر سفرته الى هوليوود وعلق بصره
بتلك المضطجعة على السرير فألمه ان يرى ذلك الوجه الشاحب ،
وقد تبدل جلد ساعدها فبان عظامه ، حتى ليحسب الناظر اليها
انها ميتة لو لم تكن عيناها نجمتين بالحياة تسطعان .

وعبثاً تضرع الاستاذ الاميركي ، وتشفت رثيفة ، ورجا
صحافيو دمشق ان في ظهوره شرفاً للعرب ، فكان محمد يجب ان
ما يشده الى سرير رثيفة هو شيء أثمن من الشرف ، وأحب من الشهرة ،
وليس من شيء يغريه بترك الحيمة .



ولكن محمداً في نهاية الامر سلخ نفسه عن تلك الحيمة حين ظهر
له ان سفرته قد تيسر الفوز بطبيب عالمي الشهرة يصطحبه في
اوبته فيصف لرثيفة ما يشفيها .

*

حينما حوِّمت الطائرة فوق مطار دمشق كاد محمد الفرار ان يقفز
منها ليعدو نحو خيمة رثيفة . وما ان وقفت وفتح الباب حتى
أمسك بذراع الدكتور « ماديسون » وصاح به : « وصلنا ! وصلنا ! »
وسمع محمد هتاف الجماهير متبرماً وتقبل التهانى والوسام حانقاً ،
وأصغى الى القصائد والخطب في ضيق صدر ، وما تنفس الصعداء
الا حين ركب الاوتوموبيل مع الدكتور « ماديسون » يرافقها
بعض مشاهير اطباء دمشق الذين عاجلوا رثيفة وقصدوا جميعاً الى
الحجيم في الصحراء .

وكتائر عاد الى عشه وفراخه بعد سفرة منهكة خطيرة ،
هكذا ترامى محمد على سرير رثيفة يقبلها ضاحكاً باكياً ، تهتز نفسه
بين تيارات العواطف . ثم افسح المجال للطبيب « ماديسون »
فتقدم الى المريضة وقال : « اراك فتية ! يجب ان تستثيري كل ما في
قواك من عزم ، وتعاوني معي على صرع هذا المرض . ان محمداً في
حاجة الى رفيق في سفرة هذه الحياة » .
فاجابت باسمه :

— « ان محمداً بالغ الذروة ، ومن صار في القمة لا يحتاج الى
رفيق ! »

فهن الطبيب رأسه وطفق يتفحصها ويسأل زملاءه عن

العلاجات التي وصفوها ، ووقف حائراً يخاطب الاطباء بقوله :
- كل ما فعلتموه ووصفتموه كان صحيحاً .

ووقف « ماديسون » حائراً ثم اقترب من العليقة ثانية يحس صدرها ، فارتطمت اصابعه بشيء صلب خيطاً طي قميصها فانترعه بعنف ، وإذا رآه انتفض صائحاً : « سم البنغال » ! هذا السائل هو السم الهندي الذي يقتل ببطء وليس له من علاج !
وتطلع إلى الاطباء هائجاً :

- من منكم وصف هذا العلاج السام ؟
وصاح محمد هلعاً :

- رقيقة ! من اعطاك هذه الزجاجة ؟
فابتسمت رقيقة وتكلمت بهدوء الظافر :

- لا تتهم احداً . لقد فتشت عن هذه الزجاجة طويلاً حتى وجدتُها اخيراً في سوق العطارين . ما هي بزجاجة تلك ، وما سائلها بسم ، بل هي الدواة التي يجبرها كتبت راءعتك « عنقورة والنفط » .
والآن اقترب مني وخذ بيدي وحدثني عن الحفلة الافتتاحية في كاليفورنيا وكيف استقبلتك دمشق في المطار ...
وشعت الحياة على وجهها ومضة ثم اضمحلت .

الخطاب المبتور

وقعدنا في ديوانه نتحدث صامتين ، انا والباشا .
اصغي انا الى افكاره فاسمعه يقول : « انا الوزير وهذا ديواني .
ان صحف بيروت تطبع صورتي وتنشر اخباري كل يوم . بين يدي
سيف السلطة ، وجاه الحكم ، واهية السلطان . انا عشير المملوك
وخليل السفراء . اياماً من اصبعي على هذا الزر ، تسير جيشاً .
من هذا الشيخ الجالس امامي ، الطافر من ظلمة ماضٍ بعيد ؟ بسلي
عرفته في الجامعة ، ولكن ذلك كان منذ ربع قرن . وليكن اسمها
جامعة فهي مدرسة على كل حال . وماذا يهم ان كان هذا الرجل
ذا شأن في ايام التلمذة ومتفوقاً عليّ ؟ ! هذه مدرسة الحياة وانا
فيها وزير . اما هو من هو هذا العائد من مهجر يحفل موقعه اساطين
الجغرافية ؟ ومن يابه لتلك التسعة الدولارات والثلاث من الدولار
التي قيل انه جاء بها من غربته ؟ ! وماله يقتعد ذلك الكرسي مثقلاً
بثقة النفس ؟ ! وما هذه البسمة الساخرة على شفتيه ؟ ! تراه تحدثه
نفسه انه احق بمقعدي مني والله ...



وانصت هو الى صمتي فراغته رعود تفكييري وبروقه : « الله ،
الله ! هذا نديم بعينه . رحم الله عهد التلمذة ، يوم كان مسعود يتبع
خطواتي مبصبصاً بذنبه ، متودداً اليّ ، يستكتبني خطاباً او يرجوني
ان اصلح له مقالاً ، ثم يستعطفني ان اتوسط له صحافياً ينشر له
ذلك المقال . بلى كان مسعود موسراً فابوه يصدق عليه الحوالات
من اوستراليا . وكان مسعود انيق الثياب . ولقد اوجت اناقته
وفخامة مظهره الاجوف الى احد بجان الجامعة « سمير ملوك » ان
يطلق عليه لقب « الباشا » . وهذه خمس وعشرون سنة مرت ،
تقلب خلالها مسعود على كرامى الحكومة حتى منحه ملك عربي
لقب باشا .

فصار « الباشا » باشا من صحيح . هل انتقمت الايام من اُم
انصفت مسعوداً ؟ وكدت افهقه هزءاً بنفسي وبسمير ملوك ،
ام هزءاً بمسعود - لم ادر . . .

ولبنا في صمت يشق دويه الآذان ، حتى التقت عيوننا فابتعد
اللؤم عن نفسينا ، وذبنا نحن الاثنين في ضحكة طاهرة ، هي
سكرة الروح اذ تستل من ذكريات صباح العمر اشعة تنفذ الى
كوى النفس فتثير ظلمة كهولتها وتبخر ما فيها من قذارة ، فنسينا
الحصام والتفوق والحسد . ومضت ساعة انس ودعابة . فلما
هممت بالانصراف صاح بي مسعود : « اذا انت عازم على زيادة
« سرايا » ؟ ما اجمل هذه المصادفة ! انا قاصد الى « سرايا » . هي
في قائمقامية « العباسية » . ما اسمه - صديقك الذي قتل في
« الفلين » ؟ رشيد المغربي ؟ بيت المغربي جماعة « اوادم » . في

الانتخابات الماضية اعطونا اكثرية ٩٤ صوتاً . سآمر الحاجب ان لا يطلب منك بطاقة حينما ترجع في صباح الغد . ادخل هذا الديوان فور وصولك . نمشي حوالى الساعة العاشرة على فوqe - يجب ان تنسفهم خطاباً . لئن كنت نسيت صنعة الخطابات ففي ديواني كاتب لا بأس به يحسن انشاء الخطب . لا تدفع له شيئاً فمعاشه يكفيه ، وانا دائماً أتصدق عليه بشيء . رويدك ! وركب الزر الكهربائي كبستين طويلتين ، وكبسة قصيرة فما اسرع ان هرول الينا رجل اصلع شاخ قتيماً ، فزرر ستوته وانحنى متضعاً امام الباشا . فخطابني الباشا مشيراً الى الكاتب : « لعلك تذكره . هذا « سمير ملوك » .

*

ولقد علمتني الغربة احترام الوقت وتقديس المواعيد ، فمثلت في ديوان الوزير في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي ، فلم أجده هناك . وبعد انتظار ساعة أقبل في طليعة جماعة تواكبه وجثم على كرسيه يتحدث معهم بشؤون لم افهم مغازيها ، فمن بحث في سباق الحيل ، الى الاعجاب بفلم مصري ظهر حديثاً ، الى نقد قصيدة رثاء ، الى مفاضلة بين سيارتي « كرايسلر » و « بويك » . وانا بينهم صامت مشدود حتى جاءت ساعة الظهر فدعاني الباشا الى الغداء معه . ولم نترك بيروت حتى الساعة الواحدة بعد الظهر إذ مرنا في قافلة سيارات تحمل جنوداً وموظفين . وكنا كلما بلغنا قرية أوقف الموكب جمهور القرويين ، وتبادل الوزير الخطب معهم والاحاديث السياسية . واذكر ان وظيفة معاون جمرك في بيروت كانت شاغرة



في ذلك الحين، وكان الوزير يعد بها عشرة اشخاص في كل قرية غمر بها . وكان الباشا يباهي امامي بدهائه السياسي : « السياسة » ، وتفسف الباشا « هي اخذ وعطاء . خذ مواعيد باصوات انتخابية ، واعط وعوداً بوظائف حكومية » .

قلت : « اذا جاء يوم الحساب فكيف تبر بعودك لهؤلاء وتقدمهم كلهم في كرسي واحد ، أتراك تفعل المستحيل وتكذب علماء الطبيعة ؟... »

فابتسم وقال : « ان السياسي هو رجل يفعل المستحيل ، ووظيفة معارن الجمرک اتفقنا بالامس مع دمشق ان تكون لسوري ! » وقبحه .

وراح الباشا الوزير بضخم في عيني نفسه كلما اوغلنا في هذه السفارة ، فطفق يحدثنني من جديد عن ذلك الكتاب الذي بهم بتأليفه ، وأنه يستمد عناصره من الحياة مباشرة . وصار الكتاب يضحهم بعد كل استقبال ، حتى حسبت انه اذا استمرت استقبالات الالهالي فسيصبح الكتاب دائرة معارف .

وهو ان الله فبلغنا سراي « العباسية » . وكان الاستقبال هنالك رائعاً إذ أنت وفود القرى ببيارقها ، واستلفت نظري علم « سرابايا » المتعدد الالوان . وعلا الهتاف للوزير . وسرعان ما اعتلى الباشا منبراً وراح يخاطب في الشعب . فبعد ان تغنى بالعباسية واجادها التاريخية واكد لسامعيه ان اياً من ابناء قائمقامية « العباسية » يفوق سوزمان ، وطرزان ، وغاندي ، وانشتين ، ونيوتن ، وعلي الزبيق أو هنري فورد أو عنتره العبسي ، تخلص الى ذكر « الفلبين »

والفاجعة التي نزلت بالشرق المتوسط باستشهاد البطل رشيد المغربي،
وان الباشا حينما علم بالخطب من صديقه، وأشار اليّ ، اسرع فسانني
ان آتي بنفسي لاجل لبني العباسية وحبهم لشهيدهم الاخير .
إذ ذاك أشرقت عليّ الحقيقة حين عرفت ان زيارة الباشا
للعباسية لم تكن صدفة ، وانه اقتادني الى هناك ليستثمر حضوري
ويبتاع به أصواتاً انتخابية . وكأنه لمح حنقي ، وكنت الى جانبه
على المنبر ، فأخذ يقدمني للجمهور ، ويعزو إليّ مقاماً سياسياً في
المهجر لم احلم به ، وغمرني بالقباب علمية لم أسمع بها ، ولقبني بسموأل
لبنان الذي تحمل اخطار الاسفار ومشاقها الى لبنان لأحمل وصية
الصديق الاخير .

وجاء دوري للخطابة فنهضت وفتحمت فمي :

« ايها الاخوان

كان رشيد المغربي بين يدي حينما لفظ أنفاسه الاخير
فهز حامل علم « سرايا » بيرقه وصاح : « فليحي بطل سرايا ! »
فاجابه فتى يحمل علم « الفحيص » : « اخرس ! ان رشيد المغربي ابن
الفحيص ، فليحي رشيد المغربي بطل الفحيص ! »
وتطايرت الشتائم واشتبك بنو القريتين في معركة بترت خطايي ،
فوجئت واتخذت موقفاً حيادياً . ولقد علمتني معارك « الفلين » ان
الحذر كل الشجاعة ، فهرعت ابتغي مكاناً قصياً ، غير ان
امواج المعركة غمرتني ، ولم ادر إلا وعصاً كسرت على كتفي
الايسر ، فماجت الدنيا في عيني ووقعت على الارض استمع الى اصوات
القتال يبعثني اذني ، وأصغي باليسرى الى زقزقة عصافير الجنة ...

وفرق الجند بين المتقاتلين ، وتوسط العقلاء ، فسكنت الجلبة
واعتلى الوزير المنبر ثانية . فبعد ان مجّد قرية « سرايا » وعظّم
ضيعة « الفحيص » ، ذكر أن الشهيد رشيد المغربي ولد في « سرايا »
فهو ابنها غير منازع (هتاف من بني سرايا) غير أن املاكه
في « الفحيص » وزوجته منها ، وفيها كان عداد تذكرة نفوسه
فهو بدون شك فتى « الفحيص » (هتاف من الفحيصيين) . وكان
الباشا يود أن يطلق على الشهيد لقب « بطل القريتين » ولكنه
يريد ان يزيد إلى أجداد « العباسية » التاريخية فتحاً جديداً ، فهو
يرغب إلى الجمع أن يوافقوه على تسمية الشهيد « بطل العباسية »
فدوى الهتاف ، واطلق الرصاص ، وهاج القوم فرحين ومؤيدين
اقتراح الوزير في حكمته السليمانية ، فشكرهم الباشا وتمنى الشفاء
العاجل للاربعة عشر برمجاً .

حينئذ تقدم زعيم المقاطعة وبلّغ الوزير قرارات القوم التالية :
اولاً - مطالبة الحكومة الاميركية بتعويض مالي لاسرة
الشهيد .

ثانياً - إقامة تمثال « بطل العباسية » وتوجيه الدعوة للتبرعات
الى المهاجرين في أنحاء الدنيا .

ثالثاً - مطالبة رئيس الجمهورية اللبنانية بتعليم اولاد الشهيد على
نفقة الحكومة .

رابعاً - شكر فخامة الوزير لعطفه على المقاطعة .

خامساً - ارسال تلفرافات الى صحف بيروت بهذا المعنى .

*

قال الوزير لسائق السيارة « تمهل ! ». وأوضح لي : « اريد ان
أتمتع بمشهد هذا المغيب . اودّ في كتابي وصف سيارة تنحدر إلى
بيروت عند الغروب . وعلى ذكر كتابي آسف أنك لم تنه خطابك .
قل لي ماذا كانت كلمات الشهيد الاخيرة ؟ فقد سمعت انه مات بين
ذراعيك . »

اجبت : « لقد نطق بكلمة واحدة قبل ان يلفظ انفاسه . »

— اي كلمة ؟

— كلمة « آخ ! » .

— قل لي كيف صرع ؟

— كان بين نارين .

— اليبانيون والاميركان ؟

— اليبانيون وزوجته .

— وكيف كان ذلك ؟

— ارادت زوجته ان تغسل فسطانها ، فأمرت زوجها رشيد

المعربي ان يملأها سطل ماء من قسطل قرب اليبانيين فلما دنا منهم
صوبوا البنادق وأمروه بالرجوع .

— ولماذا لم يرجع ؟

— لأن امرأته أمرته ان يملأ السطل ماء ...

— إذا فقد مات ...

— حاملاً سطلاً ...

قال الباشا : « اريد ان اصف ، في كتابي الجديد كيف يتفجر

الدم من صدر قتيل . قل لي بم شعرت حين رأيت الدم يفور من

صدر صديقك ؟

- لم يكن هناك من دم .

- إذاً كيف قتل رشيد المغربي؟

- الخوف قتال يا باشا !

وقبل أن نترجل من السيارة في بيروت شعرت انه جاء دوري
بالقاء سؤال . فتطلعت اليه وسألته بلمهجتنا ايام التلمذة : « مسعود !
كيف حذقت هذا النفاق ؟ » فضحك حتى كاد يغيب عليه ، وامسك
بكتفي الصبيحة وخاطبني بلمهجة الحكيم يعظ أحرق فقال : « الصدق
قتال يا باشا ! »

وحينما غابت سيارته عن عيني وانقطع صوت قهقهته تبليجت لي
الحقيقة المؤلمة ، وهي ان مسعود ألبسنا في زمن الكهولة وفي
مدرسة الحياة لقباً خلغناه عليه - ايام الصبا وفي مدرسة التلمذة
فخاطبت نفسي معترفاً بلقي الجديد : « هذه حال الدنيا يا باشا » .

البُرهان القاطع



بعد السلام والكلام اسمعني تلك العبارة من جديد ، فامسكت
بكلتا يديّ قميصه من تحت عنقه وهزته هزاً عنيفاً رجرج نظارتيه
وصحت :

- انطلق بهذه العبارة مرة ثانية ترّ نفسك مضطجعاً على نخل
هذا الرصيف تعدّ نجوم السماء في هذه الظهيرة ...
ولقد كنت فظاً قاسياً على مخاطبي ، ولكنها عبارة سمعتها من
كل من لقيته بعد رجوعي الى « مانيلا » على أثر دخول القوات
الاميركية تلك المدينة ، وتحريرها من اليابانيين . اذْطُفتُ الشوارع
والمتاجر اطلب واتداول مع اصدقائي ومعارفي في شؤون تحصيل
الرزق . وكانت كل محادثة تبتدىء او تنتهي بنفس العبارة :

- « افتح خماره » .

كيف افتح خماره وقد ولدتُ وشببت في « بعقلين » لبنان ،
تدوي في أذني كلمة « حرام » . بلى ، حرام ان تقبض « فائظاً » على
دين ، حرام ان ترمي بكسرة الخبز ، أو تنفق من معاشات الحكومة



او من دفعات المهاجرين . حرام ان تدخن سيكارة او تفوه بشتيمة
- كل شيء حرام إلا عبادة الله ، وقهر النفس ، وحرارة الارض ،
والعناية بها .

وهنا في « مانिला » يريدونني على ان افتح خماراً !. أي شيء من
ماضيّ بان سافلا فشجعهم على مثل ذلك الاقتراح !. فلا عجب إذن
ان ثار حنقي حين سمعت تلك العبارة من جديد . واني عصي المزاج
لا اقوى على كبح غضبي متى ثار . لا سيما اذا كانت خصمي وضع
الحال ، نحيل البنية . عجباً لسراع الغضب : كيف يضبطون
عواطفهم أمام من يفوقهم قوة أو شأناً ! ذكرني متى اجتمعنا ان
اروي لك كيف استطعت ان اكبح جماح غضبي في حضرة ضابط
ياباني يدغدغ كتفي بسوطه ، ويصف السالفين من اهلي بكلمات
'تسمع ولا تطع' !.

وحين أفلتت فريستي من يدي تابعت تسياري في الشوارع ،
فألفت حوايتها خماراً تجاور خماراً ، فضلاً عن متجولي الباعة الذين
ملاوا جيوبهم وأيديهم بقناني الوسكي ، والجنود والبحارة يملأون
الشوارع والأقضية بأجسامهم وشنائمهم ودولاراتهم وعراكمهم .
ولئن جاز ان تسمى دمشق مطبخاً كبيراً ، فقد كانت « مانिला » في
تلك الايام حانة كبيرة .

وفيما انا أحسب نفسي اسيرُ وحيداً ، تطلعت فاذا بالأسود
الباسم ذي القرنين والذيل الطويل يماشيني قائلاً :
- يا مجنون ! حين ترجع الى لبنان ، سيسألونك كم جمعت من
مال ، لا كيف جمعت المال . ارجع عن غبارتك وافتح حانة .



تغنيك في شهرين . تلك الدنيا التي عمرت بها مخيلتك طمست ولن
ينقب عن آثارها الباحثون !

« هاهو عمّو ! » بادرني ولیم زعرور الجندي اللبناني الاميركي ،
طارداً الشيطان من جواري . « أراك سابحاً في التفكير ، بماذا
تفكر عمّو ؟ . » قلت :

— اني افكر بوسيلة اكسب بها دولاراً من غير ان افتح خماره !
قال : — لماذا لا تحاول الخدمة في الجيش ؟
— هاه ؟!

— كدرني اعني . انهم يستخدمون الوف المدنيين . اذهب الى
البنية الكبرى قرب المرفأ وقدّم استدعاءك .

وحين صعدت درجات تلك البنية لم أدر كيف بلغت فاني لم
اركب أي عجلة تمشي على دواليب ، كذلك لم اذكر ان قدمي
لمستا الارض . غير اني اعرف من نفسي اني متى أردت الاسراع
شدت على كتفي جناحين .

« اني أطلب عملاً » اجبت الفتاة الاميركية التي سألتني . « هل
في رسمي ان اسعفك ؟ » فناولتني ورقة ملأها باسمي ، وجنسيتي ،
وسيرة حياتي ، واسم ابوي ، وثقافتي ، وأمضيت تلك العريضة
ودفعتني الى الفتاة سائلاً :

— متى اعود ؟

قالت : ان لم تكن في عجلة فاصبر قليلاً . نحن في حرب ونفعل
كل شيء بسرعة .

فجلست في قاعة الانتظار هنيهة ، وسرعان ما عادت الفتاة

مبتسمة قائلة :

— تفضل بمقابلة كبتن كلي .

وتبعها الى حيث اشارت فنهض الكبتن وحياني وقدم إلي

سيكارة قائلاً :

— اني درست عريضة استدعائك . ان المعاش الذي ندفعه لك

هو ١٥٠ دولاراً . اراك تبسم . اني ادري ان هذا المعاش

لا يكفيك . انتم المدنيين تدفعون دولاراً ثمن عشرين سيكارة وثمانية

دولارات ثمن كيلو لحم . لهذا دعوتك اليّ . اراك تدعي انك

خريج الجامعة الاميركية في بيروت ! هذا حسن . حسن جداً !

اننا نحسبك كخريج جامعة اميركية في الولايات المتحدة ونجعل

معاشك تسعمائة دولار ، اراك فرحاً . انما لا تتعجل ، فنحن نريد

برهاناً قاطعاً على انك خريج الجامعة الاميركية في بيروت ... هل

لك ان تأتيني بشهادتك ؟

قلت : — انها ...

— احترقت . هذا ما كنت اخشاه .

— لا ... لم تحترق ولكني احرقتها خوفاً من اليابانيين . غير انه في

وسمي ان آتيك بشهود ...

— شهود ؟ ما نفع الشهود . انا في وسعي ان آتيك بشهود انني

انا الرئيس روزفلت وغريتا غاربو .

— لماذا لا تبرقون الى بيروت ؟

— التلغرافات هي للامور الحربية فقط . ولكن تعال معي

الى ج ٢ — دائرة الاستخبارات . هناك يعرفون متى حشوت

خرسك . وماذا همست في اذن حبيبتيك اذ قبلتها لأول مرة .
هيا بنا فمكتبهم في البناية المقابلة .

ومشينا معاً ، ولم استغرب الاهمية التي يعلقونها على الجامعة
الاميركية في بيروت ، فاني ما حدثت اميركياً الا وجدت انه
قد سمع بتلك الجامعة فمعظمهم يجهلون اين هي سوريا أو لبنان ،
ولكنهم يعرفون الجامعة الاميركية في بيروت ... - انها مؤسسة
ثقافية عظمى مكانها اسطنبول أو اثينا ، او القاهرة وربما كانت في
القدس او بغداد .

وودعني الكتبتن كلي بعد ان عرفني الى الماجور ملر وخوفي
منه قائلاً ، مشيراً الى ملر : « حذار من هذا الذئب . لئن دعاك الى
سهرة فارفض الدعوة . » ثم زاد : « لئن جئتهم بالبرهان القاطع انك
خريج جامعة بيروت ، فابدأ عملك في صباح الغد بمعاش تسعمائة
دولار ، فشكرته وانصرف .

أما ملر فقد كان سريع الخطى ، قلق الصوت ، يختطف
الكلام ، ولكنه كأكثر الاميركان ، مصقول التهذيب لطيف ،
ففتح الباب الذي وراء طاولته ودعاني : « لنمش الى الشرق الاوسط .
انه في الجناح الايسر من هذه البناية . »

ودخلنا غرفة كبرى كتب على رتاج بابها « الشرق الاوسط »
عمرت بالرفوف تحتشد فيها الكتب والاوراق والصور . وما انت
لفظ ملر « الجامعة الاميركية في بيروت » حتى جاءه القائم على تلك
الغرفة بدفاتر وكتب . وراح الماجور يقرأ احداها عابساً بعض
الاحيان ، ومقهقها تاره قهقهة هزت كل خلية في جسمه ، ثم سألني :

— بالطبع انت تذكر بعض اغاني الجامعة ؟
فوقفت وانشدت منها اغنيتين .

فقلب مجلد صور فوتوغرافية وسأل : « هؤلاء الرجال . هل
تعرف منهم احداً ؟ فجددت واجبت سلباً . وقلدت الورقات الى
ثانية ، فاشترت باصبعي إلى تلك الهامة الجرمانية تعميمها عليقة من
الشعر الابيض الكثيف واجبت « رحم الله الاستاذ نيكولي
مدرسي في علم الاقتصاد »
— وهذه البنايات ؟

— بلى هذه « وست هول » حيث تقام الحفلات .
وكدت ان احذثه عن « لولا المحامي » و« نخب العدو » غير
اني ذكرت ان الاميركان يمتنون المتبجحين .
ثم راح يتصفح دفترأ آخر ظهرت فيه حوانيت ومتاجر
ومطاعم ، فلما ان وصل الى صفحة ٣٤ صحت « قف ! هذا هو
المطعم الذي يقابل بوابة الجامعة . هذان صاحباه الأخوان توفيق
واديب فيصل ، وهذا الدفتر الاسود الذي بينهما هو دفترالهوالك .
لوتصفحته لرأيت حسابي غير المدفوع — ٣٤ ليرا و ٢٨ قرشاً .
فأطبق الدفتر ودفع به وبالكتب الى القيم على تلك الغرفة .
وصمت برهة مفكراً ثم خاطبني :

— اسمع ! نحن في حرب وانا جندي في جيش . اني مقتنع انك
خريج جامعة بيروت ، ولكننا في الجيش لا ننفذ الامور بسبب
الارهام او الاقتناع او الشعور او الظواهر ، بل نتقصى الحقائق
الراهنه . ما ادراني انك لم تكن مستخدماً في الجامعة ، أو تلميذاً .

او انك عرفت هذه الامكنة والاشخاص بسبب مصادقتك لاحد
الناس في الجامعة ؟ اني آسف ان ليس في مقدوري ان اثبت
الكبتن كدلي انك خريج جامعة بيروت اذ انك لم تأتني بالبرهان
القاطع . غير انه في طاقتي ان اخدمك . تعال الى حانوت الجيش
واشتر بعض حاجاتك . اسعارنا بخسة .

وهبطنا الى الحانوت ، وهو في الطابق الاول من البناية
فوجدت لهذا الجيش يحارب ويصطحب معه ما رأيت من بضائع ،
فقد ابصرت الغرائب : كمنجعة ، قيثارة . ماندولين ، كل انواع
العطور والحمر والبودرة ... وما فتح الله ورزق من ضروري
وغير ضروري . لا عجب أن قال ذلك القائد الالماني في ايطاليا
« الجيش الاميركي ؟ ! زمرة مليونارين في اثواب جنود » ولما
فرغت الفتاة التي تتولى البيع من خدمة احد الزبائن ، اقتربت من
رفيقي المماجور فحيته !

— مرحباً يا عشيقتي .

اجابها :

— مرحباً يا جميلة الوجه !

قالت :

— حسبتي نفقت يدي من كربه خدمتك امس حين اشتريت

كل حاجاتك بتلك المزيقة التي اعطينتها صباح البارحة .

اجاب المماجور :

— ما كنت لارجع الى التطلع الى سجتك البشعة لولا اني

اريد ان اشترى - واسار الي - بعض حاجات لرفيقي . هاك

وثيقة تخصّصاتي ، ولا تبيعيني ثانية من تلك القاذورات التي
تسميها بضاعة .

وتطلعت الفتاة الى وثيقة التخصّصات بلحظة خاطفة وكلمتي
« ان جشع صديقك لم يبق له حقاً بالشراء الا حذاء واحداً ومشمعاً » .
قلت للماجور : « املك في حاجة اليهما »

فمد قدمه يربني حذاءً بنياً جديداً ، وأشار الى مشمع يحمله
على زنده واجاب « لقد اشتريت هذين امس وعندي في الحزمة
سواهما »

وقاست الفتاة قدمي وقامتي بلحظة خاطفة ثانية ، وجاءتني بسرعة
البرق بمشع قياس ٤٢ ، وحذاء بقياس ٩ ١/٢ فنقدتها ١١ دولاراً
وحملت ما ثمنه في المدينة ١٢٠ دولاراً . وراح الماجور يشوقني
الى شراء اغراض ثانية مباحة كمياتها ولا ترتبط بوثيقة مخصصات ،
فرفضت شاكرآ ، فان آداب السلوك في « بعقلين » لبنان ، هي
ان لا تشبع على مائدة مضيفك مهما برّح بك الجوع .

وكان رفيقي من اولئك الذين تزخر معلوماتهم فتطوف عن
السنتم فتفرق عشراءهم ، اذ ما اسرع ما سمعت الماجور يقول :
« انت من العنصر السامي بلاريب . انظر الى قامتك فهي في طول
قامتي وعرضها . كلانا في قياس ٤٢ ، اما حذاؤك فهو قياس ٩ ١/٢
في حين اني البس ١١ ١/٢ . اني اراهن ان ساقى اعلى من ساقك . »
وكشف بنطلونه ودعاني الى المقايسة فوجدته صادقاً اذ ان ركبتة
علت ركبتى بنحو قيراط . وعاد الماجور الى دلق المعلومات :
« لا عجب فانت سامي وانا انكلوسكسوني . اما هذه الفتاة فهي

اسوجية الاصل ، واني اراهن ان ساقها اطول من ساقى مع انها امرأة » فدارت الفتاة حول الحاجز الذي يفصلها ووضعت قدمها قرب قدمينا وحسرت عن ساقها الى همامة ففعلها ، فبانَت ركبتهَا اعلى من ركة الماجور بنحو نصف قيراط . وكأنا رفيقى رأى ما أُرعبه فجس « بطة » ساق الفتاة وصاح : « حذار ! فقد ضخمت بطة ساقك واشتدت وان هذا في المرأة لعب . خفنى من الالعاب الرياضية » .

فاجابت الفتاة مشمئزة : « كذب وبهتان . ان ساقى جميلتان ! ليس من فتى في الجيش لم يهنئنى على هندامهما . كذلك لن انقطع عن المعتلة » .

ودارت نحوي ودعيتى لأن أجس : « قل لصدىك هذا الحبيث ان كانت بطة ساقى ضخمة العضلات » . فلمست ساقها لمسة خفيفة وابتسمت متأدباً شأن الغريب لا يود ان يشترك في جدال بين صديقين .

وحين صرنا في الباب منصرفين التفت الماجور الى خلفه وسأل « ماذا تفعلين هذه الليلة ؟ » اجابت « اسأل الليوتنان سمث . هو الذي يخرج بي هذه الليلة . »

فغمز رفيقى بعينه وصاح « بعض الفتيات محظوظات » . اجابت صديقتها بعد ان اخرجت لسانها ساخرة : « بعض الضباط طوال الألسنة ! » .

وحين صرنا في الشارع فاضت معلومات الماجور ثانية فجدد ملاحظاته الفلسفية : « ان الذين لا يفهمون الاميركان يعيبوننا بامور

نحن منها براء . ان دعابتنا مع النساء طاهرة ليس فيه لؤم الفجور ،
 فجلسنا نحسب اعضاء الجسم بما يحرم ذكره أو لمسه . اجبت متلعثما :
 « صدقت ، لقد عايشنا الاميركان وخبرتهم » واحمر وجهي . تراه
 لاحظ كيف بلغت ريقى وارتعشت اناملي حينما لمست تلك الساق ؟
 وارتدت الافتراق عنه فجرتني الى مطعم عبر الشارع وأصر علي ان
 اساطره زجاجة بيرو ، فجلسنا نتحدث اكثر من ساعة استهلكنا
 خلالها زجاجات لا زجاجة واحدة . ولم يشأ الا ان يدفع عني ،
 فشكرته . وودعني معتذراً ، شاجباً قوانين الجيش التي تغلّ يديه
 عن خدمتي وتسهيل امر استخدامي .

وررفت في عتمة ذلك الشارع ، خارج الرستوران ، وقد بدأ
 المطر يقع رذاذاً فوضعت المشمع على كنفى من غير ان ارتديه ،
 وكانت اوركسترا المطعم تعزف لحناً خافتاً ، وفي نفسي ظلمة
 أشدّ حلكاً من عتمة الشارع ، وفي قلبي وحشة وغمرة حزن .
 لقد مرّت بي مواقف بأس كثيرة في هذه الغربة المريرة .
 اذكر يوم كنت اتمشى بابنتي الصغيرة في البولفار اذ مرّ بائع بالونات
 ملوّنة منفوخة فنادته ابنتي وحرفته أنا إذ لم يكن معي ثمن ذلك
 البالون . كذلك اذكر رعب السجن الياباني حيث ضاجعت
 طيلة الليل رجلاً صينياً ميتاً لفظ انفاسه في وجهي وصبغت دماه
 قميصي . واذكر يوم اختبأنا رجالاً ونساء واطفالاً في كهف اتقاء
 غارات الطيارات ووقعت القذيفة قربنا بحيث لفحت وجوهنا ريجها ،
 ولكنني لا اذكر مرارة قطعت نياط قلبي مثل تلك التي شدّت على
 اوتاره حين وقفت خارج ذلك الرستوران لا ادري الى أين اسير ،

ومن ابن اكسب الرزق في اليوم التالي . حقاً ان الحيرة آلم على
النفس من الحبيبة ، والخوف ، والفاقة .

لا ادري كم طـال وقوقي هناك : الحظة ام ساعة ، ولكنني
استفقت من غيبوبة آلامي على قهقهة الماجور ، تلك الضحكة التي
كان يقهقهها في مكتبه وهو يقلّب الكتب وينهال عليّ بالامثلة .
وفيما هو يقهقهه خاطبني بكلمات متقطعة :

— رح الى الكتب « كـلـمي » غداً وقل له ان يضع اسمك في
قائمة المستخدمين بمعاش ٩٠٠ دولار في الشهر . لقد ظفرت بالبرهان
القاطع على انك من « خريجي الجامعة الاميركية في بيروت » .
وخلع مشمعه مقهقهاً من جديد ، متابعاً حديثه :

— الظاهر اننا تبادلنا المشمعين . فحين مددت يدي الى جيب
المشمع اُتطلب محرمتي وجدت هذا ...
وانتشل من جيب المشمع تلك الملاعق الاربع التي استملكها
انا من المطعم حيث شربنا البيرة ...

قهوة سَورَاط

لليوتولستوي

كان في سورات - احدى مدن الهند - قهوة يؤمها الكثيرون من المسافرين والاعراب من مختلف جهات العالم ، فاذا هم اجتمعوا أنس كل الى رفيقه وأقاموا يتفكهون ويتحدثون . وقد ساق النقادير الى تلك القهوة رجلاً فارسياً من المولعين بعلم اللاهوت ، وكان الرجل قد انفق العمر يبحث عن طبيعة الله فدرس كتباً كثيرة ونشر تأليف عديدة . وكأنه استوسل في درسه وتنقيبه استرسالا غير محمود فلم يلبث ان اصابه الجبال ، فكف عن اجتهاده وتقادى في الكفر حتى لم يعد يؤمن بوجود الله . فلما اتصل امره بالشاه ، غضب عليه وطرده من بلاد العجم . وهكذا ساء أمر اللاهوتي ، فبعد أن جادل العمر كله مدافعاً عن « السبب الاول » صارت حاله الى البلبلة ، فبدلاً من ان يفتن الى جنونه وفقده « عقله » أمسى يعتقد انه ليس ثمة من « عقل » يدير هذا الكون .

وكان في خدمة هذا العجمي عبد افريقي يسير في ركابه أنى توجه ، فلما دخل القهوة ، قعد العبد على حجر في الخارج « يتشمس »

ويلهو بطرد الذباب الذي كان يزعجه بأزيزه حول أذنيه . وما ان
اطمان باللاهوتي مجلسه في الديوان ، حتى طلب كأساً من الأفيون
لم يكده يتجرعها حتى اسرعت حركة دماغه وبدأ فعل الشراب
يظهر فيه فيخاطب عبده من خلال الباب قائلاً :

- قل لي ايها العبد الشقي ، أنتعتقد بوجود الله أم لا ؟

فاجاب العبد ثم اسرع فانتشل من منطقتهم مثلاً صغيراً من الحشب
وصاح : « هوذا الاله الذي حفظني من يوم ولادتي ، وليس في بلادنا
من لا يؤمن بالشجرة المقدسة التي صنع منها هذا الاله ! »

أما رواد القهوة فقد استغربوا هذا الحديث بين اللاهوتي وعبده
وعجبوا السؤال السيد . ولكن عجبهم كان أشد حين سمعوا جواب
عبده . وكأن ما فاه به العبد قد استغضب احد الجلّاس - وكان
برهياً - فصاح بالعبد : « ويحك ايها المعتوه ! افتحسب ان الاله يحمل
تحت المناطق ؟ لا اله إلا برهما ، وانه لأعظم من العالم بأسره ، إذ
انه هو الذي خلقه ، لهذا نحن شدنا من أجل تكريمه الهياكل على
ضفاف الكنج حيث يسبحه البراهمة ، فليس في الدنيا من يعرف الله
سواهم . وها قد نشبت الثورة بعد الثورة ، فلم تفت في عضدهم ولا
انقصت من سيادتهم ، إذ ان برهما ، ولا اله سواه ، يحميهم ويصد
عنهم غارات الاعداء .

وما ان فرغ البرهمي من قوله حتى سرت الخيلاء الى نفسه ، إذ
توهم انه اقنع الجمهور ، ولكن سرعان ما تلقاه أحد الحضور - وهو
سمسار من اليهود - بقوله :

- ضللت يا صاحبي ، فالاله الحقيقي لم يختار هيكله في الهند ولا

هو يحمي جماعة البراهمة . ان الاله الحقيقي ، هو اله ابراهيم واسحق ويعقوب ، لا يعطف على غير شعبه المختار ، وهم الاسرائيليون الذين احبهم منذ بدء الخليقة ولم يحب سواهم ، ولئن يكن قد فرقنا اليوم في انحاء العالم ، فهو لم يفعل ذلك تخلياً عنا ، بل ارادة ان يبلونا ، ولقد وعد بان يجمع شعبه يوماً من الايام في بيت المقدس واذا ذاك يعود الى بيت المقدس رواؤه ويزر بنو اسرائيل عصا الحكم فوق رؤوس امم الارض اجمعين .

وغلب التأثير على اليهودي فأجهش بالبكاء . وفيما هو يحاول الكلام ثانية قاطعه مبشر ايطالي قائلاً :

- ان ما نطقت به اضرار وايّ اضرار ، انك لتنسب الظلم الى جلالته تعالى ، فهو لا يستطيع ان يحب امتكم اكثر من حبه سائر البشر ، وائئن خص اليهود بحب في سالف الايام ، فلقد مضى على ذلك الزمن اكثر من تسعة عشر قرناً اذ اغضبوه وحملوه على محو امتهم وتشتيتهم حتى انك لا تجددهم الا بقية مبعثرة هنا وهناك ، وليس الدينهم تأثير فلا يعتنقه احد . ان الله لا يفضل امة على امة بل ينادي الجميع ان ينضموا الى صدر الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، وهي وحدها كفيلة الخلاص .

واتفق انه كان بين المستمعين قس بروتستنتي فاصفر وجهه وتطلع الى المبشر الكاثوليكي وطفق يتكلم :

- عجباً لك ! افتزع ان لا خلاص بغير اعتناق دينك ؟ وان الخلاص نصيب الذين يخدمون الله متمشين على سنة الانجيل في نصه وفي روحه ؟

وكان الى جانب المتحاذين رجل تركي يشغل وظيفة في جمرك
سوراط لم ينقطع طيلة الحديث عن تدخين غليونيه ، ولكنه حين
سمع تنمة الحوار التفت الى المسيحيين معاً وخاطبهما بلهجة الغطرسية :
— يا بُطل ما تؤمنون بتلك الديانة الرومانية التي حل الدين
الحقيقي — دين محمد — محلها منذ اكثر من الف ومئتي سنة . وهل
في وسعكم ان تنكروا انتشار الدين الحنيف في اوروبا وآسيا
وتجاوزة الاقطار الى بلاد الصين المنورة ؟ لقد قلتم لهنيهة خلت إن
الله قد نبذ اليهود واستشهدتم على ذلك بندهم ومسكنتهم ، وبأن الناس
يعرضون عن مذهبهم فلا يعتنقه منهم أحد فأقروا اذن بحق الاسلام
إذ انه خفاق القواء في مشارق الارض ومغاربها . حذار حذار فلن
ينجو من عذاب الله الا المؤمنون برسالة خاتم الانبياء وصفوة
المرسلين ، ولن يخلص من هؤلاء الا اتباع سيدنا عمر لا اشباع علي ،
فان هؤلاء قد نشروا عن الدين القويم » .

وحاول اللاهوتي الفارسي ، وهو من شيعة علي ، ان يحتج على هذا
الكلام ، ولكن ارتفعت اذ ذاك ضوضاء ملأت المكان فقد كان
اولئك الاغراب ينتمون الى مختلف العقائد والمذاهب ، فكان
بينهم مسيحيون من بلاد الحبش ولاميون من تيببت واسماعيليون
واناس من عبدة النار فاشتركوا جميعاً في اللفظ والمهاكمة في طبيعة
الله وكيفية عبادته واصر كل على ان بلاده انفردت بعبادة الله
الحقيقي عبادة صحيحة ، ولم يعتزل وطيس هذا الجدال الا صيني من
تلامذة كونفوشيوس انكمش في اقصى زاوية من القهوة وأخذ
يشرب الشاي على مهل ويصغي الى حديث الباقيين من غير ان يفوه

بكلمة . فلحظ التركي هذا الصامت فخطبه بلهجة الشاكي يختصم الى قاضٍ وقال :

- إنك اتقوى على تثبيت الذي ذكرته يا اخي الصيني . لقد بقيت ساكناً حتى الساعة . على انك لو نطقت لما ايدت غير اقوالي . فان التجار الذين يؤمون سورا ط من بلادكم فباتون اليّ في طلب المساعدة يؤكدون لي ان قد تسربت الى بلاد الصين ديانات كثيرة غير ان احبها للصينيين هي الديانة الاسلامية ، لذلك هم يعتنقونها عن طيبة خاطر . فـ لا تثبتن كلامي وتبسط لنا معتقدك في الله وفي رسوله ؟

فالتفت اليه الحاضرون جميعاً وصاحوا به : « بلى ، بلى ، اسمعنا رايك في هذا الأمر ! » .

فاغمض الصيني عينيه وفكر هنيهة ، ثم عاد ففتحهما ثانية وسل يديه من كميه الواسعين وطواهما على صدره وأخذ يتكلم بصوت هادي . خافت فيقول :

- يخيل اليّ ايها السادة ان لاشيء يمنع الناس من الاتفاق في الايمان الا عجبهم وكبرياؤهم . اسمحوا لي أن أضرب على هذا مثلاً بالقصة التالية :

« غادرت الصين وقدمت الى هذه البلاد على باخرة انكليزية كانت قد طافت حول الارض . وقد تحتم علينا ان ننزل الى الشاطئ الشرقي من جزيرة سومطرا في طلب الماء العذب . فلما بلغنا البر وكان الوقت ظهراً ، نزل البعض منا يتفياؤث اشجار جوز الهند ، وكنا جماعة ننتمي الى مختلف البلدان . ولم يطل

مكوئنا حتى وافانا رجل اعمى عرفنا عنه بعدئذ انه فقد بصره
لطول تحديقه في الشمس يبغى ان يستكشف طبيعتها ويحاول ان
يقبض على ضيائها ، وأجهد نفسه فأطال نظره الى الشمس فلم يعد
عليه هذا الجهد الا بان أضرت اشعتها باصريه فأخذت فيهما النور ،
يحدث نفسه حينئذ بقوله :

— ليس ضياء الشمس بسائل ، فلو كان سائلاً لسهل سكبها من
اناء إلى اناه ، ولا ستطارتها الريح كما تفعل بالماء ، وما هو بنار ، فلو
كان ناراً لاطفأها الماء ، وليس ضياؤها بروح لأنه 'ينظر بالعين ،
وما هو بمادة اذ يستحيل تحريكه ، اذن فما دام ضياء الشمس ليس
بسائل ولا نار ولا روح ولا مادة فهو اذن — لا شيء !

تلك كانت حجته . أما استمراره على التحديق في الشمس
والتفكير باسرارها فقد سبب له فقد بصره وادراكه . فلما ان عمى
جاء عماء مثبتاً لاعتقاده بان الشمس لا وجود لها !

وكان يرافق هذا الاعمى عبده فلما أنجلس سيده في ظل
شجرة جوز الهند ، راح فالتقط جوزة أخذ يعدها سراجاً ليلته ،
فجعل من خيوطها فتيلة ، وعصر من جوفها زيتاً غمس فيه الفتيلة .
وان العبد لجأ في عمله ، اذ بسيدته يتنهد ويسأله :

— أفما كنت مصيباً يا عبدي حين قلت لك ان الشمس غير
موجودة ؟ أفلا ترى أي ظلام يحيق بنا ؟ مع هذا يقول الناس ان
الشمس موجودة ! لئن صح ما يزعمون ، فما هي الشمس ؟

فاجابه العبد : — أنا لا ادري ما هي الشمس ، وليس من شأني
ان اتعرض لمثل هذا البحث ، غير انني أعرف ما هو الضياء ، هأنا ذا

قد اعددت لك سراجاً استعين به على قضاء امورك في الليل ،
والوصول الى أي شيء تطلبه في الكوخ .

ثم التقط قشرة جوزة وقال « هذه شمسي » . وكان إزاءهما
رجل اعرج يسير على عكازين ، فضحك حين سمع هذا الكلام وقال
« يابوح لي انك أعمى منذ ولدت ، فانت إذن لا تعرف ما هي
الشمس ، فاستمع إلي اخبرك : الشمس هي كرة نار ترتفع في الصباح
من البحر وتنحدر كل عشية بين جبال جزيرتنا . ولقد شهدنا هذا
كله - نحن سكان الجزيرة - ولو كان لك ان تتمتع بناظريك
لتحققت صدق ما قصصت عليك »

فعارضه صياد سمك كان يصفي الى الحديث بقوله :
- ما اسهل ان يعرف الانسان انك لم تبارح جزيرتك قط !
ولو لم يبتلك الله بالعرج فكنت قادر أعلى ان تطوف مثلي في قارب
صيد لعرفت ان الشمس لا تغيب بين جبال جزيرتنا ، بل ترتفع من
الاوقيانوس كل صباح ، وتغيب في البحر كل مساء . واني ارى هذا
المشهد كل يوم ، فهو اذن صحيح لا ريب فيه .
فقاطعه حينئذ رجل هندي كان بين الجماعة فقال :

- إنه ليدعشني ان ينطق رجل ذو بصيرة وروية بمثل هذا
الهديان . أفيعدل ان كرة نار تنغمس في المياه من غير ان تنطفئ ؟
ليست الشمس بكرة نار ولكنها آله اسمه « ديفا Deva » يعتلي
عربة ويطوف الدهر كله حول « مارو Meru » الجبل الذهبي ، وقد
تهيج الحيتان الشريرتان « راغو Ragu » و « غاتو Ketu » فتبتلعانها
فيعم الارض ظلام ويسرع كهنتنا الى نجدة الشمس ، فيضرعون الى

الآلهة ان يطلقوا سراحها ، فيستجاب دعاؤهم ويحل عقاب الشمس .
وليس في الدنيا من يزعم ان الشمس لا تشرق الا في بلاده — غير
امثالك من الذين ضرب الجبل على عقولهم ، وقضي عليهم ان لا
يفارقوا جزيرتهم »

وجاء دور ربان سفينة مصرية فقال :

— أخطأت يا صاح فليست الشمس آلهة ولا هي اختصت الهند
بالتطواف حولها وحول الجبل الذهبي ، اني جوّاب آفاق ، طوّاف
ببحار ، فلطالما دغدغت الريح شراع سفينتي في البحر الاسود وحيال
شواطئ بلاد العرب ، ولطالما زرت جزائر الفيليبين ومدغسكر .
ولقد علمتني اسفاري ان الشمس لا تنير الهند وحدها بل تضيء
على الارض جميعاً ، ولا هي تطوف حول جبل واحد ، بل ترتفع
في الشرق البعيد فيما وراء جزر اليابان وتغيب بعيداً بعيداً وراء
اقصى جزر بلاد الانكليز . فمن أجل هذا اطلق اليابانيون على
بلادهم اسم « نيبون Nippon » اي « مولد الشمس » . انا واثق بما
اقول ، فلقد سجت كثيراً وسمعت كثيراً من جدّي بلغ في تجواله
أقصى زوايا البحر .

وأراد الربان المصري ان يستمر في الشرح ، ولكن انكليزياً
من بحارة سفينتنا قاطعه الحديث فقال :

— ما من اناس يجيدون معرفة حركة الشمس اجادة سكان بلاد
الانكليز . ان كل انكليزي يعرف حق المعرفة ان الشمس ، لا تشرق
ولا تغيب ، ولكنها تظل دائمة أبداً حول الارض . وليس أدل على
هذا من اننا طفنا العالم بأسره ، فلم نصطدم بالشمس بل كنا أنى

ذهبنا ، نجد انها تظهر في الصباح وتستتر في العشية
ثم أخذ بيده قضيباً ورسم على الرمل دوائر وحاول ان يشرح
دوران الشمس حول الارض ، فأعياه ذلك ولمح في تلك اللحظة ربان
السفينة الانكليزي فأشار اليه وقال : هذا الربان اعرف مني
بجقيقة الأمر فسيبتولى عني ايضاح ما غمض عليكم .
وكان الربان رجلاً فظناً وقد لبث صامتاً طيلة الحديث . فلما
توجهت اليه الانظار وسأله رفاقه ان يتكلم قال :

— ان كلامكم يحدد نفسه ويضل رفيقه . فان الشمس لا
تدور حول الارض ، بل ان الارض هي التي تدور حول الشمس
وحول نفسها أيضاً ، فلا يمضي على هذه اربع وعشرون ساعة حتى تواجه
الشمس في اليابان والفيلبين وسومطرا وفي افريقيا واوروبا واميركا
وفي بلدان غيرها كثيرة . فانت ترون ان الشمس لا تقتصر منفعتها
على جبل او جزيرة او بحر ، حتى ولا على الارض وحدها ، بل هي
تشرك في الضياء سيارات كثيرة غير ارضنا هذه . ولو رفعتم
بانظاركم الى السموات العلى ، بدلا من ان تخفضوها الى ما تحت
اقدامكم ، لوضح لكم ان الشمس لا تشرق من اجلكم واجل بلادكم
فقط ... »

تلك كانت اقوال الربان الحكيم التي اكتسبها من طول تحديقته
في السموات ومن تجواله في بحار العالم .

*

فلما فرغ الصيني من سرد قصته قال :
— ما اشبه هذا المثل بالأمر الذي اختلفتم عليه ، فات

الخيلاء التي حملت كلا من ربان السفينة في سومطره على ان يدعي ملك الشمس ، واقتصار منفعتها على بلاده ، هي التي تحملكم على ادعاء ملك الله ، واقتصار منفعته عليكم او على اهل مذهبكم . ياشد ما يفرق العجب بين الرجل والرجل . افليست كل أمة تبغي أن تجلس في هياكلها ذاك الذي يقصر العالم بأسره عن ان يسعه ؟ وما هو الهيكل ، منها عظم اذا قيس بالعظيم الذي ابتناه ، الله ، لكي يضم فيه الناس اجمعين الى معتقد واحد وديانة واحدة ؟

إن الناس ابتنوا هياكلهم على مثال هيكل الله العظيم . فجمعوا لكل هيكل اجرائاً ، وسقفاً مقبباً ومصابيح وصوراً وتماثيل ونقوشاً وكتاب شرائع وتقدمات ومذابح وكهنة ... ولكن قولوا لي : أي هيكل حوى جرنأ كاللاوقيانوس ، وسقفاً مقبباً كالسموات ، ومصابيح كالشمس والقمر والنجوم ، وأي رسوم تماثل الرجال الاحياء المتحابين المتعاونين ؟

اي آثار هي اظهر من آثار هذه البركات التي اغدقها الله على الانسان لسعادته وهناءته ؟ واي كتاب شرائع هو اوضح معاني من الكتاب الذي خط في قالب الانسان ؟ وأي ذبائح توازي التضحية التي يقوم بها رجال هذا العالم ونساؤه اذ يكونون متحابين ؟ واي مذبح شرف حتى ضارع قلب الرجل الصالح ؟

كلما سما نظر الانسان في خالقه ، ازداد معرفة له ، وكلما ازدادت معرفته لله ، ازداد اقترابه منه وتحديه اياه في صلاحه ورحمته ووجهه للانسان . فخليق بالرجل الذي يرى شعاع الشمس يلاً العالم أن يترفع عن تأنيب ذاك الذي لا يرى من الشمس الا خيطاً واحداً

من خيوط نورها ، وان يتنكب عن احتقار غير المؤمن الذي عمي
فلم يعد يستطيع ان يرى الشمس اصلاً...

*

تلك كانت أقوال الصيبي تلميذ كونفوشيوس ، وقد أصغى اليها
من في القهوة معجبين ، فلما فرغ منها بقي القوم صامتين وكفوا
عن التباهي بعقائدهم والتفاضل بأديانهم . *

* نشرت في الجزء السادس من مجلة « الكلية » - نيسان ١٩٢٥

مراسلات
بين المؤلف وسهيل اديرليس

جَوَل
کتاب «نخب المبدؤ»

من عادتي ، حين اتناول كتاباً بالنقد ، ان ابدأ بتلخيصه واختصاره لأمكن القاري من متابعة النقد الذي يلي . ولكني لن اعمد الى هذه الطريقة في الحديث عن هذه المسرحية التي بين يدي : « نخب العدو » من تأليف المهاجر اللبناني الاستاذ سعيد تقي الدين . ومرد ذلك ان المسرحية في حد ذاتها تستعصي على التلخيص ، ولا ريب في ان الذي بصر على عرضها مختصرة يشوها ويفقد معظم خصائصها . ثم انني لا أود ان احرم القاري لذة مطالعة الرواية برمتها لانها تستحق القراءة حقاً ، بل تستحق الدراسة . و « نخب العدو » كتاب ينقسم الى قسمين ، في اولها مسرحية « نخب العدو » وفي الثانية مجموعة من القصص بقلم المؤلف نفسه واذن فان الاستاذ سعيد تقي الدين كاتب مسرحي وقصاص في آن واحد . فما مبلغ توفيقه في كل من الميدانين ؟

لقد قدم المؤلف لمسرحيته بمقدمة ممتعة حقاً ، فيها التاعات

ادبية موفقة ، وان كنا نخالفه في ان « النقد فن زائف ومهنة طفيلية ... لانه يوم صاحبه ولو ضمناً بالتفوق على المنقود » وهذا رأي يكوره الناقد الحق ، لانه لا يؤمن بصحته ، ولا يشعر به في نفسه . وليست هذه المقدمة وحدة قائمة بذاتها ، فان المؤلف يتناول فيها كل ما يعرض له من آراء في ميدان الادب والكتابة ، وهو لذلك قد وضع لكل رأي عنواناً صغيراً يختلف بالفكر عن سابقه ولاحقه ... فهو يتكلم عن « الدرامائي رجل الشارع » و « لماذا لم تنشأ عندنا الدراما » و « الادب لا يطعم خبزاً » الخ ... وفي هذه المقدمة فصل طريف عن « اللغة » يبدو فيها المؤلف متحرراً ، على انه اذا وجد ان « السندوش » كلمة مأخوذة عن العربية « سندش من السندوش : عشبة خضراوية ورقها كالهندباء ، كانت العرب تضعه بين قطعتين من معجون البلح فيأكلونه » فانه لم يجد لئسما اصولا عربية لاستعمال فعل « سردن » من « السردين » و « عتليت » وجمعها « عتاليت » عن كلمة « Athlète » الفرنسية ، وفعل « تطربش » و « سرغس » و « تمحدل » ... كما اننا لانستسيغ استعمال فعلي « تعذب » بمعنى استلذ التعذيب ، و « حلقظ » كان كثير احلام اليقظة ، لان هذا الاشتقاق ، او قل هذا « العصور » لم يرد له شبيه في كلام العرب يقاس عليه .

على اننا نكرر ان المقدمة التي تسبق المسرحية ممتعة وطريفة حقاً ، لانها تكشف لك عن كاتب اديب ، غني التفكير والشعور . ويتبع المؤلف المقدمة بفصل عن سيرته ، كتبه بقلمه . ولئن كنت تلمس في هذا الفصل غروراً من المؤلف ، فان روحه الخفيفة المرححة

تبرر هذا الغرور ، بل ان ثقته بنفسه في محلها ...

فالواقع ان سعيد تقي الدين فنان بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، وهو الى ذلك اديب بارع . وقد التقى الاديب والفنان فيه ، فاذا هو مؤلف مسرحي وقصاص من الطراز الاول .

فاما مسرحية « نخب العدم » فلست اتعدى الحقيقة اذا قلت انني لم اقرأ أجمل منها في ما كتبه اديباء لبنان ، بل اديباء العربية جميعاً ! فانت تعجب كيف اجتمعت فيها كل عناصر النجاح ، وتأملت عليها جميع وسائل التفوق . فاذا انت مسوق الى تلاوتها دون ما توقف . واذا انت تخرج من مطالعتها ، في عينك دمة ، وعلى فمك بسمه ! ... لقد نقل لك سعيد تقي الدين في مسرحيته جميع « الناذج » البشرية في لبنان ، سواء منها القروي او المدني ، الطيب او السيئ ، والرفيع او الوضع ، ونقل لك الاخلاق اللبنانية في شتى مظاهرها وآفاقها ، وحشد لك الحادثة المؤسفة تهتز لها نفسك جزعاً ، والحادثة المفرحة يضطرب لها قلبك جذلاً وجبوراً ، وهو بعد ذلك كله قد اعطاك صورة بالغة الصحة والصدق عن هذا الجبل اللبناني وما يجيش فيه من اختلافات وحزبيات وطوائف وشيع ، وما يقوم بين اهله من احقاد وضغائن ، ومن حب ووداد ، ومن عداوة وصداقة .

ولعل المؤلف شاء الا يرهق القارئ في تلمس خصائص ابطاله فاذا هو يقدم له هؤلاء الابطال محللاً شخصياتهم بكثير من الوضوح والجلاء . فهذه « ام وسيم » تعبد بعد الله ولدها وسيم ، حريصة حذرة يقظة كثيرة الجد ، ذات انفة وكبرياء ، طاهرة من العجرفة ،



وهذا الدكتور نجيب (واليه اهديت المسرحية) تمشط الدنيا فلا تجد له مثيلاً ، وذلك هو راجي البيروتي ، الفتى النحيل القلق الضجر صاحب النكتة والدعابة ، وهذا وسيم الجموي ، شديد الثقة بنفسه فوار الطموح الخ ...

اما ميزات المسرحية والعناصر التي كفلت نجاحها فهي :

١ - حسن اختيار الموضوع : هذا النزاع الشديد على المجد بين اسرتين لبنانيتين وذلك الحق العظيم الذي يمكنه - بل يظهره - كل منهما للآخرى ... مثل " خالد سيبقى الجبل محتفظاً به أبداً الدهر .

٢ - روعة الفكاهة والنكتة : وهذا عنصر قوي جداً في المسرحية ، وهو يقود معظم الفصول حتى ان بوسعنا ان نقول : ان الفكاهة هي الاساس الاكبر من اسس « نخب العدو » ، وهي فكاهة موفقة أبعد حدود التوفيق ، تطلق النفس من عقال الرصانة ، فاذا هو ضحك شديد بل قهقهة يكاد المرء ينقلب منها على قفاه . ولا ريب في ان سعيد تقي الدين يقف ، في حقل الفكاهة ، في طليعة الكتاب الفكاهيين العرب .

٣ - قوة الحوار : فان ذلك الحديث يدور بين الابطال يقوده تسلسل منطقي رائع ، في جمل مقتضبة قوية لا تدعو الى الملل .

٤ - جمال القصة : هي درامة عنيفة ، وان كانت الكوميديا تطفئ عليها فهي تنتهي بفصل رائع مؤثر جداً يمثل أجلى صور الصفا والغفران والعتو . ويبدو المؤلف عالم نفس دقيقاً ، لان في حواراته تحليلاً عميقاً للشعور الانساني .

وبعد ، فان الرأي الفاصل في هذه المسرحية انها من الروائع
القليلة التي صدرت في البلاد العربية . وكل ما نرجوه ان يقيض لها
فرقة تمثيلية قادرة تخرجها على المسرح اللبناني ، ولا شك في انها
ستكون خير تمثيلية عرضت في لبنان .

*

اما القسم الثاني من الكتاب ، فمجموعة تتألف من احدى عشرة
قصة كلها لبنانية من صميم الجبل ، والحقيقة الواضحة ان ابطالها جميعهم
مهاجرون ، غادروا لبنان الى العالم الجديد او الى الفيليبين ، ثم
عادوا اليه او لم يعودوا . فان فكرة «الهجرة» تطفئ على القصص
وهذا في الحق واقع المؤلف الذي هاجر الى مانيلا ، فهو اذن
يعيش حياته ويقتبس منها ويطابق عليها ، فليس من عجب ان
يوفق في هذه القصص ، لانه يكتب عن واقع حياته وحقيقته .
وبوسعنا ان نقول ان هذه المجموعة القصصية تشكل لوناً جديداً في
الادب اللبناني ، هو أدب المهاجرين الذي يقتصر على المهاجرين .
على ان ابطال هذه القصص جميعهم من هؤلاء الاشخاص الذين
يحبهم كل انسان ويؤثرهم على سواهم ، لان «الطيبة» اساس
حياتهم وعيشتهم واخلاقهم . وكما ان الفكاهة هي العنصر الاساسي
في المسرحية ، فهي كذلك في القصص تلعب دوراً كبيراً . والملاحظ ان
المؤلف ينعم بحس شديد «للا واقعية» ، حس صادق صريح ، لا يحاول
ان يكتمه او يخفيه ، بل يجابه به القارئ بجابه لا يهجم ما عساه
ان يكون وقعها على نفسه . وهذا ظاهر في خاتمة قصة «الثلج
الاسود» التي تكشف لك عن ان البطلة التي اصبحت عاهرة ، انما



هي تلك الفتاة الطاهرة الجميلة التي تفيض نفسها بالبراءة ، والتي كانت تملك نفس البطل بحبها وسذاجتها . وكذلك خاتمة قصة « دون كارلوس » التي تواجهك بحقيقة مؤلمة هي ان اجمل الفتيات قد اصبحت زوج الأم الرجال !

ومن القصص التي تستثير بالغ الاعجاب قصة « حمود » ، فهي مؤثرة ابعد حدود التأثير ، وهي تدل على ذلك العقوق الذي يلاقيه رجل من اهله واراضه وعشيرته ، بعد ان قضى كل حياته يخدم اهله واراضه وعشيرته . ومثل هذا القول يصح في « شيخ القافلة » التي تمتليء بالمفاجآت . والواقع ان عنصر « المفاجأة » قوي لدى المؤلف ، وهذا ما يجعل لقصته قيمة كبيرة . وأنا أوصي القارئ خيراً بقصص « صورة أم فريد » و « الشيخ عجاج » و « التجارة شطارة » . وتمتاز قصة « الثلج الاسود » بروعة السرد المتسلسل واستدعاء الذكريات الاثيرة وان كانت نهايتها لا تنسجم كثيراً مع منطق الحوادث التي تؤلف القصة . واما « حمار الصف » ، فتفتقر الى حرارة وحيوية لم تعوز سائر القصص ، وقد طغى عليها السرد طغياناً غير يسير .

وبالاجمال تمتاز قصة سعيد تقي الدين بقوة الحادثة وجاهاً وبهذه الالتماعات الذهنية الموفقة والبداوات الفكرية التي تنم عن الروح الادبية المستقرة في اعماق المؤلف ، وهي بعد مقتطعة من صميم هذا الجبل اللبناني العريق ، فلئن كان المؤلف يعيش في مانيلا ، ان روحه وحسه وتفكيره معلقة بذروة جبل ، وغنة عصفور ، وحداء راع في وهاد لبنان .

وتسألني عن أسلوب المؤلف ؟ انه أسلوب سهل يسير من غير
 ركافة او ضعف ، بل هو الى الجزالة اميل ، وهو مشرق الديباجة
 متين التركيب . وينعم الاستاذ سعيد بحساسة وصفية ممتازة ، وله
 اوصاف وتعابير تملك النفس بروعتها . من ذلك قوله : « وكنت
 اسمع جدران نفسه تتهدم » تعبيراً عن الحيبة والغم عند صاحبه ،
 وقوله « اقتنلت اثوابهم مع اجسامهم » دليلاً على ضيقها ، وقوله :
 « اميركي يتكلم لغة عربية هي لتكسرهما كأنها لوح زجاج وقعت
 عليه بلاطة » ... الخ (اقرأ المقطع الذي يصف فيه عودة حمود
 الى ارضه ص ٢٨٧)

على انه لا بد لنا من ان نلاحظ ان المؤلف يتبع احبانا في
 تسجيل الحوار طريقة اجنبية ، اذ يبدأ بسرد الجملة المقولة ، ليقطعها
 بعد كلمات بغية ذكر قائلها : - ذهبت اليه عند المساء ، قال حمود ،
 فوجدته نائماً (مثلاً) وهي طريقة عقيمة ، وطريقتنا العربية اجمل
 واسهل . ثم اننا كنا نحب ان يتفادي المؤلف اخطاء نحوية واملائية
 وقع فيها كقوله : « العينان الضحويكتان (ص ٢٥٢) وصحتها
 « الضحويكان » ومثل ذلك قوله « أحب الحياة جموحة » وصحتها :
 جموحاً - صار له في تلك الزاوية اثنتا عشر عاماً (ص ٢٥١) الصحيح
 اثنا - الفلق الذي يحمق باؤلئك الخمسة واربعين تلميذاً (ص ٢٦٧)
 وتصويبها والاربعين - غلام في نحو الثانية عشر من عمره (٢٠٧) الصحيح
 الثانية عشرة - ١٣٥٠٠ دولاراً : دولار - ثائب (ص ٢٨٩)
 وتكتب هكذا ثائب ، وفاجئه (٢٧٩) وتكتب فاجأه الخ ...
 فعسى ان يتدارك المؤلف ذلك في الطبعة القادمة .

اما بعد ، فانا موقن انني لم أف المؤلف الفاضل حقه في هذه
الكلمة ، ولعلني أندرك بعض هذا التقصير حين اسارع الى ارسال
تحية اعجاب عميق ، وتقدير بالغ الى الاديب اللبناني المبدع الاستاذ
سعيد تقى الدين ، نزيل مانيلا عاصمة الفلبين ، وادعوه بل ارجوه ،
ان يثابر على كتابة المسرحية والقصة ، لانه لا ريب علم من
اعلامها ... فهل نسعد بين حين بتمثيلية جديدة لا تقل روعة عن
« نخب العدو » او قصص اخرى تفوق مجموعة « الثلج الاسود »
جمالا وقوة ؟!*

سريال دريس

* جريدة « بيروت » ١٥ تشرين الاول ١٩٤٦

مانبلا ٢١ كانون الاول سنة ١٩٤٦ .

اخي سهيل

اخاطبك باسمك عارياً عن الالقاب، اذ اني شعرت بقربى تربطني
بك بعد قراءة نقدك الرائع في جريدة « بيروت » ، لنخب العدو ،
ولو انه اعطاني لي قبل اليوم ان اطلع على مثل هذا النقد لترددت
في قول « النقد فن زائف ومهنة طفيلية » .

كانت كلمتك مخصصة فطنسة ، واني لم اقرأ في الذي نشر عن
« نخب العدو » ، وفي الكتب الخاصة التي وردتني ، شيئاً يمكن ان
يقاس بعمق تفكيرك . فسلمت بذاك .

كان بحثك بالرواية بحكم ضيق ذنبك العمودين مقتضياً ، ولكنه
كان بحثاً نزيهاً ، يفيض طلاوة ، ويظهر ثقافة واسعة ، يشعر القارئ

منه ان صاحب البحث يتكلم في موضوع يفهمه . اكتب لك بعد منتصف الليل ، وفي رأسي مشاكل عدة ، منها هذه الاربعة الاف سرير التي اشتريتها من مخلفات الجيش ، وحوالة مرفوضة من زبون ، ورجفة سوق الاقمشة بسبب قرب وصول شحنات يابانية . اسرد هذا لاعتذر عن تشويش قد يبدو في هذه الرسالة ، ولكنني اود ان اؤكد لك ان اعجابي بنقدك لم يكن سببه انه طغى المديح عليه ،

وبعد فهل تسمح لي ب Counter - attack

أ - سندش ، وسندش : هذه « تقريرة » على الاستاذ اسعاف النشاشيبي والمدرسة اللغوية البالية التي يمثلها . اراك لم تعترض عليها حين رددتها الى اصل عربي في كتاب موهوم اسمه « الحواشة العزقوية » ولكنك اعترضت على غير كلمات ، لاني لم اردّها الى اصلها العربي . من الذي اعطى الاقدمين امتيازاً حرماناً من اختراع الكلمات ؟ اقول اني استغرب ان ارى رجلاً له ادب سهيل . ادريس ينكر علينا حق خلق كلمة نحتاجها .

اما « عتليت » فهي كلمة انا فخور بها . عندنا رياضة روحية ، رياضة « Athletics » ورياضة او رياضيات « Mathematics » . يلزمنا كلمة ، واعتقد ان صدي كلمة « عتليت » يفي بالحاجة .

« تطربش » لم اخترعها بل دونتها .

« تمجدل » اعتقد انها لن تثبت على الدهر لانها كلمة جبيلية .

« سرغن » قد تموت لانها كلمة يبروتية . « حلقظ »

و « تعذب » لم اوفق بها . واعتقد انه لو ان بين يدي الآن قاموساً

عريباً لكننت أحور هاتين الكلمتين الى لفظتين تستجبان . ولكنه
بازمنا ترجمة Day-dreaming

« السادية » : اعتقد انها اشتقاق موفق ل Sadism

« الغرور » : لقد اصبحت في قولك ان في الفصل الاوتوبيوغرافي
غروراً . اتدري لماذا ؟ لاني كتبت تلك الرواية في اتعس ايامي .
ولقد اثارت الفاقة ، وهيج ازدراء الناس لي كل ما في نفسي من
قوة مقاتلة . كان ذلك الغرور من قبيل تشجيع نفسي والبهورة ،
واصارحك انه لم يستقر الغرور بي الى ثقة بالنفس ، حتى رأيت اجماع
الناس على الاعجاب بالكتاب .

تقدمة الرواية : لم تكن للدكتور نجيب ، بل ان دور
« الدكتور نجيب » قدمته للدكتور المرحوم نجيب الصليبي .

« ولعل المؤلف شاء ألا يرهق القارئ ، في تلمس خصائص ابطاله
الخ... » عدا عن ملاحظتك ، كتب لي اخي بهيج شيئاً في هذا الصدد .
فالذي اود ان اوضحه ، هو ان هذه السيرة كتبت للممثل لا للقارئ .
اردت للممثل ان ينسجم بدوره ويتلاشى به ولم اجسد أيسر من
الوصول الى تلك الغاية ، من ان اسرد للممثل حياة الدور كما تخيلته
وعايشته . اشكرك على اصلاحاتك اللغوية . واعتقد انه من
الضروري ان تدفع مطبعة « الكشاف » غرامة مالية على كل غلطة
نحوية تظهر في كتاب تطبعه .

في السنة القادمة سيظهر لي كتابان احدهما مهزلة في فصل واحد
والثاني مسرحية كبرى . بعد هذا سأنقطع الى الانكايزية .

تأكد اني فرح جداً باني اكتشفتك . تقبل مني شكري الحار
واعجابي الصحيح .

سلمت لاختيك

سعيد تقي الدين

على فوقه : لماذا ابحت لنفسك استعمال « كوميديا » وانكرت
على استعمال « تطربش » ؟

جريدة « بيروت » ١٦ كانون الثاني ١٩٤٦



جَوْل
القِصَّةُ فِي لُبْنَانَ



اخي سهيل !

تفهم من الحكاية التي ارفقها بهذا الكتاب ان « اشواق » لم
تصلني ، وساسرع بابداء رأيي بكتابك ساعة اقرأه .

غير اني أحذرك اني سأكون قاسياً بالنقد لاسباب منها :

١ - انك من الحي المعادي : حي النقدة .

٢ - انك أصبحت لي صديقاً .

٣ - انه ينتظر من الشخص غير العادي ، شيء غير عادي .

ولئن شئت ان تنشر هذه الحكاية ، ففي عنقك جريمة كل غلطة

نحوية ، أو صرفية ، أو املائية . فاني اعترف لك ان الذي اعرفه

عما تفعل - مثلاً - كان واخوانها وصار واخوانها هو من قبيل

الشائعات لا الحقائق .

يدي على قلبي .

سجل لي اني اول من استعمل هذا التعبير ، بدلا من
« السلام » أو « اشواق » .
اخوك

سعيد تقي الدين

حكاية سهيل ادريس كما رواها سعيد تقي الدين لحفيده

كنت في مساء العمر ، في عشية ذلك النهار المزمهر من شتاء
١٩٨٤ ، وقد غطت الثلوج مدينة « صهباء » اللبنانية ، اذ أوقفت
هلعاً من رجة على سطح البيت ، فانتفضت صائحاً « ما هذا ؟ ! » .
أجابني حفيدي ضاحكاً : « أكلما حطت على سطح البيت طائرة
دُعرت ، يا جداه ؟ ! هذا أبي عائد من الاسكا . والان وقد
استفتت ، هلا رويت لي حكاية وعدتني بها هذا الصباح ، حكاية
الرجل الذي حاول القفز من قمة إلى قمة ، حكاية سهيل ادريس ؟
قلت : يا بني ! كان جميلا ذلك العام عام ١٩٤٧ ، وكنت في
الشرق الاقصى آنهياً للرجوع إلى هذه الجنة .

وكان سهيل في لبنان قد بنى مسكناً على ذروة قمة ، وكان الناس
يحملون اليه الجديد من المؤلفات فيجبل في نظره بعضها ويقرأ
البعض الآخر ، ثم يدعوا اليه الجماهير ، فيحدثهم عما قرأ فيمدح هنا
وينتقد هناك ، وهو يقيس بالمترا والذراع ويزن بالرطل والكيلو ،
يتناوب المكرسكوب والتلسكوب الجلوس على ارنبة انفه ، وفي
بعض الاحيان يتفعل فيرمي بالموازين والمقاييس ، والنظارات ،
ويصرخ : « هذا كتاب جميل ! »

- ألم يكن في بعض الاحيان يبصق كما رأيتك تفعل البارحة -

حينما جاءك البريد بنسخة من ...

- لا يا ولدي ! في عام ١٩٤٧ كان اداؤنا يبصقون في مناديلهم
وفي عزلة من الناس . كانوا مهذبين ...

- ومن هم غير المهذبين ؟

- من هو في عمرك أو عمري !

وكان هذا الرجل هنيئاً في عيشه، يرى الناس يشيرون الى
صرحه لئن مروا به ، ويسمع قولهم : « هذا قصر سهيل ادريس
بناه على قمة » النقد » .

وفي ذات يوم ادار نظره فيما حوله، فرأى ذروات غير ذروته،
فتزع ستورته وشمر عن ساعديه ، وأحكم شد حذائه، وقفز الى القمة
المجاورة ، قمة « القصة » .

- وما الذي حدا به الى تلك القفزة ، وقد كان سعيداً
حيث هو ؟

- ان الناس يا بني يقفزون من القمم لاسباب شتى . فالرجل
تواق ابدأ الى ما ليس يملك . أنظر الى أبيك وهو التاجر الماهر
كيف أحمر وجهه كبراً أمس، اذ قال لصديقه ان له منطقاً المحامي،
واسمع رئيس مجلس الشيوخ الاميركي يتباهى بانه أمير الطبّاحين .
من يزدهي بشهادته الجامعية غير الجاهل ؟

- أكان سهيل ادريس دعياً ؟

- لقد قاطعتني قبل أن أوفي على ذكر الاسباب التي تهيب
ببعض الناس للوثوب من القمم . اذ أن بينهم من فقد حاسة التناسب
فيخطئ بتهجين المسافة بين مكانه وبين مطعمه . وآخرون يريدون

الغمار حباً بالغمار . وغيرهم ألف النعمة فتبرم بها . وسواهم يرى في الجبل المقابل حقلاً لمعوله .

فقاطعتني حفيدي ثانية سائلاً :

— قبل ان تهرم ، هل كنت يا جداه حسوداً ؟

— حسوداً ؟ ! ألم أقل لك أن سهيل كان صديقي ؟

— ألم تقل لي ان الحسد يكون على أشده بين الاصدقاء ؟

— ألم أقل لك كذلك ان بين الناس من له جنيسة تحرسه ،

ومن شدت نفسه إلى رفّاص ، ومن جنّح الالهام قديميه ، فمن

السهل عليه الوثوب من قمة إلى قمة ؟

— وهل بلغ صديقك القمة الثانية سالماً ؟

— قلت لك يا ولدي انني كنت أنهيأ لهجر الشرق الاقصى . ولم

نكن في تلك الايام نتبادل الرسائل بالصواريخ كما نفعل اليوم ، بل

كانت الرسائل المستعجلة تزجّ في بطون الطائرة ، وغير

الرسائل المستعجلة ومنها الكتب ، ترسل في البواخر . وقد جاءني

رسالة صاحبي بالطائرة تقول ان مؤلفه « اشواق » في طريقه اليّ ،

فدهشت وبهت ، وذكرت النابغين الذين هلكوا في مثل تلك

الوثبة — اولئك الادباء العالمين الذين طالما ذكرت لك اسماءهم ،

ورحت أخي ، الشموع وأهبط النذور ، واتمت الدعوات . وحقاً لم

يعجبني اسم الكتاب « اشواق » .

— وهل العنوان من الاهمية بحيث يستحق النقد ؟

— العنوان في غاية الاهمية : يجب ان يكون جذاباً غير عادي .

ليته سمى مؤلفه « بحيرة تلتهب » او « فيل في ثقب فارة » او

« طلع الفجر يا طنوس » أو ...

— أو شيئاً جميلاً غير عادي مثل « نخب العدو » أو « الثالج الاسود » أو « لولا المحامي » ...

— صدقت يا ولدي ...

— جدي ... !

— جيبني !

— تصبح على خير !

— ألا تريد أن تسمع قصة سهيل ادريس ؟

— كلما ابتدأت بحكاية تنتهي بالتحدث عن نفسك ، ألا

تضجر من الحديث عن ...

— ابداً . « انا » الدنيا « وانا » الحياة ، ولست انت ولا سهيل

ادريس بالامر الذي آبه له الا بقدر ما أنتم شطر من نفسي .

فاتني أن أخبرك أن هزة جذل ملكتني اذ وافتني رسالته بان

ظهر له مؤلف قصصي . فرح سادي كمن رأى قاضياً طال أمـد

جالوسه في صدر المحكمة ، يقتعد قفص المتهمين . وطربت ان فتي

له دماغ مثقف نير هجر قمة النقد ، ففي الادب النقد يا بني هو

مهنة من ليس له مهنة . ونحن بالانتاج نقنات ونقوى .

ولقد ذكرت لك ان خبر صدور الكتاب جاءني قبل أن

أضع يدي على الكتاب ، فأقف هنا ، وتصبح على خير .

— جدي ! لقد سمعت الدكتور يسر في أذن أبي ان قد تقضي

نحبك في غفوتك . فلئن أتاك حثفك في هذه الليلة فمن يقص علي

بقية الحكاية في الصباح ؟ وكيف أقوى على التثبت من أن وثبة

سهيل ادريس كانت موفقة ؟

قلت : يا بني اقرأ الكتاب .

اجابني حفيدي : اكاد ان اكون امياً ، اذ اني لم انه دراستي
القراءة إلا في الصيف الماضي . فهل في مقدوري ان افهم «اشواق» ؟
— ان لم تفهم « اشواق » فاعلم انه ليس بمجموعة قصصية وان
مؤلفه وقع دون مرماه .

— وكيف ادري انه « كتاب جميل » وانا لا اعرف الوزن لا
بالرطل ولا بالكيلو ، وما ادري الفرق بين المتر والذراع ، وليس
في بيتنا تلسكوب ، ولا مكروسكوب ؟
— انذكر انفعالك لمحّة التفّت اصابك على الضفدع في بركة
الجيران ؟

— نعم .

— وحققك حينما عصاك التقاط الجندب القفاز ؟

— نعم .

— وبكاءك حينما مات كلبك الاسود الكبير ؟

— نعم .

— واهتزازك اذ رقص ضيوفنا على الحان راديو سان فرانسيسكو ؟

— نعم .

— ائن شعرت وانت تقرأ «اشواق» بمثل تلك الرعشات ، فأعلم
ان سهيل ادريس بلغ القمة الثانية سالماً .

وساد سكون بان خلاله « مورفيوس » ، فهدّ انامله الناعمة الى
جفني ، وما ان غفوت حتى افقت مذعوراً للمرة الثانية اسمع صوت

حفيدي قائلاً : « سؤال اخير يا جدي - حينما انرت الشموع ،
وابهظت النذور ، وامتمت الصاوات ، هل فعلت ذلك تمنياً لنجاح
سهيل ادريس ؟ »

فاعةصمت بالشيخير . وذكرت ذلك العام الجميل ١٩٤٧ حين لم
يكن على سطح البيت في لبنان الا المجدلة ، وحين كان الاحفاد
يوقرون اجدادهم ولا يخرجونهم بأسئلة خبيثة .

سهيل تقي الدين

مكتبة جامعة بيروت

جريدة « بيروت — المساء » ٣١ آذار ١٩٤٧

اخى سعيد

تلقيت رسالتك المؤرخة في اول آذار فسمعت بها واغتنبت
سعادتي برسالتك الاولى ، فقد اصبحت من اعز اصدقائي وآثرهم الى
نفسي ، على الرغم من انني لم اعرفك ولم اجتمع بك من قبل ،
ولكن حسبي اني عرفتك في كتابك « نخب العدو » وصادقتك من
رسالتك اليّ .

ولقد ابلغتني في هذه الرسالة ان كتابي « اشواق » لم يصلك
بعد ، وانك ستسارع الى ابداء رأيك فيه ساعة تقرأه ، وستكون
قاسياً في نقده ... ولست اراني في الحق الا شاكرّاً لك هذه الرغبة ،
رغبة القسوة في النقد ... فانا منذ اصدرت كتابي ، متحرّق لأن
أرى من يقسو عليّ في نقده ، فما اجد الا مقرّضين لا ناقدين ، مع
احترامي وتقديري للذين كتبوا عن « اشواق » !

ولكنني - يا سعيد - أراك تستكثر عليّ كتابة القصة، وتخشي علي من قفزة بين قمة وقمة ، كما حدثت حفيدك ذلك النجيب إذ رويت له حكايتي كما فهمتها ... واحسب ان حفيدك هذا سيكون له شأن ، لأنه ذكي وطولامة ... شأنك تماماً ، ولكنني ارجو ان لا يكون في مثل خبتك ! ولكن لعلك تعجلت الامور ، حين قصصت عليه حكاية صاحبنا ... فقد جعلته في حيرة شديدة من امر بطل حكايتك هذا ، وما من شك في انك - انت نفسك - كنت محتاراً في امر هذا الذي لا تعرف عنه الا انه نشر يوماً نقداً قصيراً لكتابك الاخير ... فهل كان ذلك كافياً لان تعرفه حقاً ، معرفة تبرر لك ان تجعله بطلاً لقصة او لحكاية من وضعك ؟

انا اقول انه كان بوسعك ان تترث حتى يملك الكتاب فتقرأه وتعرف بعضاً من شأن صاحبه ، فتروي لحفيدك الذي رواه اقرب الى الصيحة والصق بالواقع .

ولكن صديقك وصديقي الاستاذ محي الدين النصولي صاحب « بيروت » يزعم انك قد تسلمت الكتاب ، وقرأته ، ولم تشأ ان تبدي فيه رأيك الا رموزاً واحاجي ، وانك عمدت الى وضع هذه الحكاية لتسجل بعض خيبة في نفسك ، يمازجها إنكار عليّ ان اتطلع الى ما لست املك ، وأنشد ما ليس في مكتبي ان ابلغه ... ومن جميل الصدف ، ان يوافق الكاتب الساخر الاستاذ المشنوق علي رأي زميله الاستاذ النصولي ... وهذا شيء نادر !

علي اني لم اقتنع بما ذهب اليه الصديقان لاسباب : اولها - ان ليس في رسالتك ما يبرر مثل ذلك ، بل ان

اشاراتك جميعاً تدل على ان الكتاب لم يصلك وانك لم تقرأه ،
فاعتقاد بعضهم بخلاف ذلك تحميل الكلامك اكثر مما يحتمل ...
وثانيها - انك صريح جداً ، ولا سيما مع اصدقائك الذين ليس
عهدك بصداقتهم بعيداً ... امثالي ! فليس ما يمنعك من مهاجمتي ،
لو انك قرأت الكتاب ولم يعجبك .

وثالثها - وهو الاهم ، انك اديب مغرور بادبهِ وقصصهِ ...
وهذا الغرور ينبغي ان يدفعك دفعاً الى مصارحة غيرك من الادباء
- ولا سيما في ميدانك - باخطائهم ونقائصهم ، ارضاء لنزعة غرورك ،
وهذا لم يحدث . غير اني اسارع فاقول : اني لا انكر عليك هذا
الغرور ولا استكثره ، فقد سبق ان اشرت الى ذلك واشدت به ،
فانت لست دعيماً ، لانك تملك ما يدعو الى الفخر والاعتزاز
والادلال ... والى الغرور ايضاً ! ولعل تعجلك بارسال هذه
الرسالة اليّ ، تعبر فيها عن خشيتك من ان اكون وقعت دون
مرمائي ، وقصرت دون مطمحني ، يتصل من قريب او بعيد بهذه
النزعة التي تملأ نفسك .

واذن فانا موقن انك بعثت اليّ برسالتك قبل ان تقرأ كتابي ،
وعلى هذا الاساس ارد ان اذكر لك او - لحفيدك النجيب -
حقائق كان يسعى لمعرفة كل السعي ، فلا يجد ما يرضي به
فضوله ..

لقد ذهب جدك بعيداً - يا بني - حين روى لك ان ذلك
الكاتب قد بنى على ذروة قمة من قمم لبنان مسكناً ، هو قصر
« النقد » ... فان عهده بهذا الميدان قريب جداً ، وهو لم يجمع

بعد من المعدات ، ولم يتوفر له من اللبنيات ، ما يجعله يقتنع بان في وسعه بناء قصر والسكنى فيه ... انها ثلاثة اعوام فحسب ، كان يحاول فيها ان يقرأ في بعض الكتب ، يلتمس المتعة والفائدة ، قبل ان يقصد الى الدرس والنقد والتحليل .. ثم خطر له ان يفيد من هذه المطالعة ، فراح يسجل ملاحظات كانت تخطر له بينما هو يقرأ الكتاب ، وينشرها في مجلة عزيزة على نفسه ، هي مجلة « الاديب » ، ولكن هذه الكلمات — على هامش النقد — لم تكن يوماً ميدانه الاصيل ، ولم يعتبرها احد من قرائه ، وقراء تلك المجلة العزيزة بحال ابداعه ودائرة فنه ... كان صاحبنا جالساً على الجبل الثاني ، ولا أقول « القمة » الثانية ، كما روى لك جدك ... وكان هذا الجبل ، جبل « القصة » بعينه .. فهو منذ ان ولد ، ولد على ذلك السفح ، وكان يصبو ابدأ الى ارتقاء ذلك الجبل .. وقد ظل يجد ويعمل ، ويدرس ويطالع ، ويستجمع اسباب الفن ، ويستثير مشاعر النفس ، حتى اتيج له آخر الامر ان يبلغ مكانا ما من هذا الجبل ، فاصدر كتابه الاول ، بعد ثمانية اعوام انصرف فيها كلها الى هذا اللون من الادب . وظل يتربص ، تملأ الحشية نفسه ان يكون قد زلق او سقط في حفرة ، فتحطم جسمه وتبددت آماله هباء ، وطارت جهوده شعاعاً .

لقد خدع جدك عن نفسه ، حين اراد ان يعتبر صاحبنا ذاك جالساً على قمة « النقد » .. فهو لم يحاول كما ذكرت لك الا محاولة يسيرة في المطالعة وابداء الرأي على هامش النقد .. بيد ان هذه المحاولة نفسها كانت محدودة جداً . فصاحبنا لم يتخذ النقد مهنة ،



وانما كان يتناول الكتاب الذي يمت الى ميدانه ، ميدان القصة ، فيطالعه ليستفيد ويستزيد ، غير ان ذلك لم يكن يمنعه من ابداء الملاحظات ، فهو اذن لم يخرج من ميدانه .. انها القصة التي تهمة وتغنيه .. وُخدع جدك مرة ثانية عن نفسه ، حين تعجب ودعش لدن بلغه نبأ ذلك الكتاب .. فلو كان معنيا بادب بلاده ، ولو كان متبعاً لانتاج كتابه وادبائه ، ما فاته ان يلاحظ ان صاحبنا هذا كان من اكثر الكتاب القصصيين انتاجاً في فترة الحرب الاخيرة ، بصرف النظر عن قيمة هذا النتاج .. واذن فان جدك ، كان مقصراً في رسالته كاديب .. ولو أن صاحبنا لم يكن معتقداً أنه يفهم القصة ويتذوقها ، ما جرؤ على ان ينقد كتاب جدك « نخب العدو » الذي ضمنه أفايص جميلة تبلغ حد الروعة أحياناً ..

وبعد ، فهذه حقيقة أحببت أن أوضحها لك ايها الحفيد اليقظ ، وأحب أنك ستأخذها أو يأخذها جدك بعين الاعتبار ساعة يصدر حكمه على باكورتى المتواضعة ، وارجوك ان تثق بان اهتمامي لحكم جدك وتلفي لمعرفة رأيه يفوقان اهتمامك وتلفك ، لان جدك أديب قبل كل شيء ، ولانه سيكون صريحاً بل قاسياً كما قال ، ولانه ليس حسوداً ، ولو انه صديق ، إذ انك رأيت غير مرة ينير الشموع ، ويبهظ النذور ويتم الصلوات . وما احسبها الادعوات لي ، لا علي .. بقي أن أدعوك إلى العناية بجدك واحاطته بجميع ضروب الاهتمام والرعاية ، فهو يملك ثروة كبيرة .. ولست أفصد الثروة التي تقدر بالمال والدرهم ، وانما الثروة الادبية .. ومهما يكن من امر ، فارجو الاتليمه أشغاله

المادية ، عن أشغاله الادبية ، وعليك انت أن تحته دائماً على
الانتاج والكتابة فوجدك سعيد تقي الدين أديب بالدم والروح ...
وانا بعد منتظر رسالته في نقد الكتاب فعسى الا يطول
الانتظار . *

سرييل الربيعي

* جريدة « بيروت المساء » ٣١ آذار سنة ١٩٤٧

جول
کتاب «اشواق»
المجلد

مرحباً سهيل !

هل سمعت بـ « حمى الذهب » ؟ تلك التي تلهب وعي المصاب بها ، فيجازف بما فوقه وتحتته مطالباً المعدن الاصفر ؟
فشت تلك الحمى في « مانيسلا » عام ١٩٣٦ ، وكنت انا من صرعاها . واقد صحبت مهندساً امير كياً في رحلة الى الغابات نفتش عن الذهب ، فكان المهندس يكسر الصخر بمعوله الصلب الصغير ، ويصوّب بجهره على الشظايا فيحدّق بها ، ثم يهز رأسه ويمشي . ومرة اذ كنا نأكل على ضفاف غدير ، قفز المهندس وانتشل حصاة من الماء ، وصوّب بجهره اليها ، وراح يضرب بذراعيه على جانبيه فرحاً ويصيح كأنه ديك يصفق بجناحيه :

- انظر ان هذه الحصاة تحمل ذهباً . لئن كان الذهب في الغدير فالذهب في الجبل . هذه الحصاة لم تمطرها السماء ، ولكنها انشطرت عن صخور بالذهب حبلى . قد تكون صخور التبر على بعد شبر منا ،



وقد تكون على بعد الف ميل . ولكن الذهب موجود بلا ريب .
علينا ان نتهدي اليه .

في كتابك « اشواق » لم ألق منجم ذهب ولا عروق تبر ،
ولكنني وجدت الكثير - اقول الكثير - من الحصى حوامل
الذهب . فهل تهدي الى المنجم في غدك ؟ او بعد عشرة اعوام ؟
لا ادري ! هذا سؤال لن يجيبه سواك .

ان غايتي في هذه الرسالة ان ادلك على اقصر طريق بين الحصى
والمنجم . ولئن كان قد ساءك من الكتاب عدم رواج ، او فتور
من النقد النيرين المخلصين ، فليس لانك عديم الغنى ، بل لان هذه
الحصى حوامل الذهب ، لا يراها الا المهندسون .

واني الان وقد استلكت « اشواق » من « ترمين » بضعة شهر ،
أسفغ به مني حين قرأته لأول مرة . وهذا اصل دليل على
جودة عناصره .

ما هي القصة ؟

القصة كما افهمها ، هي حادثة غير عادية محتملة الوقوع ، تسرد
باسلوب جذاب سهل ، وتنتهي بمفاجأة حلوة معقولة . لئن وجدت
هذا الوصف في كتاب ما ، فلك ان تصدقني انه من قبيل توارد
الحواطر ، ولك ان تسيء الظن . بالطبع في وسعك ان تأتي بـ ٤٦٢
وصفاً آخر . لن اجادلك ولن اقاتلك ، ولئن سحبت عليّ مسدسك .
فانا منهزم . هكذا افهم القصة . ولك ان تفهمها كما تريد . واني
أرى قصصك في « اشواق » اكثرها حوادث غير عادية ، ولكنها

غير محتملة الوقوع . خذ مثلين : فتاة تقفني كلباً تدله ، ان تنهال عليه
بهرارة غليظة كما فعلت فتاتك في « هي و كلبها » . ومثل تلك الفتاة
لم يكن في تناولها هراوات ... كذلك لا افهم لماذا رمت فتاة
« بوارج » بنفسها منتحرة في « راحة الضمير » .

اقرأ في صحف بيروت انكم اقمتم للشيخ ابراهيم اليازجي حفلة .
اني اخال اليازجي يحوم طيفه فوق المحتفلين به ويقهقه هازئاً « لماذا
هذه الحفلة ؟ » ان النثر العربي اليوم - هذه السنة - في أوجه .
ان ايأً ممن ينشر المقالات في « الاديب » او « الصياد » لحو اغنى
واصفى في نثره من اليازجيين ، وانت يا سهيل ادريس ، جزل ،
جميل العبارات ، مليونار الفاظ ، ولكنك كأكثر كتبتنا ، ففرك في
غناك . اذ ان هذه الثياب الانيقة من الفاظ وتعباير وعبارات
تصرفك عن ترويض جسدك فتكتفي بجمال ما يعلوه من ثياب ولا
تطلب في الجسم صلابة عضلات .

خذ هذا الازدواج المعيب الذي يكاد لا يتفقت منه اي من
كتابنا . اني انقل اليك بعضاً من عباراتك المزدوجة فيما انا اقلب
صفحات كتابك : « خوالج النفس ، ورغائب الروح » (ص ٨) .
اطفئت عيناه فهو لا يبصر (ص ١٠) . اذا اطفئت عيناه فهو طبعاً
لا يبصر !- « ... سرّاً يستكن بين جنبي هذا الشاب ، وينطوي في
جانحيه »- « فرق وفزع » (ص ٩٩)- « مطمئنة اليه كل الاطمئنان
سعيدة به غاية السعادة » (ص ١٦)- « من حب وود وسرور ورضى »
(ص ٤٥)- « شذى وعطراً » (ص ٢٥) رويدك ! اراك انفعلت .
تريد ان تقول لي انك لست من عبيد التقاليد . وان الازدواج لا

يركب قلمك . تريد ان تشرح لي الفرق بين «الاطمئنان والسعادة» و «الحب والود» ؟ قبل ان تفعل ذلك، هلا افهمتني الفرق بين ان يصمت وان يسكت ؟ (ص ٥٦) . غريب ان لم يقيم قبل اليوم ناقد - فيما اعلم - ينادي بنا ان اقتصدوا بالكلمات واقتطعوا هذه العبارة الثانية التي هي في نثرنا في معظم الاحيان ترديد للعبارة الاولى يستغنى عنه ، هي صدى السجع الذي مرض به الادب العربي في اسقم ايامه . (كان في وسعي ان ازواجها : « وبلي به في زمن نحوله) .

وفضلاً عن الازدواج ، فاني اراك تؤمن بان اي كلمة غير مألوفة هي كلمة حبيبة . لماذا « تصرمت » ايام ؟ (٢٧) اي اجمال : « تصرمت » او « مضت » و « ولت » او « فأتت » و « انقضت » ؟ ثم لماذا « زجيت » لدى صديقك في كيفون تسعة ايام ؟ لماذا « زجيت » لماذا ؟ ما عيب « قضيت » او « صرفت » او « انفقت » او « لبثت » او « مكثت » ؟ ما عيب هذه الالفاظ غير ان الناس كلهم يفهمونها واننا ربينا على خطأ ان البلاغة هي في كتابة ما يصعب فهمه ؟ ولماذا تحدث الامور في كتابك في « ذات اصيل » و « راد الضحى » ؟ ومن هي هذه الفتاة البيروتية التي تريد ان تتعلم الكمان ثم هي لا تزال « تتعثر باذيالها » (ص ٩) ؟ اذا كان في بيروت مثل هذه الفتاة، ارسل لي عنوانها فاني اريد ان اتبرك بتلك الاذيال ...! ثم قل لي أحقاً حينما صيفت في بوارج كنت تطالع « اذا شرعت طيور الدوح تصدح » ؟ على علمي ان كل الطيور الصداحة في لبنان هجرت الدوح وعشعت في قصائد بشارة الخوري ...!

تراك ذكرت اني وعدتك بنقد قاس ؟ ربما . وقد تكون انت
القاسي على نفسك ، لانك بين فتى « يصمت ويسكت » و « ايام »
« زجيتها » وامور تحدث في « ذات اصيل » وفي « راد الضمى »
وبيروتية « تتعثر باذيالها » ومطالعة « اذا شرعت طيور الدوح
تصدح » - قد خلقت جواً مصطنعاً يوهم القاريء لاول وهلة ان
ليس هنالك من قصص ولا مواهب ، بل ان احد غلمان المنفلوطي
يغامر بنشر كتاب ...!

ولئن آلمتك هذه العبارة ، فليفرحك ان تنظر الى نفسك في
اللاحظات التي اعتقت بها قلمك من المبودية اللفظية . ما اجمل اللذة
الكبرى « وشمرت بلذة تقطر من اسناني » (ص ٧١) يا جميل ! هذا
أدب ! وما ابداع وصفك للفتى « ظفر بفتاة وهي خجلة مستسلمة ،
وحين استقر بها المقام نظر اليها وفي عينيه بريق النصر ، وعلى
شفثيه بسمه متكبرة ، واذا هي تفضي وتصرف نظرها عنه » . وحين
علوت بقارئك الى الاثير في « سراب . سراب » لقد بلغت الابداع
بامر بسيط - اعادة لفظة عذبة (ص ١٢) . وهات لي كائناً اسكر
منها وصب لي فيها « ليس يهمني ان تحدثني عنك ، فانا اراك بلء
عيني » .

ولكني ارى اني لم أدلك بعد على الطريق المختصرة ، ولاشرت
الى الحصى حوامل الذهب . فلنبداً إذن الامور من اولها !

عنوان القصة

عنوان القصة ، يجب ان يكون ، عدا عن جماله ، لغزاً . لم



تكن موفقاً في عناوين قصصك . لقد دنوت بـ « صراع » من النجاح . ولعل الحيلة في العنوان كانت على اوضحها بـ « تذكار ثورة » . وهذه القصة هي اقرب الى « مقالة » منها الى قصة . لقد سميتها « تذكار ثورة » ثم اظهرت العكاز تحت إبط الفتى . ومن غير ان تمنح الايام قارئك بشهادة جامعية من اكسفورد ، او بوجود عليه كرم الدهر بان يولد في « بعقلين » ، يفهم من غير ان يقرأ الحكاية ان القصة هي حكاية فتى جرح في ثورة او كسرت رجله . حذار حذار ان يفضح عنوانك قصتك !

لقد كان أبوك سليمي الذوق اذ دعواك « سهيل » ، وان جدك الاعلى كان موسيقياً حين اختار « ادريس » له اسماً . ان لك اسماً موسيقياً فحسد عليه . فلتكن عناوينك الغازاً موسيقية . انني أسأل نفسي أكان جبران خليل جبران اصاب هذه الشهرة لو ان اسمه « قزحيا مطانيوس بو غنطوس ؟ »

العبارة الاولى : اول عشرين كلمة من اي خطاب او مقالة يجب أن تكون جذابة تلتصق بعيني القارئ ، بالكلمات فلا تستطيعان الزيفان عن الصفحة . لو ان نثر طهر من منغلوطيته لكان في هذه « الطلعات » نجاح عظيم . ان ابتداء تلك جملة قوية فيها نفَس الاديب الموهوب .

الموضوع

تلاحظ ان من يحاول تعلم سواقة الاوتوموبيل ، لا يبدأ بالزوارب . كذلك ترى ان البادئين من القصاصين يكثر من

أحاديث الغرام ، والموت ، والانتحار . الحياة فيها غرام وموت
وانتجار . ولكن اساطين الفن لا يطلبون المواضيع في الطريق
العريضة الكبرى . وهم اثنان عاجلوا هذه المعضلات الاولى ، جعلوا
لقصصهم « لفتات » غير مألوفة .

ان قصص « أشواق » هي من صالون الحياة ، لا من زوايا
غرفها .

العبارة الاخيرة في القصة يجب ان تكون قنبلة ذرية تنفجر
بين عيني القارئ . جملة قصيرة حبّلتها كلها ديناميت . لو ان احداً قرأ
عليّ عباراتك الاخيرة في قصص « أشواق » من غير أن يتلو القصص
لقلت ان مؤلفها قصاص عالمي . ان معظم حوامل الذهب وجدت
في نهايات حكاياتك .

الصنعة

ليس في الدنيا من ليس عنده قصة . قليل من يعرف كيف
يروها . خذ أي اثنين يخبرانك حكاية ما . تفهقه للواحد ، وتتشاءب
للاخر ، والحكاية هي هي .

انت تعلم ان التاريخ ذكر العظام من جنود يلهمون رسم
خطط المعارك ، وآخرون تقصر مقدوراتهم على تنفيذ الخط . اما
الجندي الخالد هو من يبدع في رسم الخطه ويحقق تنفيذها .
وفي القصة يعوز الراوي اما سليقة العبقرية ، أو ميكانيكية
صناعة الدارس . واني لاظلمك ان قلت انك عديم السليقة . اما
الصناعة فلقد فشت عنها في كتابك فلم أجدها ولم أجدها من أثر .

هاك مثلاً في « نداء الاعماق » : حينما وضعت اصبعك مشيراً الى
الموجة ثم اعدت الاشارة الى الموجة - حينما فعلت ذلك فضعت نهاية
القصة . ان أي قارئ يدرك من توجيهك الاشعة على الموجة ان
القصة ستنتهي بانتحار ، ومتى فهم القارئ . نهاية الحكاية ، فلم يعد
هناك من حكاية .

لقد صدقت حين أتهمني باني أجهل محاصيل الادب العربي في
هذين العقدین . لذلك لا أعرف أي مكان يشغله « سليم بطي » في
هياكلكم الادبية . فلقد جاءني مجلة « الاديب » بعدد منذ شهر
فيه قصة بقلم « سليم بطي » . العدد ليس بين يدي ، واني لا أذكر
عنوان القصة ولكني أقول لك أنه يكفيني أن أقرأ هذه القصة
الواحدة لاحكم ان سليم بطي قصاص . ان تلك القصة هي في مستوى
ما ينشر في (Saturday Evening Post) والتي يقبض مؤلفوها
عليها ٦٠٠ الى ١٥٠٠ دولار . انما صاحبنا تعوزه الصناعة . إذ أنه
وقع في مثل الفخ الذي وقعت فيه أنت . كان في قصته قناة ماء
فسلط عليها كل الانوار الكهربائية وهكذا فضح قصته فقتلها .

ان لبطي جرأة المتجدد ، أو ثقة نفس المقتدر . إذ أنه سرد
حكايته بلغة سهلة التركيب وكلام مألوف . ولروايته انسياب النهر
السائل بهدوء - ذلك الانسياب الذي يجب أن يلزم سرد القصة .
ألعن ما يركب القصص هو « التدحرج » . وما دمنا نتحدث عن
قصته ، فخذ نهايتها الجميلة إذ تلتف أصابع ذلك المقعد أو الاعمى على
عنق النذل فتدقها . نهاية جميلة غير منتظرة . هكذا ينهي القصاصون
الحاذقون حكاياتهم . القصاصون الحاذقون . أما « براهيم »

القصاصين فيجملون لها نهاية تنهض بتلك القصة من الجميل العادي إلى الابداع العبقري ، وهم في ذلك لا يشردون عن وقائع الحياة أو حقائق العلم . ذلك المقعد بين يدي قصاص عبقري ، كان مشي ، ولو لم أخف التطويل لاتيكت بشواهد من الحياة ، واستشهادات من البسيكولوجيا أنه في الازمات الكبرى تحدث العجائب .

الصناعة هي أن تمشي بقرائك إلى جهة محاولة يعتقدون أنها مثلاً ، طرابلس ، وحينما تقف بهم في النهاية - تلك الوقفة الجالحة ، يتلفتون فإذا هم في دمشق . فيبتهجون ويقولون : حقاً لقد كنا في طربقنا إلى دمشق . كيف لم نفقه هذا ؟ ما أسعدنا أن وصلنا إلى دمشق !

الصناعة هي أن تدس الحادثة التي تريد ان تستغلها بين كثير من الحوادث بحيث ترسخ في عقل القاري، الباطن ، من غير أن ينتبه اليها . ولكنك حين ترجع الى استثمار تلك الحادثة أو الصورة أو العبارة ، تقفز تلك الحادثة أو الصورة أو العبارة من العقل الباطني وتنسجم بما تريد ان تستغله .

حتى تقوى على « الدس » المنسجم في حادثة القصة ، يعوزك خفة أيدي نشالي مرسيليا ، وذراية بياعي الكرت بوسنالي في بورت سعيد ، ووداعة المرشحين قبيل الانتخاب ، ومراوغة الف ثعلب .

التفاصيل في القصة

ومن عناصر الصنعة انتباهك إلى التفاصيل . ذلك الاستاذ لم يحمي تلميذته بـ « بونسوار أيتها الآنسة » . لقد قال لها إما « بونسوار

مده و زال « أو « مساء الخير ايها الآنسة ». أحقاً أن القرويات في
 الجبل اليوم يبادئون المصيفين الترحيب ؟ وتلك الام - هل جادت
 بتلك العبارة الخالدة عن الموجة على فراش الموت ؟ ابتعد عن مثل
 هذه السذاجات . إن الناس لا يفوهون بالعبارات الخالدة على
 فراش الموت . خذ « مهاتما غاندي » و « جلال زريق » ، انهما يفوهان
 بالعبارات الخالدة ، وبأتيهما الوحي - في بيت الحلاء . ان لم تصدق
 فاقرا سيرة المهاتما وأسأل جلال . هو منك على ضربة حجر . اني
 أعلم علم اليقين عن احد رجالات لبنان في العهد الماضي ، رجل ملأ
 صوره واحاديثه الصحف والمنازل . أتدري ما كانت كلماته الاخيرة
 على فراش الموت ؟ - « آخ على صحن مهلبية » ! ...

ومن عناصر الصنعة ايضاً ان تخلق في القصة جوّاً حقيقياً .
 ذلك المعلم في « ظامئات » وصفته بانه « فارع » ، ولقد استعملت
 كلمة « فارع » لانها كلمة غير مألوفة ، ولانها مثل « ساهم » هي
 موضوعة كتابية في هذه الايام . لو كنت طليقاً من رق الالفاظ ،
 لانتبهت فيك سليقة القصاص ، ونظرت الى ما وراء المعلم في
 « ظامئات » فبصرت باللوح الاسود ، وقلت ان انف المعلم يعلو حافة
 اللوح العليا .

هكذا تضع قارئك في تلك الغرفة . اذاً فحينما تؤلف حكاية عن
 بقال كبير الانف - فمنخاره اكبر من اي من خياراته ، او سائق
 سيارة تزق الاطباع فاخلاقه مثل زمارته ، لا يأتي منها إلا الصباح ،
 او أردت ان تصف فتاة تذرع المروج في شهر ايار فقل ان
 الاعشاب كانت في علو ركبته . هكذا تغمر قارئك بواقعية

الحوادث وترجيه في جغرافية حكاياتك ، فينسى نفسه ويروح يصدق
ما أنت له راوٍ .

قصة المرأة

ان اجمل قصة قرأتها حتى اليوم هي « المرأة » . خلاصتها ان
فتاة تزوجت عشيقها وكانا في فقر ، غير انها سعيدان . كانت الفتاة
فتانة الجمال ، وكان زوجها يرغب في ارضاها . وبعد شقاء سنوات ،
ادخرا شيئاً من المال . فاراد الزوج ان يهبط لندن من كوخهما في
الريف ، فسأل زوجته اي حاجة تريد ان يهديها . اجابت « امرأة » .
ورجع الزوج من لندن فرحاً بمرأة كبيرة وضعها في اعلى درج
البيت . فلما تطلعت بها الزوجة تحققت لأول مرة ان جهاد السنين
صير منها عجوزاً شمطاء .

لو ان هذا المؤلف سمى قصته « المرأة العادرة » لكان فضح
القصة ، فقتلها . ولو ان رشيد شقير نقدها لقال ان فيها « حشواً
وانساباً » اذ ان المؤلف مهّد لهذه الحادثة الضئيلة ببضع صفحات .
في هذه القصة ارى رشاقة الدس او « الزرع » في اعلى ذراها . اذا
لم تكن قرأتها بعد فاقرأها .

امومة

بين يديك يا سهيل شيء من مثل مواد « المرأة » . خذ قصتك
« امومة » . خلاصتها ان امّاً تكلت وحيدها مرتين . شيء بديع .
شيء جميل مبتكر . هذه حجارة يبني منها ناطحة سحاب ، واراك

قد عمرت منها كوخاً متصدع الحيطان . هذه التيم (تعريب Theme) بين يدي ماهر الصنعة يحوك منها قصة عالمية . لو انك مهدت لها بحوادث معقولة مثل : ان يسمع الفتى جارته الشكلى تنوح ، فيشير نواحيها حينئذ الى امه ، ومثل : ان ترى الارملة الفتى ثم تحلم تلك الليلة بابنها ، ولكن بابنها لابساً وجه جارها : شيء معقول . فالعلم يثبت ان الصوت يوقظ الذكريات (ولكن الرائحة افضل بايقاظ الذكريات ، اذاً فلينشئ رائحة المطر من جارته الشكلى او رائحة طبخة كانت امه تجيد صنعها او ... اي شيء يسوق الى النهاية) . اما الام التي فقدت وحيدها مرتين فهي ، على ما يظهر من بيئتها ، امرأة جاهلة تؤمن بالاحلام . ومن الطبيعي انها في مصيبتها كثيرة الاحلام ... شيء من هذا .

قصة « هي وكلبها »

اسمع في « اشواق ، هدير ارض باطنياً ، فانتطلع فلا ارى حمماً ولا دخاناً . » هي وكلبها ، طيبة الصلصال ، قبيحة التمثال . لو ان الفتاة احبت من الفتى عنصرية جسمه ومظاهر الاقدام فيه ، وفيما هو يقبلها القبله الاولى فاجأهما الكلب بنباحه ، فدعر العاشق وهرب والكلب راكض في اثره ، والحبيبة تقهقه ، وهكذا انتهى الغرام ، لكان في مثل هذا « قصة » . اولاً : الحب في نظر السذج هو حب . اما في نظر براهمة الادب فهو الف نوع . اذاً فانت حين تقول انها اغوتها في فتاها مظاهر العنصرية ، دخلت في صفوف البراهمة . ثم انه من الطبيعي ان ينبج الكلب اذا رأى صاحبه في ذراعي رجل .

ومن الحقائق العلمية ان الخائف تنبعث منه رائحة كريهة لا تشمها غير الكلاب . وان الكلاب تتقزز نفسها اذ تمشق هذه الرائحة فيشتد نباحها وتهيج . هكذا يمشي في قصتك (١) حادثة فكهة قوية (٢) فضح الذين لهم مظاهر الرجولة ولكن فيهم قلوب الارانب - جورج برناردشو الف كتاباً طويلاً عربياً يثبت ان الملائكة المحترق هو جبان - (٣) الهزء من الفتيات المغفلات اللواتي يولع غرامهن بوهن وينطفيء بمحادثة تافهة - (٤) ان الكلب ، صديق الانسان الاوفى ، في غيرته على صاحبه ، كشف لها مزيف المظاهر التي اغيتها .

واني اشجعك على كتابة القصة الحيوانية اذ ان الحيوان يلعب دوراً مهماً في حياة الانسان . كذلك في هذا اللون من الادب فائدة اجتماعية . لكننا شعباً أقل فظاظه ولكن احتكامنا الى المسدسات أقل ، لو اننا ندلل الكلاب بدلا من ان نرميها بالحجارة . ولا تنس أن من أجل ميراثنا الادبي ما قاله الاولون في حيوانين - الجمل والحصان - . هي وكلبها ، تقدران تدور بها عشرين دورة وتجعل منها عشرين قصة . ان هذا ما يثير حنقي عليك . اجبل نظري في بضائعك فارى فيها الكثير من الجيد النادر ، ثم اطلع في حانوتك فاذا الملفوف فوق أبواب الحرير ، وقشر البطيخ في جوار كلسات النيلون (عفوك عن هذا الازدواج) !

القصة والموسيقى

ليس من فنين تشابها مثل القصة و « الصوفاتة » . استمع



لصونانة من بهوفن - تشعر ان النقرات الاولى توقظك في رفق
أو عنف ، ثم تهزك وتتماوج بك (حشو واسهاب في نظر رشيد
شقيز) ثم تندفع بك في صخب ولج ، ثم تهتز في وقفة جاحجة . هذه
هي القصة التي يربط أولها بآخرها خيط هيوولي ارق من غزل
بشاره الحوري .

مستقبل القصة العربية

إني متفائل بالمساهمة التي سيقدمها كتبة العرب في أدب « القصة »
العالمي لسببين ، أولهما اننا قوم ملهمون كسالى . والقصة ، على
عكس الدراما والنوفل ، تحتاج الى جهد قليل . والالهام ملازم
للإبداع ولنا من الالهام حظنا . ولكن حذار ان يحاول الواحد
منا قطع « المائش » قبل أن يصبح في مقدوره أن يطفو في
البركة !

أما السبب الثاني الذي يهيب بي أن انقاع في مستقبل القصة
العربية ، فهو ان العرب منتشرون في بقاع متراامية الاطراف
تكاد كل بقعة منها ان تكون دنيا ليس بينها وبين الثانية شبه -
« البسطة » « دير مشموشة » « خيام الرولة » « عزب دمنهور »
« السويدا » « حي السراسقة » - الله الله ! كيف لا تشبهه
الواحدة الثانية !

ومن كنوز هذه الدنيوات ستغتني اللغة العربية وتغني الادب
العالمي . هذا اذا استوحى الكتبة الحياة لا الكتب فحسب . وأن
هم لم يشرعوا اقلامهم ولم يمدوا طاولات الكتابة في صالون اموات

مصطفى لطفي المنفلوطي .

التضخم الاطرائي

ان اكبر نكبة على اقتصاديات اي بلاد ، هي التضخم المالي ، وفي معتقدي ان اعظم مصيبة على الادب العربي اليوم هي «التضخم الاطرائي» ، ولا ادري ان كان اعجبك هذا النقد لكتابك ولكني واثق ان ما فيه من مديح دفعته لك دولارات اميركية ، وذهبيات « ام حصان » ، وعندي انك اغني بهذه العملة منك بملايين الدولارات الصينية . يهمني جداً ان تحبني ولكن يهمني اكثر ان تحترمني ، واني لاؤثر أن أهمزك الى العمل بكلمات مؤلمة من أن اقتلك رويداً رويداً بشيء تستلذه أنت وأستلذه انا ويستلذه الناس اجمعين : هو مورفين المديح .

اخرج الى الحياة

اخرج الى الحياة وعبّ منها . ان ابراهيم حيدر ما كان جاد على العربية بتلك العبارة الخالدة «الوزارة نائمة على الثقة» لو لم يكن مارس من الحياة ناحية لعبة البوكر . نوّع حياتك . انت مسلم تصلي في الجامع كل يوم جمعة . عال ! رح الاحد القادم الى الكنيسة واحضر القداس وانشق عبير مبخرة الكاهن ، واصغ الى الترتيل في اللاتينية . ان نجويد القرآن وأذان المؤذن يغسلان الروح ، رح اختبر ما يفعله لروحك بنحور الكنيسة . كيف تأتي الى المكتب ؟ ماشياً ؟ تعلق بالترامواي مرة بعد مرة ، واركب التاكسي في بعض الاحيان !

تعلم الرقص ! غنّ المرسلiaz ! اركب على حمار ! تبادل الشتائم مع
طنبرجي ! رشح نفسك للنياابة ! ادخل في الكتائب ! انضم الى
النجادة !

انسحب من الكتائب ! استعف من النجادة ! افتح دكان
بوطة في البادية ! هرب اسلحة ! تاجر بالحشيش ! تضارب مع عبد
الستار الطرابلسي ! ترحم على الانتداب بقصيدة ! ادرس اللغة
السنسكريتية ! تزوج ! ابق اعزب ! ادخل في الاطفائية ! احرق
اثاث البيت ! فامر في سباق الخيل ! ستم جيرانك ! انتحر ! اسهر
الليل كله ! نم النهار كله ! اقفز من النافذة ! امش حافياً ! امش
عارياً ! الف كتاباً ! لا تؤلف كتاباً ! احمل السلم بالطول ! احمل
السلم بالعرض ! تبرع بدمك لمريض ! الق قبلة على مستشفى !

هذه هي الحياة فعبّ منها . انما امرأ واحداً ارجوك ان لا
تفعل - وهي ان لا تسأل ايأ من الناس رأيه في كتابك . استشر
ما تشاء ومن تشاء قبل ان ينشر الكتاب ، اما متى ظهر فافعل ما
يفعله القبضاي بمسدسه - لوّح به في الفضاء وصح : « الكل
بيخدموك » .

وان في كتابك الكثير من الفضائل السلبية . مثل انك لم
تحاول اغتصاب النكتة . فان الكثيرين من اداثنا اليوم يتوهمون
انهم متى ذكروا اصطلاحات عامية ، او وضعوا بعض كلمات بين
أهله ، او رووا نكتة ضحك لها من قبلنا جدنا آدم ، صاروا كتبة
فكهن .

واني من المؤمنين ان الفن يعلو ولا يعلى عليه . ولو اني ايقنت

انك مجلّ في ميدان التبدّل والتّهتك ، لما سألتك ان ترعوي عنه .
ولكن هذا الميدان ليس ميدانك . انظر الى عبارتك العجواء ولقد
اروجعتني ... يا حسني ... حسبتك لا تزال مبتدئاً ... انت حقاً
قوي ! ، انظر الى تلك العبارة ثم لننس انها كتبت ...!

تصميم القصة

اخالك لا تضع تصميماً لقصصك ؟ هذا غلط ، وهو غلط خطر
على كاتب مثلك موفور الالفاظ . ضع لقصتك تصميماً كما يفعل
المهندس بخريطة البناية قبل ان يباشر البناء . بالطبع حينما تجلس
لتكتب ، ستشرد عن الخارطة قليلاً ولكن التصميم ضروري . اياك
ان تستشير صديقاً يشتغل بالادب ، قبل ان تشرع بالكتابة . إذ
انه اما صديق صديق لا يرى المعايير ، او مختل يهدم معنوياتك .
حينما تضع التصميم للقصة وتسمي واضحة في مخيلتك ، ارويها لاجنبية
أو اجنبي يجهل العربية ، وقل له او لها انها قصة قرأتها الليلة البارحة .
لا تنتظر منه او منها ابداء الرأي . ان لم يثب او تثب بعبارات
الاعجاب ، فالقصة فاشلة . وان لم يكن لك من الاجانب صديق
فاروها لاميّ وتبصّر بانفعالاته .

الى نادي البراهمة

امامك ، قبل ان تبيضّ لحينك ايام كثيرة وانتصارات كثيرة ،
واني لوائق انك نام الى مبتغاك ، وانك واجد منجمك ، وانك في
محاولتك القادمة ، ستأبط كتابك المقبل جواز دخول الى ذلك

القصر القائم بين الغيوم ، ووثيقة عضوية في ذلك النادي « نادي
البراهمة » ، واذ تقبل عليه لا يفتنّ عزمك عظم ابراج القصر ، فلن
تكون هناك غريباً ، إذ سيخف الى لقائك فرحاً بقدمك ، ذلك
المزدهي باوسمته ، الرافل بطيلسانه ، من قامته تقزّم ابراج « نادي
البراهمة » ، ومن يطفح بالخيلاء اناه حياته : اخوك

سعيد نقبي الربيع

ملاحظة : سجل لي هذا التعبير الجديد « براهمة الادب »
(جريدة « بيروت المساء » ١١ آب ١٩٤٧)

- ٢ -

مرحب سعيد !

ألا تشعر أننا نكاد نضايق قراء « بيروت المساء » ؟ انت
تحدث عني وعن كتابي ، وأنا أتحدث عنك واردّ عليك ؟ ... مهما
يكن من أمر ، فالخطأ - ان كان هناك خطأ - يقع على صديقنا
الاستاذ المشنوق ، فهو الذي فتح لنا الباب ، وأحسب انه لن
يغلقه هو نفسه ، وانما سيدعنا نتناقش ونتساجل ، وقد نذهب
إلى أبعد من ذلك ، إلى أن يغلقه أحد منا أو كلانا ... والضحية
دائماً هو القارئ !

واياً ما كان ، فقد كشفت الاستاذ المشنوق برغبتي في أن
أكتب - أنا نفسي - نقداً لكتابي « اشواق » ، بعد أن يئست
من النقاد ، ولم أقع على من يشفي غليلي ، وان كان معظم الذين

- ٢٧٠ -



تناولوه أنثوا عليه الثناء المستطاب ... أجل هممت بقراءة كتابي
 نافداً ، محاولاً جهدي أن أتجرد عن نفسي ، واعتبرني اجنبياً عن
 صاحبه ، فاتتني رسالتك الممتعة البارة ... ولست أقول إنها
 صرفتني تماماً عما كنت أهم به ، ولكنها برّدت ظمائي ، وهذأت
 همي ، يرادني منذ خرج الكتاب إلى السوق ... وأما ذلك النقد
 الطويل الذي كتبته بعد أن أخرجت القصص من التعتيق وقرأتها
 ثانية ، فاشكرك عليه ، لانه كان صريحاً نزيهاً ، ولانك انفتت وقتاً
 غير قصير لتدبيجه . واني لارجو أن أكون جديراً وكفوياً بما
 سقته لي من التقريظ ، واصارحك القول ، كما صارحت بعض اصدقائي ،
 انه كان حسبي أن أعلم ان نقداً كمثل هذا سيكتب عن قصصي حتى
 أكون سعيداً بنشرها .

على ان لي ملاحظات أود أن ارد بها على ما آخذتني به
 ألخصها فيما يلي :

أردت أن تثبت ان حوادث قصصي غير محتملة الوقوع ،
 فاستشهدت بقصة « هي وكلبها » فائلاً : « ان فتاة تقني كلباً ندله
 لن تنهال عليه بهراوة كما فعلت فتاتك ، ومثل تلك الفتاة لن يكون
 في متناولها هراوات » . والواقع ان البطلة لم تنهل على كلبها بالهراوة
 إلا حين رآته هاجماً على خطيبها يعضه ويترق ثيابه ويسيل دمه من
 جرح عميق في ذراعه ، ثم رأت خطيبها يتراجع ويكاد يسقط
 خائوياً ... وانت طبعاً لا تطلب منها ان تظل مكتوفة الايدي ،
 وان تؤثر العطف على كلبها ... وانما يكون طبيعياً منها جداً اذا
 « شعرت بموجات من الغضب الشديد تتدافع في صدرها » فتضرب

كلها بهراوة ، لم تكن في متناولها ، وانما وجدتها « ملقاة في الحديقة » ! أما لماذا رمت فتاة بوارج بنفسها منتحرة في « راحة الضمير » فلأن هذا الشاب الذي كانت تحبه أشد الحب ويقض عليها مضجعها ، قد اخلف وعده في ان يصطحبها معه ، فرأت حبا يتبعه ، والفت أملها المنشود الذي تغذيه بكل قوى حياتها بخيب ... ألم يحدث ان انتحر قبل اليوم عاشق هجره حبيبه ، او فتاة تخلى عنها فتاها ؟ ... فإين الغرابة في هذه القصة ؟

وتأخذ عليّ الازدواج : رغائب النفس وخوارج الروح ، لست أدري كيف تريد أن تتجاهل الفرق بينهما ! هل الرغبة هي الحاجة ، وهـل النفس هي الروح ، دون ان نهتم بالرجوع إلى خلاقات الفلاسفة والمتكلمين ؟ « اطفئت عيناه فهو لا يبصر » انك اولا لم تورد العبارة على صحتها : « اطفئت عيناه فهو لا يبصر النور » فاحسب أنها الآن اكثر استقامة .. وحتى كما اوردها ، أيهما « ابلغ » اطفئت عيناه « وبس » - ألا تراها « واقفة » ؟ - أم اطفئت عيناه فهو أكثر جداً مما تفيد نصف هذه العبارة ؟ وأيها أكثر موسيقى وأعذب جرساً في السمع ... انك يا اخي سعيد صاحب ذوق أدبي مرهف ، فكيف تبهر هذه المأخذ ؟

ان العربية لا تحتوي كلمتين تفيدان معنى واحداً ، ففي الثانية معنى أرفع أو أعمق أو أبسط ، اختلاف عن المعنى الاول على كل حال ، مثل هذا « فرق وفرع » وهـل « مطمئنة اليه » تفيد المعنى نفسه الذي تفيد « سعيدة به » ؟ وثمة بون كبير بين « حب وود » و « سرور ورضى » و « شذى وعطر » . ومن اضاءة الوقت

تبيين هذا الاختلاف ، والا لماذا لم تقم به أنت نفسك بعد ان همت ؟ ... الحقيقة انك « تكره » الازدواج ، لكن كرهك له لا يعني انه ليس وجهاً من وجوه البلاغة ! .. ثم ألا ترى انه يكسب الاسلوب رونقاً وبهاء (ازدواج معيب في نظرك !) ومع ذلك ، فما قولك في انك عمدت انت إلى المزاوجة - التي تعيها - في « نخب العدو » : ألم تقل (ص ٧) : « فصيّر شيعهم شيعة ، وطوائفهم طائفة ، وجماعاتهم جماعة » - أليست شيعة مرادفة - إذا صح ان ثمة ترادفاً في العربية - لطائفة وجماعة ؟ « فاشتنكى وتذمر من عطل الحال » (٢٣١) - « يدر على صاحبه الريح الادبي من « صيت وشهرة » (ص ١٠) هل الصيت غير الشهرة ؟ « حنكة السياسي ودهاؤه » (ص ١٠) - « مفلس خالي الوفاض » (٣٢) « بحور متشابكة التيارات متدافعة الامواج » (٢٤) الخ .

انا لا انكر عليك هذه المزاوجات فهي جميلة ، ولكنك انت تنكر الازدواج على غيرك وتبيحه لنفسك ... بقي ان نبحت بمبد المزاوجة ، فانا لا احبذه في كل موضع ، ولا انكره في كل موضع ، فالمزاوجه جميلة في مواضعها ، بل هي ضرورية في المواضع التي لا يستقيم فيها نغم العبارة وموسيقاها . فالمهم في الموضوع حسن استعمال المزاوجة ، وهذا معنى من معاني البلاغة . فهل تراني اخفقت في تلك العبارات المزدوجة ، وهل تراك انت اصبت بها ؟!

اما قضية استعمال الالفاظ والتعابير غير المألوفة ، فان لي فيها رأياً مبنياً ، فانا لا اعمد الى هذه الالفاظ حباً بالاغراب ، وهي لا ترد على قلبي اعتباطاً ، ولكنني ارى ان نحى هذه الكلمات العربية

الجميلة الوقع ، الرقيقة التركيب ، فنتفادي من جهة تريد تلك الكلمات المبثثة لكثرة الاستعمال ، ونغني من ناحية اخرى لغتنا ونرتفع بها الى مستوى اسمى من التعبير . فانا اجد « تصرمت ايام » اجل من « مضت » او « انقضت » ، واعتبر « زجيت » خيراً من « قضيت » . وأود انا ان اسأل : اليس فطاحل الكتاب يتميزون - فيما يتميزون به - باللغة الرفيعة والكلمات المتخيرة من بين مئات الكلمات « العادية » ؟

ولماذا تعجب من هذه الفتاة التي تتعثر باذialها ، وهي تريد ان تتعلم الكمان ؟ اذا كانت في سن « سمية » - السابعة عشرة - وكانت مسلمة مثلاً ، تعيش في ذلك الجو المتحفظ ، فان العجيب ان تكون جريئة ولا تتعثر باذialها ! وعلى ذلك فبوسعك يا اخي سعيد ان تبهر باذial كثيرات من فتياتنا اللبنانيات ، حتى لتكره التبرك والبركة ! وارك بعد 'تريش سهامك المنفلوطي ... وانا اصدقك القول اني لم اقرأ كثيراً ، واخالي لم اتأثر به ، على اني رجعت اليوم اليه ، فما ترى عيبه ؟ في ذلك الاسلوب المشرق ، والديباجة الجزلة ، والبيان العربي الرائع ، على الرغم من رغبته احياناً في الاغراب ؟ ان المنفلوطي خليق ان يكون صاحب مدرسة في البيان العربي !

اما رأيك في عنوان القصة فعجيب ... لماذا تريده لغزاً ؟ لا اريد الآن ان اناقشك ، ولكن قل لي اين اللغز في عناوين قصصك في « نخب العدر » ؟ باستثناء « الثلج الاسود » - ما اعجب هذا اللغز ! - اقرأ : « حلم البولفار » - « التجارة شطارة » : ا يصلح

هذا عنوان قصة ؟ - « دون كارلوس » - « صورة ام فريد » -
 « حمار الصف » : عنوان موفق من حيث الروح الفكاهية - « حمود »
 « شيخ القاغة » - « الكتاب العظيم » - « الملك فردننس » -
 « ذنب الطاووس » : ان معظم عناوين قصصك تحمل اسم بطل
 القصة ، فاین اللغز ؟ اترك تنسى يا اخي سعيد ان الناقد يجب ان
 يكون منسجماً مع نفسه ؟!

وفي ميدان « الصنعة » ، أخذت علي اني فضحت نهاية قصة
 « نداء الاعماق » . وأنا اعجب كيف حكمت على نهاية هذه القصة
 بهذا الحكم ، وهي أنمض نهايات قصصي وأشدّها خفاء ! واسمح لي
 هنا ان استشهد بحكم كاتب كبير من كتاب القصة في العالم العربي ،
 هو الاستاذ محمود تيمور رائد القصة العربية ، فهو يعتبر - في رسالة
 خاصة لي منه - نهاية هذه القصة « رائعة موفقة » بفضل غموضها
 وإبهامها !

وأنا اوافقك على ما اخذته عليّ بشأن تحية الاستاذ لتلميذته ،
 ولكن ادهش كيف يغيب عنك ان القرويات يبادئن المصيفين
 التحية .. هل انساك البعد في الفيلبيين عادات قومك ؟ ! وأما
 العبارات التي يتفوه بها الذين هم على فراش الموت ، فاحسبك كنت
 تمزح اذ قلت ان الناس لا يفوهون بالعبارات الخالدة في ذلك
 الموقف ، فانت تعرف ان اخلد عبارات فاه بها كثيرون من
 العظماء والساسة والقادة والادباء كانت حين تنازعهم الروح .. واذا
 كان جلال زريق يفوه بعباراته الخالدة في بيت الخلا ، فما احسبك
 انت قد جدت بطرفتك المسرحية « نخب العدو » في مثل ذلك

الموضع والظرف !!...

وعلى الرغم من احترامي لرأيك في الشكل الذي كنت تفضل
ان تصاغ فيه قصتا «أمومة» و «هي وكلبها» فانا لا أزال اعتقد
انهما اجمل كما وردتا في المجموعة .

*

وبعد فقد كنت انت سعيداً باكتشافي ناقداً، اذ درست دراسة
موجزة كتابك الرائع ، واراني لا اقل عنك سعادة ، فانا ايضاً
اكتشفتك ناقداً ممتازاً ، وقبل ذلك «متذوقاً» كبيراً للادب والفن .
ان لك يا سعيد طريقة في النقد فذة بين الطرائق ! ان «الابداع»
دأبك في كل شي : في التأليف او النقد او التعليق . وما اروع نصائحك
لي بالخروج الى الحياة : انني اعترف لك ان الحياة تنقصني ، واني
بجاجة الى خوضها والتعمق فيها ، وهذا اعتراف بوسع «كثيرين»
من «محبي» ان يستفيدوا منه !! ولكن لعلك التمت لي انت
نفسك المعاذير اذ قلت «امامك» قبل ان تبيض لحيتك ، ايام كثيرة
وانتصارات كثيرة ... وكم انا سعيد في ان أراك تنتظر قدومي
الى ناديك العبقري ، نادي البراهمة ...

ولكنني اخشاك يا سعيد ! انك ذو هيكل نحيف ، وانا مخلوق
اقرب الى القصر والمزال ، ثم انك ذو دماغ جبار ، فكيف
سأقوى على الوقوف امامك ! لا ... لا ... سأرفض ان أراك يوم
تعود الى لبنان ... فما يدريني ؟ لعلك أن تغيّر بي رأيك ! فلتظل
تنتظر إليّ على الورق ، من خلل السطور !

لقد أحبتك يا سعيد من زمان ، وازداد حبي لك اليوم ...

اما الاحترام فاني اكنفته لك منذ قرأت كتابك ، وما زلت اكنه
ولعله ارتفع وسما درجة جديدة ...
لقد سقت لي نصائح كثيرة ، فهل تسمح لي بواحدة : ان
اكبر جريمة ترتكبها في حياتك هي ان تنصرف يوماً عن الادب !
'عد الينا ، فان لك بيننا المقام المرموق ، وان لك في الادب
العربي لشأنا ! *

ميريل الدريس

* (جريدة « بيروت المساء » ٢٥ آب ١٩٢٧)

بيان

ان سهيل ادريس الذي روّح نفسه بطبع هذا الكتاب والاشراف على تنسيقه ، ونعيم ساعات كذا عدّها بتعبه شؤون نشره ، هو وحده المسؤول عما قد يجده القاري من اغلاط وامور غير مستحبة . وليس للقاري ان يعزو اليّ الا ما قد يجده في هذا الكتاب من قيم وجميل .

هذا بيان يوحيه واجب الاعتراف بالجميل الذي أسديته إلى سهيل ادريس ، اذ يسّرت له سبيل خدمتي المجانية ، فوقيته من داء الاثرة ، وروّضت كتفيه بهذا الحمل الذي قوى عاتقيه ، وشغلت ساعاته بشؤني ، فدفعت عنه خطر البطالة .

المؤلف

فهرست

•

٥	الامضاء
٨	رسالة
٩	لمحة تاريخية
١١	طبعروس
٢٩	حفنة ربيع
٩٧	إلى المخرج
١١٣	موجة نار
١٢٩	آلام الذكرى
١٣٧	لغة كتاب
١٦١	الدواة
١٨١	الخطاب المبتور
١٩١	البرهان القاطع
٢٠٥	قهوة سوراظ
	مراسلات بين المؤلف وسهيل ادريس
٢٢١	حول كتاب «نخب العدو»
٢٣٥	حول القصة في لبنان
٢٥١	حول كتاب اشواق
٢٧٨	بيان





PJ7864 .A45H3 1948
BIRZEIT UNIVERSITY LIBRARY



A01105

A01105

